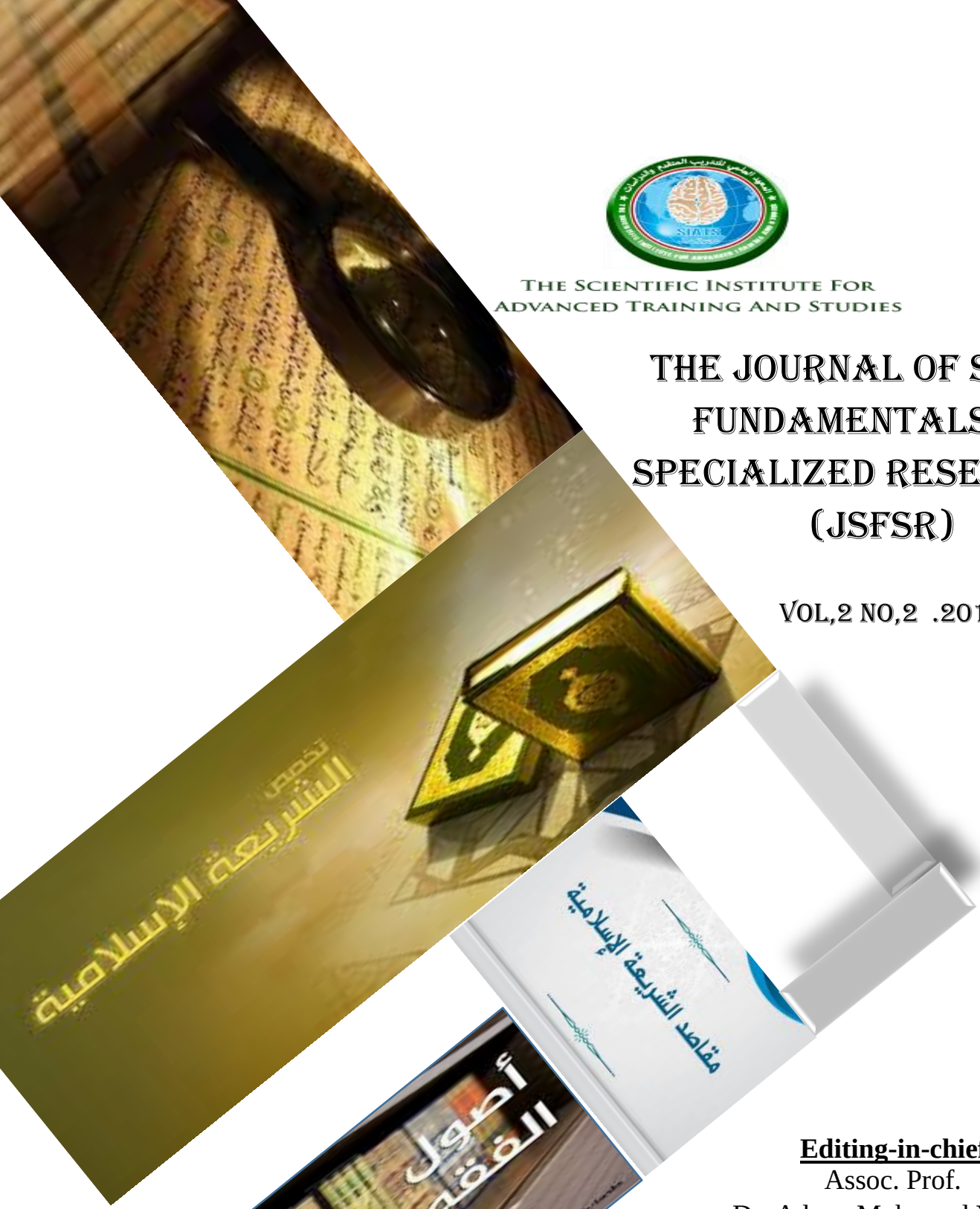

THE SCIENTIFIC INSTITUTE FOR
ADVANCED TRAINING AND STUDIES

THE JOURNAL OF SHARIA FUNDAMENTALS FOR SPECIALIZED RESEARCHES (JSFSR)

VOL,2 NO,2 .2016

Editing-in-chief
Assoc. Prof.
Dr. Adnan Mohamed Yusoff

e-**ISSN: 2289-9073**

Editor in Chief:
Assoc. Prof. Dr. Adnan Mohamed Yusoff
adnan@usim.edu.my
Editing Manager:
Assoc. Prof. Dr. Najm Abdulrahman Khalaf
n.kalahf@siats.co.uk
Assistant Editing Managers:
Dr. Ahmed Khalid Rashid Alani
abuzaidalani73@gmail.com
Dr. Shumsudin Yabi
shumsudin@usim.edu.my
==========

Board of Consultants

د. عمار ناصح علوان/ بروناي
أ.د محمد عقلة / الأردن
أ.د إسماعيل الدفتار/ مصر
أ.د عبدالمجيد النجار/ تونس
أ.د علي محيي الدين القرداغي / قطر
أ.د عبدالله بن عبدالعزيزالمصلح
أ.د منجد مصطفى بهجت / ماليزيا
أ.د ماجد أبو رخية / الامارات
أ.د مصطفى المشني / الأردن
أ.د عبدالرزاق السعدي / العراق
أ.د عبدالغني الكبيسي / البحرين
أ.د عمر حمدان الكبيسي / الإمارات

Contact

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Researches **(JSFSR)**
Assoc. Prof. Dr. Najm Abdulrahman Khalaf- **Editing Manager- Email:** n.kalahf@siats.co.uk

http://www.siats.co.uk/journal-of-sharia-fundamentals-for-specialized-researches/

SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Researches

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

المجلد2 ، العدد 2، 2016م.

e ISSN 2289-9073

2016م

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Researches (JSFSR)

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Researches is published quarterly, it is designed for whoever researcher seeking welfare that is based on knowledge. It seeks to provide a platform for the excellent researchers to present and consider the values and themes of various religious and social sciences acquired by learning and practice. It aimed at becoming a meeting point and channel for researchers to publish their innovative works, with regard to the interpretation of Islamic Sharia sciences and its regulations and the enhancing of social sciences to become adequate programs that serve the human and society in a significant and neutral way.

Our mission is to maintain the efforts of researchers and their innovative works in Islamic Sharia sciences known for its human civilizational value, through which we can spread awareness among people and ensure respect and strength of Islamic identity in different scientific, cultural, and social environments.

Therefore, this journal is designed to serve as a platform to identify the various religious and social dimensions of knowledge, such as considering the Holy Quran as the foremost and fundamental source of Islamic rules followed by the Sunah (biography of the Prophet Mohammed Peace and Blessings be Upon Him) that explains and clarifies the Holy Quran, along with its affiliated Sharia studies on the individual and society, such as studies concerned with Ijtihad which focuses on the studying of modern issues and finding solutions to them.

SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Research

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

العدد 2، المجلد 2، نيسان 2016م.

e-ISSN 2289-9073

TURUQ MUEALAJAT ALDUYUN ALMUTAEATHIRAT MIN ALMURABAHAT AL'IISLAMIAT FI ALMASARIF ALLIYBIAT FI DAW' ALFAQIH AL'IISLAMII

طرق معالجة الديون المتعثرة من المرابحة الإسلامية في المصارف الليبية في ضوء الفقه الإسلامي

عبد العزيز جمعة المبروك المبروك

الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا

abdalaziz87er@gmail.com

1437هـ – 2016م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 9/1/2016
Received in revised form 20/1/2016
Accepted 12/3/2016
Available online 15/4/2016

ABSTRACT

The issue of the bad debts is one of the contemporary major problems facing by both the conventional banks and Islamic Banks.

The interest is the key of solutions used by conventional banks to solve their problems which is totally haram prohibited, contradicting with the principles of Islamic bank, to avoid cheating the people. The study uses the descriptive analytical method. The importance of the subject in the fact that the debt constitutes the largest proportion in the Islamic banks, and the most common are transactions Murabaha. As the Libyan banks began steps to complete transformation of Islamic banking,

This study aiming to know the reality of bad debt and Treatment methods by Murabaha in Libyan banks. It is divided into three chapters.

In the first chapter I defined the debts and Types.

In the second chapter I defined the bad debt, types, and its Aspects. While the third chapter includes the Treatment methods in Islamic jurisprudence.

This research attempts to discuss this issue through Islamic banks the experience of and study of the most important solutions in Islamic jurisprudence, also this research will study by the inductive approach and analytical approach to track the views of scholars' applicants and latecomers in the subject and analysis of Islamic banks experience in the treatment of bad debts in the light of Islamic jurisprudence.

الملخص

تعد مشكلة الديون التي يتأخر سدادها لأي سبب كان من أهم المشاكل والعقبات للمصارف الإسلامية، حيث لا تستطيع فرض فائدة وزيادة بسبب التأخير أو التوقف عن السداد. والأخطر من ذلك هو أن يقوم العميل المدين بتأخير سداد ديونه للمصرف الإسلامي، لأنه يعلم أنه لا يفرض زيادة أو فائدة عليه، فيماطل وهو موسر حتى يستفيد أكبر قدر ممكن من المديونية، وتكمن أهمية الموضوع في كون الديون تشكل النسبة الأكبر في تعاملات البنوك الإسلامية والتي تنتج عن العقود الآجلة، ومن أكثر المعاملات انتشاراً هي المرابحة والتي تمثل النسبة الأكبر في تعاملات البنوك الإسلامية، وعدم حل هذه المشكلة في ضوء مقاصد الشريعة وأحكامها يؤدي إلى كثير من المشاكل للبنوك الإسلامية. وحيث إن المصارف الليبية بدأت خطوات التحول الكامل للمصرفية الإسلامية فإن من المهم بيان مقدرة التعاملات الإسلامية على وضع حلول شرعية عملية لحل المعضلات التي تمر بالعمل المصرفي الإسلامي.

وسيحاول هذا البحث مناقشة هذا الموضوع من خلال تجربة البنوك الإسلامية ودراسة أهم الحلول المطروحة دراسة فقهية في ضوء الشريعة الإسلامية وأحكامها. وسيسلك البحث لدراسة الموضوع المنهج الاستقرائي والتحليلي لتتبع آراء الفقهاء المتقدمين والمتأخرين في الموضوع وتحليلها، وأيضا تحليل تجربة البنوك الإسلامية في معالجة الديون المتعثرة في ضوء الفقه الإسلامي.

الكلمات الافتتاحية: الديون المتعثرة، المرابحة، الربا، المصارف الليبية.

المقدمة

الحمد لله الذي أنعم على الإنسانيّة برسالة الإسلام، والصلاة والسلام على نبيّنا محمد بن عبد الله خير الأنام، وعلى آله وأصحابه الكرام. وبعد،

فإن الديون تعد النسبة الأكبر في تعاملات المصارف تقليدية أو إسلامية، وبالتالي ينتج عنها ديون متعثرة لأسباب عديدة كالتعسر والمماطلة والاختلاس وغيرها، وتستخدم المصارف التقليدية طرقا لمعالجتها مثل جدولة الدين أو بيعه وهي طرق لا تتلاءم مع الأحكام الشرعية الإسلامية، وحيث إن التمويلات الإسلامية كالمرابحة تحوى ديونا فإن من الطبيعي أن يحدث تعثراً لهذا الدين قليلاً كان أو كثيراً، خصوصاً أن الشريعة الإسلامية لا تستطيع فرض فائدة وزيادة بسبب التأخير أو التوقف عن السداد الأمر الذي يغري العميل المدين بتأخير سداد ديونه للمصرف، لأنه يعلم أنه لا يفرض زيادة أو فائدة عليه، والبنوك الإسلامية لها عدة صيغ لمعالجة التعثر في المصارف الإسلامية، وتمثل المرابحة النسبة الأكبر في تعاملات البنوك الإسلامية، وبالأخص المرابحات الاستهلاكية التي لا يبقى محل العقد فترة طويلة، ولم تركز على أساليب الاستثمار الأخرى مثل المشاركات، والمضاربة، والاستصناع، وعليه فإن تعرض التمويلات لتعثر أمر لابد منه ولكنه يختلف حجمه حسب السياسة الائتمانية لكل بنك، ومن ثم فإن الحاجة ماسة لدراسة طرق معالجة الديون من ناحية فقهية حتى يمكن للبنوك التي تعمل وفقا للشريعة الإسلامية أن تعمل بها في حال تعثر الدين. وفي هذا البحث سوف يحاول الباحث التطرق إلى طرق معالجة التعثر في المصارف الليبية الناتجة عن المرابحة الإسلامية.

أهداف البحث

يهدف البحث إلى دراسة طرق معالجة الديون في البنوك الإسلامية من ناحية فقهية ومدى إمكان تطبيقها على التمويلات الإسلامية في المصارف الليبية.

منهجية البحث

يسلك هذا البحث المنهج الاستقرائي لتتبع آراء الفقهاء في حكم عمليات المعالجة للديون المتعثرة والمتبعة في البنوك الإسلامية.

كما يأخذ في الاعتبار البحث المنهج التحليلي النقدي من خلال تحليل الأسس الشرعية التي على أساسها اختيار كل نوع من هذه المعالجات.

وقد قمت بتقسيم البحث إلى ثلاثة مباحث كالتالي:

المبحث الاول: التعريف بالدين ومشروعيته وأسبابه وتقسيماته

المبحث الثاني: التعريف بالديون المتعثرة ومراحلها وأنواعها

المبحث الثالث: طرق معالجة الديون المتعثرة في ضوء الفقه الإسلامي

الخاتمة: بينت فيها أهم النتائج

أسأل الله أن يوزعني شكر نعمته وحسن عبادته، وصلى الله وسلم على محمد وآله وصحبه أجمعين

المبحث الأول: مفهوم الدين ومشروعيته وأقسامه وأسبابه

المطلب الأول: مفهوم الدين

الفرع الأول: معنى الدين في اللغة

الدال والياء والنون: أصل واحد يرجع إليه فروعه كلها، وهو جنس من الانقياد والذل، ومن هذا الباب: الدَّين، يقال داينت فلانا إذا عاملته دَينا، إما أخذا وإما عطاءً[1]

قال ابن منظور:" الدَّين: واحد الديون، وكل شيء غير حاضر دَينٌ"[2].

ويأتي الدين بمعنى المعاملة إما أخذا أو إعطاء، يقال داينت فلانا، إذا عاملته دينا.[3]

الفرق بين الدائن والمدين:

الدائن اسم فاعل من دانَ يَدين، دَيْنًا، فهو دائن، والمفعول مَدين، يقال دان الرَّجُلُ، اقترض وصار عليه دَيْن، ودان الشَّخصَ: أقرضه وأعطاه مالاً إلى أجل، والدَّولة الدَّائنة: المقرِضة، فالمدين صاحب الحق في مبلغ يدفعه الطرف الآخر (المدين)، وقد يكون الدائن شخصا أو مؤسسة أو شركة أو حكومة.

(1) أبو الحسين أحمد بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة (بيروت: دار الجيل، ط1، 1420هـ/ 1999م) 320/1-319.

(2) جمال الدين، ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسن الله، وهاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د. ط، د. ت) 168،167/13

(3) المرجع السابق: 170/13.

أما الدائن فهو الشخص أو الكيان الذي عليه سداد الدين إلى صاحب الدين (الدائن)، يقال مدين بألف دينار: عَلَيْهِ دين، وحِسَاب مَدِين": أي عليه دين، ومدين له بحياته: صار مرتَهَناً له، لأنه أنقذ حياته، وقد يكون الكيان شخصًا، أو شركة، أو مؤسسة، أو حكومة، أو أي شخص اعتباري، ويسمى المدين مقترضاً أو مستلفاً[4].

الفرع الثاني: معنى الدين في الاصطلاح:

عرف الفقهاء الدّين بتعريفات مختلفة، وذلك نظراً لاختلاف مصادر ثبوته:

تعريف الدين عند الحنفية:

قال ابن الهمام: "الدين مال وجب في الذمة؛ بدلاً عن مال أتلفه، أو قرض اقترضه، أو مبيع عقد بيعه، أو منفعة عقد عليها " [5]

وهذا التعريف شامل للديون المالية دون الديون غير المالية كأداء صلاة فائتة وغيرها.

تعريف الدين عند الجمهور:

قال الإمام القرطبي المالكي: " حقيقة الدين عبارة عن كل معاملة كان أحد العوضين فيها نقداً، والآخر في الذمة نسيئة، فإن العين عند العرب ما كان حاضراً، والدين ما كان غائباً "[6]

وهذا التعريف يشمل الديون التي سببها المعاملات، وتخرج به كل الديون التي تنتج عن الأسباب الأخرى كالأحكام الموجبة لدين الزكاة وديون الكفارات، والأفعال الضارة الموجبة لدين أرش الجناية وقيمة المتلف.

المطلب الثاني: مشروعية الاستدانة.

الدَّيْن مندوب في حق الدائن إذا كان في غير فساد ولا معصية، وهو من القرب التي حث عليها الإسلام، وجائز في حق المستدين إن رأى أن ماله يفي بسداد ما يستدين، ويدل على ذلك الكتاب والسنة والعقل والإجماع:

قال ﷻ:(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا تَدَايَنْتُمْ بِدَيْنٍ إِلَىٰ أَجَلٍ مُسَمًّى فَاكْتُبُوهُ) وقوله ﷺ: "ما من مسلم يقرض مسلماً قرضاً مرتين إلا كان كصدقتها مرة " [7]

(4) أحمد مختار عبد الحميد عمر، معجم اللغة العربية المعاصرة (القاهرة: عالم الكتب، الأولى، 1429 هـ - 2008 م) 11/3.

(5) كمال الدين محمد بن الهمام، فتح القدير (بيروت: دار الفكر، ط1) 431/5

(6) أبوعبد الله محمد القرطبي، الجامع لأحكام القرآن، تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم اطفيش (القاهرة: دار الكتب المصرية، الطبعة الثانية، 1384هـ - 1964م) 377/3.

(7) أخرجه ابن ماجه: في كتاب الصدقات، باب القرض 60/2"2455"، وصححه ابن حجر الهيثمي في تحفة المحتاج: 36/5.

وأجمعت الأمة على جواز الدين في الجملة[8].

المطلب الثالث: أسباب الدين وأنواعه:

الفرع الأول: أسباب الدين

الأصل أن الإنسان بريء الذمة من كل دين، أو التزام، أو مسؤولية مدنية أو جنائية، ولذلك وضع العلماء القاعدة الفقهية الشهيرة "الأصل براءة الذمة" إلا إذا وجد سبب ينشئ ذلك، ويلزم به.

ومن أهم هذه أسباب الدين:

1. الالتزام بشيء في الذمة: كالتزام بدفع ثمن المبيع، أو أجر المستأجر، أورد الشيء المستقرض، أو تحمل ما وجب الغير من الضمانات ونحو ذلك.

2.دفع مال عن الغير لتخليصه من القتل، أو تخليص ماله من التلف، كدفع مبلغ من المال عن شخص أوقف ليقتل إن لم يدفعه.

3.الإكراه على الدفع عن الغير: كما لو اختطفت عصابة رجلاً، وأكرهوا أخاه على دفع مبلغ من المال بإطلاق المخطوف، فإن دفع أخو المكره فما دفعه يلزم المخطوف بعد خلاصه من خطف الخاطفين.

4.هلاك المال في يد الحائز إذا كانت يده يد ضمان، كتلف المغصوب في يد الغاصب، وتلف السلعة في يد الأجير العام ونحو ذلك، فإذا حصل هذا العمل ثبت الدين في الذمة.

5.فعل الفعل الممنوع: كوجوب مبلغ من المال أوجبه ولي أمر المسلمين في ذمة من ارتكب مخالفة مرورية مثلا، أو تأخر في تجديد الهوية الشخصية، والقتل الموجب للدية، والجنايات الموجبة للأرش، وإتلاف مال الغير، والتعدي في يد الأمانة، والتفريط في المحافظة على ما بحوزته.

6.أمر الشارع: كوجوب الزكاة في ذمة صاحب المال، وذلك بعد حلول الحول على المال وبلوغه النصاب، ووجوب الكفارة في ذمة الحالف بالحنث باليمين، ووجوب المنذور في ذمة الناذر عند تحقق سبب النذر.

7.أمر ولي أمر المسلمين: وذلك إذا أوجب ولي أمر المسلمين على الأغنياء أموالا يؤدونها إلى الدولة لعدم كفاية موارد الدولة لتغطية نفقاتها[9].

(8) تبين الحقائق: الزيلعي:59/4، وتحفة المحتاج لابن حجر الهيثمي: 297/4، ومطالب أولى النهى للرحيباني:223/3

(9) محمد رواس قلعجي، الموسوعة الفقهية الميسرة (بيروت: دار النفائس، الأولى، 2000م) 880/1.

8. من الأسباب المعاصرة على مستوى الأفراد استقرار دخل السواد الأعظم من أفراد المجتمع، بسبب ارتباطهم بوظائف دائمة أو شبه دائمة لها سلم رواتب معلن، مما مكن هؤلاء من التخطيط لصرف نفقاتهم في المستقبل، بقدر كبير من الاطمئنان، بالإضافة إلى تشجيع برامج التأمين بأنواعها المختلفة، سواء كانت برامج تقاعدية، أو تأميناً ضد البطالة، أو تأميناً صحياً أو التأمين على الحياة.

أما على مستوى الشركات وفي ظل سعيها إلى تحقيق الربح لملاكها، فتجد الدين خير أنواع التمويل المتاح لها لتحقيق الربحية، وأمامها طريقتان:

الأولى: القرض بفائدة من البنوك الربوية، أو بصيغ تمويل إسلامية قائمة على المبادئ الشرعية.

الثاني: زيادة رأس مالها بالمشاركة أو إصدار الأسهم.

وأما على مستوى الحكومات فمن المعلوم أن أنشطة الدول لا يولد الربح إذ جل نشاط الحكومات، وخاصة في الدول التي تسير على منهاج الاقتصاد الحر، هو تقديم الخدمات الأساسية كالأمن والدفاع والرعاية الصحية والتعليم وما شابه ذلك، وأن جزءاً مهماً من نفقات الحكومات يوجه نحو مشاريع ممتدة عبر الأجيال، كالمطارات الدولية، والطرق السريعة، والسكك الحديدية، ومنشآت الجامعات، فالمواءمة بين إيرادات الحكومات ونفقاتها قد تلجئ الحكومات في بعض الأحيان إلى الاقتراض، للمواءمة بين إيراداتها ونفقاتها التي لا تتطابق من الناحية الزمنية.[10]

المطلب الرابع: أقسام الدين:

للدين أقسام كثيرة وصلت إلى أحد عشر قسماً، ولكنه من حيث قابليته للتعثر ينقسم إلى ثلاثة أقسام:

أ ـ الدين المضمون: هو الدين الذي له من الضمانات ما يجعل تحصيله في وقته ميسوراً، وهذا المصطلح متوافق أو قريب جداً من النوع الأول " دين مرجو الأداء " عند الفقهاء.

ب ـ الدين المشكوك فيه: هو الدين الذي تكون ضماناته ضعيفة، وإمكانية تحصيله ليست ميسورة، أو بعبارة أخرى فإن الظن الغالب فيه هو عدم التحصيل، ولكن هذا لا يمنع من احتمال تحصيله، وهذا المصطلح متوافق أو قريب جداً من مصطلح " الدين غير المرجو " لدى الفقهاء.

(10) محمد علي القري، بيع الدين وسندات القرض(جدة: مجلة مجمع الفقه، العدد 11) 224/1.

ج . الدين المعدوم: وهو الدين الذي لا أمل في تحصيله، لأي سبب كان[11]، وهذا يدخل في "الدين غير المرجو" لدى الفقهاء، ولكن المصطلح غير دقيق، إذا نظرنا إلى حقيقة معناه وهو المفقود، أو المنتهي تماماً، أو غير الموجود، في حين أن الدين قد يكون موجوداً في الذمة، ولكن المدين غير قادر على الأداء، فهو دين معدوم في عرف هؤلاء، لكنه في حقيقته موجود، ولذلك فتعبير الفقهاء أدق.

خامسا: من حيث الاستقرار وعدمه ينقسم إلى قسمين هما:

أ. الدين المستقر: هو الثابت استيفاؤه، والذي لا يوجد احتمال لسقوطه، مثل قيمة المتلفات، والمال الموجود عند المقترض، والمهر بعد الدخول.

ب. الدين غير المستقر: هو الذي لا يكون ثابتا في الذمة _ أي يوجد احتمال سقوطه، مثل أجرة عقار قبل مضى مدة الإيجار، ونصف المهر قبل الدخول، والمسلم فيه.

المبحث الثاني: حقيقة تعثر الدين ومحدداته ومراحله ومظاهره

المطلب الأول: تعريف التعثر

الفرع الأول: تعريف التعثر لغة

أصل التعثر من تعثر وقد ورد تعريفه في كتب اللغة بمعنى كبا وسقط ومنه ما ورد في لسان العرب بالقول: "عَثَر يعِثرُ ويَعْثُرُ عَثْراً وعِثَاراً وتَعَثَّرَ كَبا ... ويقال عَثَرَ به فرسُهُ فسقط وتَعَثَّرِ لِسانُه تَلَعْثَم"[12]. ومثله ورد في القاموس المحيط: "وتَعَثَّرَ: كَبَا"[13]. وهو أيضا ما سار عليه مجمع اللغة عند تعريفه في المعجم الوسيط:"(عثر) عثرا، وعِثارا: زل وكبا. وفي المثل: (من سَلَكَ الجَدَدَ أَمِنَ العِثارَ). ويقال: عثر في ثوبه، وعثر به فرسه"[14]. وفي موضع آخر:"(تعثر): مطاوع عثَّره. ويقال: تعثر حظه، وتعثر لسانه: تلعثم". وفي الحديث: لا حليم إلا ذو عثرة، أي لا يحصل به الحلم ويوصف به حتى يركب الأمور ويعثر فيها، فيعتبر بها وتستبين مواضع الخطأ فيجتنبها، والعثرة المرة من العثار في المشي، وفي الحديث: لا تبدأهم بالعثرة، أي بالجاهد والحرب، لأن الحرب كثيرة العثار.

---

(11) علي القره داغي، أحكام التصرف في الديون دراسة فقهية مقارنة (جدة: مجلة المجمع الفقهي، العدد 12): ص33.

(12) جمال الدين، ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسن الله، وهاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د. ط، د. ت) باب العين، 357/3

(13) مجد الدين محمد، الفيروز ابادي، القاموس المحيط، (الإسكندرية: المطبعة الأميرية، ط 3، 1301هـ) باب الراء، فصل العين، 2/ 83.

(14) مجمع اللغة العربية، المعجم الوسيط، (القاهرة: مكتبة الشروق، ط 4، 2004م) ص 583

وقيل معناها الاطلاع على سر الرجل، وعثر على الأمر يعثر عثورًا وفي القرآن الكريم: وكذلك أعثرنا عليهم ليعلموا) [سورة الكهف: 21] أي أعثرنا عليهم ليعلموا فحذف المفعول، وقال تعالى: [فإن عثر على أنهما استحقا إثما]. [سورة المائدة: 107] معناه فإن اطلع على أنهما قد خانا.[15]

الفرع الثاني: تعريف تعثر الديون

مصطلح الديون المتعثرة من المصطلحات المعاصرة فلم يتناوله علماؤنا القدامى بالتعريف، ولكنهم عبروا عنه بتعذر الحصول على الدين، يقول ابن تيمية:" فمتى كان المدين عاجزًا كان هذا عيبًا في الدين، وهو عجز المشتري عن الأداء بالإفلاس" [16] وظهر هذا المصطلح مؤخرا مع انتشار البنوك والشركات وغيرها من المؤسسات التي تتعامل بالديون فأصبح يطلق المصطلح على الديون المتأخرات سدادها من قبل العملاء أفرادا أو مؤسسات. وقد عرفه محسن الخضيري بالقول: "فالتعثر المالي هو مواجهة المنشأة لظروف "طارئة غير متوقعة" تؤدي إلى عدم قدرتها على توليد مردود اقتصادي أو فائض نشاط يكفي لسداد التزاماتها في الأجل القصير[17]"، وهذا التعريف ينطبق على المؤسسات أكثر منه على الأفراد ولذلك يبقى قاصراً.

وعرفه صبري حسن بأنه الدين الذي يعتبره المصرف بعد دراسة المركز المالي للعميل وضمانات الدين على أنه على درجة من الخطورة لا يتسنى منه تحصيله خلال فترة معقولة[18]. وقد تم ربط الديون التي يجد البنك نفسه مضطراً لتصنيفها ديونا متعثرة بنسبة احتمال عدم مقدرة البنك عبى تحصيل الدين، حيث حدد كل دين زادت نسبة عدم تحصيله على 51%. [19]

وعرفه البنك المركزي الماليزي بأنه: " عدم القدرة على تلبية شروط السداد التعاقدية"[20]،

وجميع التعريفات السابقة عرفت التعثر الذي ينطبق على المؤسسات، والتعريف الجامع الذي يشمل المؤسسات والأفراد هو: "عدم سداد العميل لمستحقاته في وقت السداد المتفق عليه في العقد بين الطرفين لأي سبب من الأسباب".

(15) جمال الدين، ابن منظور، لسان العرب، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسن الله، وهاشم محمد الشاذلي. مرجع سابق، 359/3

(16) أحمد عبد الحليم بن تيمية،

(17) محسن أحمد، الخضيري، الديون المتعثرة الظاهرة..الأسباب..العلاج (القاهرة: إيتراك، ط 1، 1996م)، ص 23.

(18) صبري حسن نوفل، إدارة مخاطر الائتمان المصرفي (القاهرة: المعهد العربي للتمويل والاستثمار، ط1، 2000م)، ص2

(19) هاني أبو جبارة، ندوة الديون المتعثرة والتعامل بها، (عمان: مجلة البنوك، 1994م)، ص13.

(20) البنك المركزي الماليزي، إطار كفاية رأس المال للبنوك الإسلامية، ص 162، 163.

المطلب الثاني: محددات حدوث التعثر:

الفرع الأول: محددات التعثر في البنوك التقليدية:

يختلف تحديد محدد التغير من دولة إلى أخرى ففي الولايات المتحدة إذا مضى استحقاق أي قسط من أقساط القرض مدة تزيد عن تسعين يوماً اعتبر قرضاً متعثراً، وفي الجزائر وليبيا إذا مضى 180يوما على استحقاق القسط ولم يدفع فإن القرض يعد متعثراً [21].

الفرع الثاني: محددات التعثر في البنوك الإسلامية:

تختلف البنوك الإسلامية عن البنوك التقليدية في المنتجات المعروضة على العملاء، فأكثر تعاملات البنوك التقليدية هي القروض الربوية، أما البنوك الإسلامية فهي عبارة عن منتجات وسلع تختلف أنواعها وصفاتها، ولذلك تختلف محددات التعثر فيها من منتج لآخر، ومن مصرف لآخر، ومن بلد لآخر، فالبنك المركزي السوداني على سبيل المثال حدد الحالات التي يعد فيها الدين متعثرا على النحو التالي:

(1) يعتبر التمويل متعثرًا بالنسبة لصيغة المرابحة إذا مضى على استحقاق أي قسط من أقساطه شهرًا واحدًا، لأغراض احتساب التعثر يضمن القسط المتعثر فقط.
(2) يعتبر التمويل متعثرًا في حالة صيغ التمويل الأخرى إذا مضى على تاريخ استحقاقه (تصفيته) فترة ثلاثة أشهر.
(3) يظل التمويل المتعثر الذي دخل البنك في تسوية فيه مع العميل ضمن التمويل المتعثر.
(4) تعتبر الالتزامات العرضية (خطابات الاعتماد وخطابات الضمان وما في حكمها) متعثرة إذا مضت ثلاثة أشهر على تاريخ خصم قيمتها من حساب المصرف بواسطة المراسل في حالة خطابات الاعتماد، وعلى تاريخ مصادرتها أو تسييلها في حالة خطابات الضمان، على أن يتم إدخالها في الميزانية فور خصمها من جانب المراسل في حالة الاعتمادات ومصادرتها في حالة خطابات الضمان تحت بند التمويل (أخرى).

(21) براق محمد، وبن عمر خالد، القروض البنكية المتعثرة، الأسباب والحلول، ص3.

(5) يعتبر التمويل بصيغتي المشاركة والمضاربة متعثراً في حالة بيع المصرف لنصيبه للعميل بيعا آجلاً بعد حلول تاريخ التصفية.

(6) لا يعتبر التمويل بصيغتي المشاركة والمضاربة متعثراً في حالة التصفية العينية للعملية سواء إن تم بيع العين أم لم يتم بيعه"[22].

المطلب الثالث: مراحل التعثر

لا يتم التعثر في الديون دفعة واحدة بل يمر بمراحل عديدة حتى يصل إلى مرحلة التعثر، ومن ثم فإن من المهم معرفة مراحل التعثر من أجل متابعته في مراحله الأولى، قبل أن يصبح في مراحله الحرجة الأخيرة التي يصعب معها الحصول عليه بعد ذلك، وهذه المراحل هي:

المرحلة الأولى: مرحلة ظهور الأعراض:

وهذه المرحلة هي البداية الحقيقية للتعثر المالي، حيث يحدث حادث عرضي ما، ويمثل هذا اختبارا لإدارة المشروع المتعثر، فإذا تم التنبه لهذا العرض وأدرك خطورته لم يحدث، وإذا أغفه واستهان به بدأ التعثر مثل الدخول في التزامات غير مخطط لها مسبقا.

المرحلة الثانية:

مرحلة تجاهل الوضع القائم:

وهي المرحلة التي يتم فيها تنبه القائمين على غدارة البنك أو المشروع إلى خطورة الأسباب، والبواعث المؤثرة على عملية التعثر إلا أنه يتجاهلون ذلك تهاوناً وتقليلاً لشأنها.

المرحلة الثالثة:

مرحلة استمرار التعثر والتهوين من خطورته:

وفي هذه المرحلة يزداد الوضع سوءاً ويزداد تجاهل القائمين على المشروع وعد مبادرتهم لحل المشكلة.

المرحلة الرابعة:

مرحلة التعايش مع التعثر:

(22) البنك المركزي السوداني، الضوابط والتوجيهات، يناير 2009م.

وهذه المرحلة هي أخطر المراحل على الإطلاق، بحيث يصبح التعثر الطابع اليومي داخل المشروع، ويكون المشروع على وشك الإفلاس، وخلال هذه المرحلة يتم وقف الاستثمارات الجديدة وتنعدم الزيادة في الطاقة الإنتاجية، وتتحول العملية الإنتاجية إلى المحافظة على بعض خطوط الإنتاج وإغلاق الخطوط الأخرى التي لا يستطيع المشروع القيام بأعمال صيانتها، أو إصلاح الأعطال وتجديدها.

المرحلة الخامسة: مرحلة حدوث الأزمة المدمرة:

في هذه المرحلة تصل أخبار التعثر المالي إلى المتعاملين معه، وتبدأ عملية المطالبات المالية.

المرحلة السادسة:

مرحلة معالجة الأزمة أو تصفية المشروع:

في هذه المرحلة يتم استدعاء عدد من الخبراء والمتخصصين لدراسة أسباب التعثر وعلاجها سواء من خلال عمليات الدمج أو التصفية أو إعادة الهيكلة أو إعادة المشروع إلى مسيرته الطبيعية وقدرته على النمو وسداد التزاماته المستحقة بعد تسوية جديدة يقيمها البنك مع العميل بما يتناسب مع قدرته الجديدة على السداد[23].

المطلب الرابع: مظاهر التعثر

يوجد مجموعة من الأغراض أو المظاهر التي تدل على وجود أو احتمال بروز ظاهرة التعثر المالي ومن أهم هذه المظاهر نذكر ما يلي:

1- بطء حركة حساب العملي

2- تعدد الشيكات المرتدة الصادرة من العميل

3- انخفاض مبيعات العميل

4- انخفاض ربحية المشروع

(23) محسن أحمد الحضيري، الديون المتعثرة: الظاهرة، الأسباب، العلاج (القاهرة: إيتراك للنشر والتوزيع، ط1، 1997م)، ص37

5- انخفاض معدل العائد

6- انخفاض نسبة السيولة

7- انخفاض معدل دوران المخزون

8- ارتفاع نسبة الديون على العميل

9- زيادة الأنشطة الاستثمارية ذات المخاطر المرتفعة

10- التأخر في سداد الأقساط والالتزامات

11- تعدد كفالات العميل لآخر

12- تكرار تجاوز سقف القرض

13- توسيع العمل في البيع بالائتمان

14- تركز عملاء العميل في عدد محدود

15- زيادة المخصصات والاحتياطات

16- زيادة الالتزامات الثابتة للعميل

17- تعدد التصرفات الاقتصادية غير الرشيدة للعميل

18- صورية المشروع المقترض له.

إن وضع هذه المظاهر تحت الميكروسكوب تجعل اكتشاف التعثر مبكراً، وبالتالي يسهل علاجها في مراحلها الأولى قبل أن يستفحل خطرها وتهدد حياة البنك بالخطر وهو ما يطلق عليه الإنذار المبكر للتعثر.

المبحث الثالث: طرق معالجة الديون المتعثرة في ضوء الفقه الإسلامي

تعتبر المرابحات القصيرة والطويلة الأجل التي تمنحها البنوك لمعتمديها سواء أكانوا أفراداً أو شركات ومؤسسات كمرابحات المشاريع الصغيرة والاعتمادات التجارية من العمليات البنكية التمويلية الأساسية التي على أساسها تقوم البنوك بمنح التمويلات للمعتمدين بشتى أنواعها، ولكي يستطيع البنك منح التمويل فإن ذلك يتطلب من المعتمد تقديم كفالات وضمانات تضمن تسديده لأقساط القرض، وغالباً ما تتطلب من المعتمدين تقديم ضمانة عقارية وغير عقارية، حيث تتنوع تلك الضمانات فمنها ما يكون عبارة عن أسهم مرهونة في شركة أو كفيل شخصي محول راتبه للبنك او رهن مركبة ومنها ما يكون عبارة عن رهن عقاري وغير ذلك.

المطلب الأول: معالجة التعثر بالرهن

ومن طرق التوثق من الدين وطريق لمنع التعثر في الدين هو الرهن ففيه إمهال المعدم والفقير إلى أجل معين ليحضر ثمن السلعة، وهذا من التعاون على البر والتقوى.

الفرع الأول: تعريف الرهن ومشروعيته:

الرهن: بفتح أوله وسكون الهاء: في اللغة: الاحتباس من قولهم رهن الشيء إذا دام وثبت، ومنه: [كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ رَهِينَةٌ] [سورة المدثر:38].

وفي الشرع: جعل مال وثيقة على دين. ويطلق أيضاً على العين المرهونة تسمية للمفعول باسم المصدر.

وأما الرُّهُن: بضمتين، فالجمع، ويجمع أيضاً على رهان بكسر الراء ككتب وكتاب، وقرئ بهما[24].

بحيث يمكن أخذ ذلك الدين، أو أخذ بعضه من تلك العين.

فإذا استدان شخص دينا من شخص آخر وجعل له في نظير ذلك الدين عقاراً أو حيواناً محبوساً تحت يده حتى يقضيه دينه، كان ذلك هو الرهن شرعاً.

ويقال لمالك العين المدين: "راهن"، ولصاحب الدين الذي يأخذ العين ويحبسها تحت يده نظير دينه: "مرتهن" كما يقال للعين المرهونة نفسها: "رهن"[25]

والرهن مشروع بالكتاب والسنة والإجماع.

(24) ابن حجر العسقلاني، فتح الباري شرح صحيح البخاري، (القاهرة: دار السلام، ط1، 2008م) 459/7.

(25) سيد سابق، فقه السنة، (بيروت: دار الفكر: ط1-1418هـ-1997م) 154/3

فأما بالكتاب فقوله تعالى: [وَإِن كُنتُمْ عَلَى سَفَرٍ وَلَمْ تَجِدُواْ كَاتِبًا فَرِهَانٌ مَّقْبُوضَةٌ] [سورة البقرة:283].

وأما السنة فبما روى البخاري ومسلم من حديث عائشة رضي الله عنها: أن النبي ﷺ اشترى من يهودي طعاماً إلى أجل معلوم وارتهن منه درعا من حديد".(26)

وأما بالإجماع: فقد انعقد على ذلك.(27)

ولم يختلف في جوازه ولا مشروعيته أحد، وإن كانوا قد اختلفوا في مشروعيته في الحضر، والذي عليه جمهور العلماء أن الرهن يشرع في الحضر، كما يشرع في السفر؛ لفعل الرسول ﷺ له وهو مقيم بالمدينة، وأما تقيده بالسفر في الآية فإنه خرج مخرج الغالب، فإن الرهن غالباً يكون في السفر.

الفرع الثاني: أنواع الرهون:

والرهن نوعان أحدهما هو الرهن الحيازي وهو احتباس مال في يد الدائن أو يد عدل ضماناً لحق يمكن استيفاؤه منه كله أو بعضه بالتقدم على سائر الدائنين، والثاني هو الرهنٌ التأميني وهو رسميٌ قانوني ويسمى رهناً ائتمانياً أو رهناً تأمينياً، وهذا الرهن لا يترتب عليه نقل حيازة السلعة من المشتري إلى البائع، بل تبقى السلعة –السيارة مثلاً– في ملك المشتري وتحت تصرفه، ولكن لا يحق له التصرف بالمركبة المرهونة ببيعها أو رهنها رهناً ثانياً للغير أو رهن أي حصص فيها أو طلب ترخيصها أو طلب فك الرهن عنها أو نقل الملكية أو ترتيب أي حق أو التزام عليها إلا بموافقة البنك، ويبقى الرهن قائماً على المركبة حتى السداد النهائي والتام وإبراء ذمة المشتري لدى البنك كما ورد في صك الرهن المعمول به، والرهن التأميني أو الرسمي جائز شرعاً، وهو من باب حفظ الحقوق، ولضمان أداء الديون.

جاء في فتاوى هيئة الفتاوى والرقابة الشرعية لبنك دبي الإسلامي: "هل يجوز للمصرف الإسلامي إدخال السلعة المبيعة بالمرابحة كضمان؟ الجواب: العقد شريعة المتعاقدين فإذا اشترط البائع أن يحبس المبيع حتى أداء جميع الثمن فهو شرط يقتضيه العقد وإنما يحبس البائع المبيع إذا كان الثمن حالاً أما إذا كان مؤجلاً فلا يجوز الحبس لأنه رضي بتأخير الثمن، لكن يجوز له أن يرهن المبيع رهنا ائتمانياً أي رسمياً يُنص عليه في العقد حتى يستوفي الثمن ضماناً لحق البنك، لأن الرهن الائتماني لا يمنع المالك من التصرف في ملكه" (عن الإنترنت). وورد في معايير هيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية: "ينبغي أن تطلب المؤسسة من العميل ضمانات مشروعة في عقد بيع المرابحة للآمر بالشراء. ومن ذلك

(26) رواه البخاري برقم (2134) ومسلم (1603).

(27) الكمال بن الهمام، فتح القدير (بيروت: دار الفكر، ط1) 6/23.

حصول المؤسسة على كفالة طرف ثالث، أو رهن الوديعة الاستثمارية للعميل أو رهن أي مال منقول أو عقار، أو رهن سلعة محل العقد رهنا ائتمانياً رسمياً دون حيازة، أو مع الحيازة للسلعة وفك الرهن تدريجياً حسب نسبة السداد". (المعايير الشرعية: ص 115). وجاء في ضوابط عقد المرابحة الصادرة عن الهيئة الشرعية لبنك البلاد الإسلامي السعودي: "للبنك أن يطلب من العميل ضمانات مشروعة في عقد بيع المرابحة للآمر بالشراء. ومن ذلك: كفالة طرف ثالث، أو رهن أي منقول أو عقار للعميل، ولو كان المرهون مبلغاً في حساب جار أو استثماري له، أو كان المرهون هو السلعة محل العقد سواءٌ كان الرهن حيازياً، أو رسمياً دون حيازة. وينبغي فك الرهن تدريجياً حسب نسبة السداد" [28]

الفرع الرابع: كيفية معالجة الدين المتعثر بالرهن.

يمكن تقسيم طرق معالجة التعثر عن طريق الرهن لقسمين:

القسم الأول: قبل انعقاد عقد المرابحة وذلك باشتراط الرهن التأميني على السلعة وبذلك يضعف من قيمتها، وبهذه الطريقة يقل حدوث التعثر، لأن التعثر له أسباب كثيرة منها المماطلة والعسر والإفلاس والاحتيال وغيرها، فإذا تم اشتراط الرهن في عقد المرابحة فإن ذلك يقلل من حدوث تعثر خصوصاً ما كان سببه الاحتيال والمماطلة.

القسم الثاني: بعد انعقاد عقد المرابحة إذا حل أجل الدين ولم يقم المدين بسداد ما عليه من أقساط فإن المصرف له الحق في أن يبيع الرهن ليستوفي ثمنه من الرهن إذا اشترط ذلك في العقد، وأما إذا لم يشترط ذلك في العقد ولم يرض الدائن ببيع المرهون فإن القاضي يجبره على البيع عند جمهور العلماء[29].

المطلب الثاني: معالجة التعثر عن طريق الكفالة:

الفرع الأول: تعريف الكفالة.

الكفالة لغة: مأخوذة من كفل، ومنه قولهم: قد تكفلت بالشيء، إذا ألزمته نفسي، وتحملته، وجمع الكفيل: كفلاء، ومنه قوله تعالى: { فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنبَتَهَا نَبَاتاً حَسَناً وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقاً قَالَ يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ اللّهِ إِنَّ اللّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَاب}آل عمران: 37]

وأما الكفالة في الاصطلاح: فقد اختلف الفقهاء في تعريف الكفالة تبعا لاختلافهم فيما يترتب عليها من أثر.

فعرفها جمهور الحنفية بأنها: ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل في المطالبة بنفس أو دين أو عين.

(28) فتاوى هيئة الفتاوى والرقابة الشرعية لبنك دبي الإسلامي. موقع بنك البلاد على الإنترنت.

(29) ابن رشد الحفيد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد (القاهرة: دار الحديث، 1425هـ - 2004 م) ، 246/2.

وعرفها بعضهم بأنها: ضم ذمة الكفيل إلى ذمة الأصيل في الدين.

كما تعرف على أنها: عقد بمقتضاه يلتزم الكفيل الوفاء بدين للدائن في ذمة المدين إذا لم يوفي به هذا الأخير.

ويرى المالكية والشافعية في المشهور والحنابلة أن الكفالة هي: أن يلتزم الرشيد بإحضار بدن من يلزم حضوره في مجلس الحكم.

فالحنفية يطلقون الكفالة على كفالة المال والوجه، والمالكية والشافعية يقسمون الضمان إلى ضمان المال وضمان الوجه، ويطلق الشافعية الكفالة على ضمان الأعيان البدنية.

وأما عند الحنابلة: فالضمان يكون التزام حق في ذمة شخص آخر، والكفالة التزام بحضور بدنه إلى مجلس الحكم.

الفرع الثاني: حكم الكفالة.

الأصل في جواز الضمان والكفالة: الكتاب، والسنة، والإجماع.

فمن الكتاب:

قوله تعالى: [قَالُواْ نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَن جَاء بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَاْ بِهِ زَعِيمٌ } .

أي كفيل: ضامن.

وقوله تعالى: [سَلْهُم أَيُّهُم بِذَلِكَ زَعِيمٌ} ، أي: كفيل.

ومن السنة: حديث أبي إمامة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: "العارية مؤداة، والمنحة مردودة، والدين مقضي، والزعيم غارم".

قال الخطابي وغيره: الزعيم الكفيل، والزعامة الكفالة.

أما الإجماع: فقد أجمع المسلمون على جواز الضمان في الجملة. وأما الكفالة فقد قال الإمام الموفق ابن قدامة رحمه الله: [وقال الشافعي في بعض أقواله: الكفالة بالبدن ضعيفة، واختلف أصحابه، فمنهم من قال: هي صحيحة قولاً واحداً، وإنما أراد أنها ضعيفة في القياس، وإن كانت ثابتة بالإجماع، والأثر]

الفرع الثاني: كيفية معالجة تعثر الديون بالكفالة:

إذا نص في عقد بيع المرابحة بين المصرف والعميل على توثيق الدين بكفالة شخص آخر أو أكثر وعجز المكفول على سداد الدين، فإن على الكفيل إحضار المكفول أو دفع الدين الذي ضمنه إذا كان حاضراً، وإذا كان غائبا يرفع أمره للقاضي، فإن حضر المكفول دفع الدين، فإن لم يحضر يلزم القاضي الكفيل بدفع الدين، وكذلك في حالة موت المدين فإن الكفيل يدفع قيمة الدين، فعن سلمة بن الأكوع (أن النبي ﷺ أُتي بجنازة ليصلي عليها , فقال : هل عليه من دين

؟ قالوا : لا , فصلى عليها . ثم أُتي بجنازة أخرى , فقال : هل عليه من دين ؟ قالوا : نعم . قال : صلوا على صاحبكم . قال أبو قتادة : عليَّ دينه يا رسول الله , فصلى عليه)[30] ولا تسقط المطالبة بموت المطلوب عند أكثر العلماء.

المطلب الثالث: معالجة تعثر الديون بالحجر على ممتلكات المدين المماطل:

الفرع الأول: تعريف الحجر وحكمه:

- معناه اللغوي "المنع" يقال حجر عليه حجراً أي منعه من التصرف فهو محجور عليه.
- معناه الاصطلاحي "المنع من التصرفات المالية".
- أصل الحجر يرجع إلى كتاب الله الكريم وإن لم يستعمل فيه هذا اللفظ لبيان هذا الحكم ، فأفصح آية وأوضحها في هذا المعنى قوله تعالى : [ولا تؤتوا السفهاء أموالكم التي جعل الله لكم قياماً وارزقوهم فيها...] [سورة النساء ، الآية5]. وأيضاً قوله تعالى: [وابتلوا اليتامى حتى إذا بلغوا النكاح فإن آنستم منهم رشداً فادفعوا إليهم أموالهم]، ويستفاد هذا المعنى أيضاً من قوله تعالى : [فإن كان الذي عليه الحق سفيهاً أو ضعيفاً أو لا يستطيع أن يمل هو فليملل وليه بالعدل] [سورة البقرة ، الآية 282] . إن هؤلاء ينوب عنهم أولياؤهم في الأداء، فدل على ثبوت الحجر عليهم.
- وقد استعمل هذا اللفظ في الحديث النبوي والآثار أكثر من مرة، فعن كعب بن مالك أن النبي ﷺ حجر على معاذ ماله وباعه في دين كان عليه [دار قطني 231/4].
- وعن عروة بن الزبير أن عثمان رضي الله عنه حجر على عبد الله بن جعفر بسبب تبذيره [مسند الشافعي]. وهذا يدل أن لفظ الحجر صار مصطلحاً شرعياً في العصر النبوي على صاحبه الصلاة والسلام وعهد الخلفاء الراشدين رضي الله عليهم أجمعين

الفرع الثاني: كيفية معالجة تعثر الديون بالحجر على الممتلكات:

إذا لم يدفع المدين قيمة الدين بعد حلول الأجل، فإن الدائن يحق له رفع أمره للقاضي، وللقاضي إذا تأكد أن المدين غير مفلس ولا معسر ولكنه مماطل أن يبيع ممتلكاته بقدر ما يسد به الدين بعد أن يخير المدين بين الدفع أو الحجر، فإن اختار الدفع فقد حلت المشكلة، فإن أبى أجبر على البيع.

(30) رواه البخاري حديث رقم 2295

المطلب الرابع: معالجة تعثر الديون بدفع ديون المعسر من الزكاة:

الفرع الأول: حكم الزكاة للمدين

فإن الله تعالى جعل للغارمين نصيباً من الزكاة، فقال سبحانه وتعالى: [إِنَّمَا الصَّدَقَاتُ لِلْفُقَرَاءِ وَالْمَسَاكِينِ وَالْعَامِلِينَ عَلَيْهَا وَالْمُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ وَفِي الرِّقَابِ وَالْغَارِمِينَ وَفِي سَبِيلِ اللَّهِ وَابْنِ السَّبِيلِ فَرِيضَةً مِنَ اللَّهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ] [التوبة:60].

والغارمون جمع غارم وهو: الذي عليه دين، وهم قسمان:

- غارم لمصلحة نفسه، كأن يستدين في نفقة أو كسوة أو زواج أو سكن أو مرض ونحو ذلك.
- وغارم لمصلحة المجتمع أو لمصلحة الغير، وهم الذين يغرمون لإصلاح ذات البين.

فأما الغارم لمصلحة نفسه، فمن شروط إعطائه من الزكاة أن يكون في حاجة إلى ما يقضي به الدين، فيعطى منها وكذلك إن كان لا يملك شيئاً ولكنه يقدر على العمل والكسب فلا يمنع ذلك إعطاءه الزكاة، وأما إن كان غنياً قادراً على سداد الدين لم يعط من الزكاة، ولا يشترط أن يكون هذا الغارم صفر اليدين.

ومن شروط إعطائه: أن يكون قد استدان في مباح أو في طاعة، فلو استدان في معصية فلا يعطى كمن أخذ قرضاً ربوياً.

الفرع الثاني: معالجة التعثر عن طريق الزكاة

إذا حل أجل سداد الدين ولم يسدد المدين ما عليه، وكان هذا المدين معسراً أو مفلساً ممن تنطبق عليهم شروط الزكاة فإنه يجوز لصندوق الزكاة دفع قيمة الدين عنه، وقيمة الدين يجوز إعطاؤها للمدين مباشرة ليسدد بها دينه إذا كان ثقة، وإذا شك في أمره بأنه سيأخذ المال لنفسه فإن صندوق الزكاة يتواصل مع البنك مباشرة ويسدد الدين وذلك أصون لمال الزكاة.

المطلب الخامس: معالجة الدين المتعثر عن طريق التأمين التكافلي

الفرع الأول: تعريف التأمين وحكمه

التأمين لغة: من الأمن ضد الخوف، ويعني سكون القلب واطمئنانه وثقته، وأصل الأمن طمأنينة النفس وزوال الخوف[31].

(31) لسان العرب 107/1، المعجم الوسيط 28/1، وانظر: مفردات القرآن للأصفهاني ص52.

والتأمين في الاصطلاح: له عدة تعريفات، فعرفه السنهوري كنظام بأنه ''تعاون منظم تنظيماً دقيقاً بين عدد من الناس، معرّضين لخطر واحد، حتى إذا تحقق الخطر بالنسبة إلى بعضهم تعاون الجميع في مواجهته بتضحية قليلة يبذلها كل منهم، يتلافون بها أضراراً جسيمة تحيق بمن نزل الخطر به منهم''[32] فالتأمين نظام تعاوني تضامني.

أ- حكم التأمين التجاري: وهو الذي تقوم به شركات تجارية وفق عقد تبرمه الشركة مع الأفراد على ضمان ما يصيبهم من خطر، وهو عقد رضائي (مبدئياً) من الطرفين، وملزم للمتعاقدين، وهو عقد معاوضة، وعقد احتمالي يدخل في عقود الغرر، وهو عقد إذعان لتحقق الجانب القوي في المؤمِّن الذي يفرض شروطه غالباً، وخاصة عندما يكون إجبارياً من الدولة مباشرة، أو باشتراطها التأمين في حالات، وهو عقد زمني (مستمر)؛ لأن الزمن عنصر جوهري فيه، ثم صار عقداً مسمى بالتشريع.

ويشتمل التأمين التجاري بحسب موضوعه ومحله التأمين على الأشياء والممتلكات، وعلى الأشخاص (على الحياة، ومن الإصابات والحوادث، ومن المسؤولية عن الغير، ومن المرض، ومن أخطار النقل) والتأمين للحاجات (كالتأمين الهندسي على أخطار المقاولات والإنشاءات، والمعدات والآليات والأجهزة، والحاجات الاستشارية، والمساعدات الطارئة) والتأمين ضد المسؤولية للمراكز والمساجد والعمال.

والتأمين التجاري، كعقد، **غير جائز شرعاً**؛ لأنه عقد معاوضة يقوم على الجهالة والغرر الفاحش الذي يفسده، ويتضمن ربا الفضل وربا النسيئة، وتقوم الشركة أصلاً على أساس الربا، وتستثمر أموالها في الربا والسندات الربوية، والعقد يتضمن الميسر والقمار المحرمين شرعاً، وبيع الدين بالدين الممنوع، وهذا رأي جماهير العلماء المعاصرين، وهو ما انتهى إليه مجمع الفقه الإسلامي بمكة المكرمة سنة 1399هـ[33] وهو ما قرره أيضاً مجمع الفقه الإسلامي الدولي بجدة سنة 1406هـ/1985م بشأن التأمين وإعادة التأمين مع الدعوة للتأمين التعاوني.

ب – حكم التأمين التعاوني أو التكافلي: إن التأمين التعاوني أو التكافلي هو ما دعا إليه العلماء وطالبت به المجامع الفقهية والندوات والمؤتمرات الاقتصادية الإسلامية، ويقوم على أساس التبرع والتعاون لمواجهة نكبات الحياة

(32) الوسيط في شرح القانون المدني، الدكتور عبد الرازق السنهوري 1070/7.

(33) قرارات المجمع الفقهي الإسلامي ص 31، نشر رابطة العلم الإسلامي، الدورات 1-16، القرارات من 1-95، السنوات (1398-1422هـ/1977-2002م).

ومخاطرها، وآفاتها ومصائبها، بالتعويض عن الضرر، والمساهمة في تحمل الخسائر، ووجد فعلاً في السودان أولاً، ثم انتشر الآن إلى معظم البلاد العربية والإسلامية[34]، وهو أن يشترك مجموعة من الأشخاص بدفع مبلغ معين تبرعاً، ويؤدى من الاشتراكات تعويض للأضرار التي تصيب أحدهم إذا تحقق خطر معين، وضرر مؤكد على الأشياء والأشخاص والحالات المؤمَّن عليها.

والتأمين التعاوني أو التكافلي، من عقود التبرع الذي يخلو من المخاطرة والمقامرة، ولا يؤثر فيه الغرر، كما هو مقرر في الفقه الإسلامي، وليس فيه معاوضة بدفع أقساط لاحتمال الحصول على أضعافها عن وقوع الخطر، وهو تأمين تكافلي يقصد منه أصالة التعاون على تفتيت الأخطار، والاشتراك في تحمل المسؤولية عند نزول الكوارث، والمساهمة في تعويض الضرر عن طريق إسهام أشخاص بمبالغ نقدية لتدفع للمتضرر، دون استهداف للتجارة أو الربح من أموالهم أو أموال غيرهم.

ولذلك اتفق جماهير العلماء والفقهاء المعاصرين على مشروعية التأمين التعاوني أو التكافلي، وعملوا على رعايته، وتقديم العون العلمي والاستشاري له، وفتح الأبواب أمامه، وبيان الأبواب الفقهية التي يمكن الاعتماد عليها والاستعانة بها لسير أعماله، وشارك عدد كبير منهم في هيئات الرقابة الشرعية لشركات التأمين التعاوني أو التكافلي، للاطلاع على عقوده، لضمان موافقتها للشريعة الغراء، وحمايتها من تسرب الحرام والمحرمات.

الفرع الثاني: معالجة الدين المتعثر عن طريق التأمين التكافلي:

وتتمثل طريقة معالجة الدين المتعثر عن طريق التأمين التكافلي عن طريق إلزام المدين له بالاشتراك في (صندوق التأمين التكافلي)، وينص في نظام الصندوق على أن المشترك يسدد نسبة معينة من الدين المؤمن عليه في حساب خاص لهذه الغاية على سبيل التبرع، بحيث لا يستطيع استرداده، ثم يستحق المشترك تعويضاً عند التعرض لخطر من الأخطار التي تصيب الدَّين، كالموت والإعسار، فيدفع له من أموال الصندوق ما يسد به دينه أو بعضه، وتنتهي علاقة المشترك بالصندوق في حالة تسديد جميع الدين المؤمن عليه، لذلك يجوز اشتراط هذا الشرط؛ لأنه يحقق مصلحة كل من الدائن والمدين[35].

(34) السالوس، التأمين التعاوني وأصنافه، في: المعاملات المالية المعاصرة، ص 400.

(35) محمد الزحيلي، التأمين على الديون في الفقه الإسلامي، ( )ص23

خاتمة

تعتبر معالجة الديون المتعثرة من التحديات التي تواجه التمويلات الإسلامية في المصارف الليبية، وقد ذكرت في هذا البحث تعريف الديون وأنواعها وكذلك الدين المتعثر وأنواعه وأهم مظاهره وذكرت بعض الطرق لمعالجة الدين المتعثر في الفقه الإسلامي وهي عن طريق الرهن أو الكفالة أو الحجر أو إعطاؤه من الزكاة إذا كان معسرا، وأيضا التأمين التكافلي أو الدخول مع المدين في إجارة أو مشاركة.

تم والحمد لله رب العالمين.

المصادر والمراجع

ابن حجر، أحمد بن علي، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، تحقيق عبد العزيز بن باز، (بيروت: دار المعرفة، د. ط، 1379هـ).

ابن حنبل، أحمد،مسند الإمام أحمد بن حنبل، تحقيق شعيب الأرنؤوط وآخرون (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 1995م).

ابن رشد، أبو الوليد محمد، بداية المجتهد ونهاية المقتصد، (بيروت: دار المعرفة، ط 6، 1982م).

ابن عابدين، محمد أمين، رد المحتار على الدر المختار، تحقيق عادل أحمد عبد الموجود وآخرون (الرياض: دار عالم الكتب، طبعة خاصة، 2003م).

ابن قدامة، موفق الدين، المغني، تحقيق عبد الله بن عبد المحسن التركي وآخرون (الرياض: دار عالم الكتب، ط 3، 1997م).

ابن منظور، جمال الدين، (1980م)، *لسان العرب*، تحقيق عبد الله علي الكبير، محمد أحمد حسن الله، وهاشم محمد الشاذلي (القاهرة: دار المعارف، د. ط، د. ت).

أبو رمح، حسام محمد وهيب.(2006م). حسم الدّيْن في الفقه الإسلامي وتطبيقاته المعاصرة، رسالة ماجستير، كلية الفقه وأصوله، الجامعة الأردنية.

إدارة البحث والتطوير، (1432هـ/2011م). *أثر الديون المتعثرة من قبل عملاء المصارف الإسلامية*. البحرين- المنامة: مجموعة البركة المصرفية، سلسلة ورش العمل الفقهية، الكتاب رقم: 2. ط1.

براق محمد، وبن عمر خالد، *القروض البنكية المتعثرة، الأسباب والحلول*.

البنا، محمد علي محمد أحمد. (2006م). *القرض المصرفي دراسة تاريخية مقارنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الوضعي*. بيروت: دار الكتب العلمية. ط1.

البنك المركزي السوداني(2009م) الضوابط والتوجيهات، يناير. د. ط).

البنك المركزي الماليزي، (2004) إطار كفاية رأس المال للبنوك الإسلامية. ط1.

حسان، حسين حامد، (2002م) *خطة تحول البنك التقليدي إلى إسلامي، مصرف الشارقة أنموذجا*. بحث قدم في مؤتمر :دور المؤسسات المصرفية الإسلامية في الاستثمار والتنمية – بجامعة الشارقة)

حمّاد، نزيه كمال. (1410هـ/1990م). *دراسات في أصول المداينات*. الطائف: دار الفاروق. ط 1.

حمّاد، نزيه كمال. (1421هـ/2001م). *دراسة قضايا فقهية معاصرة في المال والاقتصاد*. دمشق: دار القلم، ط1.

حماد، نزيه كمال. (1427هـ/2007م). *قلب الدين والأحكام الفقهية المتعلقة به في الفقه الإسلامي*. مجلة العدل، العدد (31).

حميد، فؤاد،(2012م) *التصرف بقلب الديون وإعادة جدولتها لدى المؤسسات المالية الإسلامية* ، مجلة البحوث الإسلامية، العدد3.

الخضيري، محسن أحمد(1996م) ، *الديون المتعثرة الظاهرة..الأسباب..العلاج* (القاهرة: إيتراك، ط1)

الخوالدة، محمود محمد سليم. (2008م). *المصارف الإسلامية*. عمان: دار الحامد للنشر والتوزيع. ط 1.

الرازي محمد بن أبي بكر(1989م)، *مختار الصحاح*، (بيروت: مكتبة لبنان، ط 1)

الربيعة، سعود محمد،(1992) *تحول المصرف الربوي إلى مصرف إسلامي ومقتضياته*، (الكويت: جمعية إحياء التراث الإسلامي)

رحماني، إبراهيم. (1432هـ/2011م). *حماية الديون في الفقه الإسلامي*. بيروت: دار البشائر الإسلامية. ط1.

الرفاعي، جميلة عبد القادر. (2010م). الدين المعدوم في الفقه الإسلامي، أسبابه، وعلاجه. المجلة الأردنية للدراسات الإسلامية. العدد (2).

الزحيلي، وهبة. (1997م). *بيع الدين في الشريعة الإسلامية بين الأصالة والمعاصرة*. دمشق: دار المكتبي للطباعة والنشر والتوزيع. ط1.

السالوس، علي، (2001م) *التأمين التعاوني وأصنافه*، في: المعاملات المالية المعاصرة.

السالوس، علي أحمد. (1986م). *المعاملات المالية المعاصرة*. الكويت: مكتبة الفلاح.ط1.

السمديسي، صبحي كامل الدسوقي. (1429هـ/2009م). *ضمان المديونية وحمايتها من التعثر في الفقه الإسلامي*. الإسكندرية: دار الجامعة الجديدة للنشر. ط1.

السويلم، سالم. (1996م). *موقف الشريعة من الدّيْن*. مجلة بحوث الاقتصاد الإسلامي.

شحاتة، حسين حسين.(2001م) *الضوابط الشرعية لفروع المعاملات الإسلامية بالبنوك التقليدية*. (بنك دبي الإسلامي مجلة الاقتصاد الإسلامي، العدد 240، ربيع الأول 1422هـ)

صبري حسن نوفل،(2000م) *إدارة مخاطر الائتمان المصرفي* (القاهرة: المعهد العربي للتمويل والاستثمار، ط1).

على، احمد محمد(1999م) . *تجربة إسلام المصارف في السودان*. (بيروت ندوة البركة السادسة عشر)

علي القره داغي، *أحكام التصرف في الديون دراسة فقهية مقارنة* (جدة: مجلة المجمع الفقهي، العدد 12).

العوضي، علي. (2004م). *الديون المتعثرة تسويتها وتجنبها*. القاهرة: دار النهضة العربية للنشر والتوزيع. ط1.

الفيروز ابادي، مجد الدين محمد،(1301هـ) ، *القاموس المحيط*، (الإسكندرية: المطبعة الأميرية، ط 3)

الفيومي أحمد بن محمد،(، 1922م) *المصباح المنير في غريب الشرح الكبير للرافعي*، (القاهرة: المطبعة الأميرية، د. ط م)

القرطبي، محمد بن أحمد (2006م)، *الجامع لأحكام القرآن*، تحقيق عبد الله التركي، (بيروت: مؤسسة الرسالة، ط 1، 2006م)

الكاساني، أبو بكر بن سعود. (2000 م). *بدائع الصنائع في ترتيب الشرائع*. (بيروت: دار إحياء التراث العربي)

مجلة مجمع الفقه الإسلامي، الدورة السابعة، العدد السابع.

مجمع اللغة العربية،(2004م) *المعجم الوسيط*، (القاهرة: مكتبة الشروق، ط 4)

محسن أحمد، الخضيري(1996) *الديون المتعثرة الظاهرة..الأسباب..العلاج* (القاهرة: إيتراك، ط 1).

محمد الزحيلي، (2004م) *التأمين على الديون في الفقه الإسلامي*، ط1.

محمد، فضل عبد الكريم. (2001م). *تعثر الديون في المصارف الإسلامية دراسة تطبيقية على المصارف السودانية*. رسالة ماجستير، كلية العلوم الإسلامية، جامعة وادي النيل.

مخلوف، حسنين محمد،(2002) *معاني كلمات القرآن*، (بيروت: دار إحياء التراث العربي)

المرطان سعيد بن سعد، (1989م) الفروع والنوافذ الإسلامية فى المصارف التقليدية" ،(الدار البيضاء: ندوة حول التطبيقات الإقتصادية الإسلامية المعاصرة)

هاني أبو جبارة، (1994م) *ندوة الديون المتعثرة والتعامل بها*، (عمان: مجلة البنوك).

SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Research

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

العدد 2، المجلد 2،نيسان 2016م.

e-ISSN 2289-9073

DAWR ALSANAT ALNUBAWIAT ALMUSHARIFAT FI SINAEAT AL'IIBDAE WALTAMAYUZ

دور السنة النبوية المشرفة في صناعة الإبداع والتميز

نجم عبد الرحمن خلف

ساجدة حلمي سمارة

جامعة العلوم الإسلامية الماليزية

ماليزيا

sajedah@usim.edu.my

1437هـ – 2016م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 9/2/2016
Received in revised form 20/2/2016
Accepted 25/3/2016
Available online 15/4/2016

ABSTRACT

Allah (swt) has sent His Prophet Muhammad (saw) to produce a divine and a distinguished Ummah, which He named a "moderate nation". In another place, Allah (swt) describes it "the best nation": "You are the best nation produced [as an example] for mankind. You enjoin what is right and forbid what is wrong and believe in Allah. If only the People of the Scripture had believed, it would have been better for them. Among them are believers, but most of them are defiantly disobedient." It is also the Ummah of the "straight path." The path which balances between materiality and spirit, life and hereafter, mind and revelation, perfection and reality, individualism and collectivism, freedom and responsibility and creativity and pious. On such bases, a unique and universal civilization was founded. The Islamic civilization, which was dominant over other nations for decades, quoting from previous civilizations with modification and additions and innovating in the field of religion and life, combines between divine and humanity, science and religion and progression and morals.

As for nowadays, Muslims should be a continuity of the Prophetic method in calling for knowledge and learning, idealism and innovation and transparency and advancement. Alike the movement of Hadith, which was a mercy and a pleasantness to humanity. It came with respect to other religions and maintained individuals' dignity, unlike contemporary civilizations, which constructed buildings but dishonored humans and excluded religion, even though it spoke loudly or accepted by many.

الملخص

إنَّ الله بعث رسوله الكريم، ليصنع به أمةً ربانيةً متميزةً، سمَّاها الله {أُمَّةً وَسَطاً}[1] ، {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَوْ آَمَنَ أَهْلُ الْكِتَابِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ مِنْهُمُ الْمُؤْمِنُونَ وَأَكْثَرُهُمُ الْفَاسِقُونَ}[2] {خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}[3] وهي أمة "الصراط المستقيم"، صراط التوازن والتكامل بين المادة والروح، بين الدنيا والآخرة، بين العقل والوحي، بين المثالية والواقعية، بين الفردية والجماعية، بين الحرية والمسؤولية، بين الإبداع المادي والالتزام الإيماني، فقامت على أساس هذه التعاليم حضارة عالمية فَذَّة، جمعت بين الربانية والإنسانية، بين العلم والإيمان، بين الرقي والأخلاق، هي الحضارة الإسلامية التي سادت العالم قروناً، واقتبست من حضارات الأقدمين، وَهذَّبتها وأضافت إليها، وابتكرت الجديد المفيد في علوم الدين ومعارف الدنيا.

فلا بد لنا أن نكون اليوم امتداداً للمنهجية النّبوية في الدعوة إلى العلم والتعلم، والتمييز والابتكار، والنقاء والارتقاء، وكما صنعت السنة المشرفة الطليعة المبدعة التي سُعدت بها الإنسانية، فاختزلت الزمان والمكان واحترمت الأديان، وصانت كرامة الإنسان، خلافاً للحضارة المعاصرة، التي أقامت العمران، إلا أنها أهانت الإنسان، وأقصت الأديان، وإن علا صوتها ولمع بريقها في الأرض والأنفس والأفاق.

ومن التوجيهات النبوية في الحرص على أن يكون المسلم مبدعاً متميزاً، قوله – صلى الله عليه وسلم –: "أحب الأسماء إلى الله عبد الله وعبد الرحمن , وأصدقها حارث وهمام وأقبحها حرب ومرة."[4]

(1) القرآن الكريم، سورة البقرة 2 :143

(2) القرآن الكريم، سورة آل عمران 3 :110

(3) القرآن الكريم، سورة آل عمران3 :110

(4) البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)في "الأدب المفرد"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت،الطبعة: الثالثة، 1409 - 1989 ، باب أحب الأسماء إلى الله عزوجل،ج1: ص437، وأبو داود أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجِسْتاني، سنن أبي داود: تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، صيدا – بيروت، باب في تغيير الأسماء، ج4:ص287، والترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ، 1998م في " الجامع الكبير – سنن الترمذي " تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي، باب ماجاء مايستحب من الأسماء،ج4، ص429

المقدمة

قال ابن مسعود وهو يوجه الجيل المسلم: " لا تكونوا إمعة تقولون : إن أحسن الناس أحسنا وإن ظلموا ظلمنا ولكن وطنوا أنفسكم إن أحسن الناس أن تحسنوا وإن أساؤوا فلا تظلموا "[5].

والمتابع لحركة الإبداع الإسلامية يجد أنها لم تخمد جذوتها، ولم تسكن حركتها بتغير الأحوال أو تبدل الأيام أو تعاقب النوائب. ومن أول ما يشهد لذلك هو أن كثيراً من تراثنا قد بقي موفوراً يملأ الخزائن العامة والخاصة إلى عهدٍ قريب، وأن ما ضاع منه بسبب غفلة الناس وتفريطهم أكثر مما ضاع بسبب عوادي الحروب والأيام، ولا زالت الأيام تظهرنا على مخطوطات نفيسة كنا نعدها من المفقودات. وكم في الزوايا من خبايا. ولكي يعلم القارئ قدر العطاء العلمي الذي خلفه لنا سلفنا عليهم رحمة الله فليراجع ما أُلّف من كتبٍ للفهرسة ككتاب (الفهرست) لابن النديم، أو (فهرسة ابن خير الأشبيلي الأندلسي) أو (كشف الظنون عن أسماء الكتب والفنون) لحاجي خليفة؛ وهو من أنفع وأجمع ما كُتب في موضوعه، وذيله "ايضاح الكنون في الذيل على كشف الظنون" لإسماعيل باشا البغدادي أو (خزائن الكتب العربية في الخافقين) للفيكونت فيليب دي طرّازي؛ وقد أحصى في هذا الكتاب عدد المكتبات العربية في العالم فبلغت نحو (1500 مكتبة) يُقدر ما فيها من كتبٍ عربية بنحو (262) مليون مجلد ما بين مخطوطٍ ومطبوع.

عناية الإسلام بالعلم وتشجيع العلماء

لقد رفع الإسلام الحنيف من قدر العلم والعلماء، وحث على طلب العلم، ثم إن معجزته كتاب، وهو القرآن الكريم، ومن آياته (اقرأ باسم ربك). ونحن العرب والمسلمين أهل أصالة في العلم، قدنا الإنسانية مرة نحو المجد والقوة بفضل نفر كريم من العلماء العرب والمسلمين، حملوا المشاعل وأضاءوا دياجير الجهل، في الوقت الذي كانت أوروبا غارقة في ظلماته ، لعلنا من الناحية العلمية أغنى الأمم تراثا، وقد تعاقبت علينا حضارات تمثلنها ورعيناها، وقمنا بذلك الواجب العلمي والإنساني نحو البشرية كلها. لقد كانت اللغة العربية في يوماً ما هي اللغة العلمية العالمية، وأنها كانت تحتكر المؤلفات العلمية، لا تكاد تنشر إلا بها، نعم لقد كانت العربية يوماً هي اللغة الدولية في هذا الميدان.

(5) الترمذي، السنن، وقال: هذا حديث حسن غريب لانعرفه إلا من هذا الوجه ج3، ص: 432

وأن الحضارة الغربية الحديثة لمدينة للحضارة العربية الإسلامية وهي في أزهى عصورها بالإسهامات القوية في تطوير الفكر الغربي عن طريق ما بذله الأوربيين في العصور الوسطى من ترجمة في اللغة العربية للغات الأوروبية المختلفة وما نهلوه من معرفة وعلم في مراكز الإشعاع للحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى.[6]

لقد رسم الإسلام الخطوط الرئيسية لحل جميع المشاكل البشرية في كل زمان ومكان، والتقدم العلمي الذي حققه المسلمون على مر العصور التي مرت بها الأمة الإسلامية إبان قوتها، بسبب الإيحاءات التي يستمدها المسلمون من القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، لأن المسلم يستلهم الأوامر والنواهي من القرآن.

ولقد تطرق القرآن لتشجيع العلم والعلماء في كل مجالات الحياة، مما يحتاجه الفرد والجماعة سواء في الدنيا أو في الآخرة فلا غرابة أن نجد سائر الآيات والأحاديث تمجد العلم والعلماء وتثنى على العقل والفكر والتدبر، لذلك كثرت في القرآن الدعوات إلى التعقل والتنويه بالتفكير، والإشادة بالتدبر ولوم الغافلين والجهال والسخرية ممن لا يفكرون .

حيث أشاد الله سبحانه بالعلم والعلماء حيث قال: " قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لايعلمون، إنما يتذكر أولو الأباب"[7] كما رفع من قيمتهم فقال سبحانه:" يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات"[8].

وليست هذه الإشادة مقصورة على نوع معين من العلم، وليس التفكير الذي يحض عليه القرآن الكريم محصوراً في نطاق من المعرفة المحددة، فالعلم الذي ينوه به القرآن الكريم عام، يشمل جميع العلوم من فقه، وتفسير، وحديث، وطب، وفلك، ورياضة،وهندسة، واجتماع، إلى غير ذلك مما تحتاجه الأمة الإسلامية لشؤون الدين والدنيا، وإن تفاوت قدر الأجر والثواب فيها .

ولا غرابة في عناية القرآن الكريم بالعلم والفكر، لأن العقول هبة من الله تعالى ينميها التفكير، ويغذيها العلم ويرقيها إستخدامها فيما خلقت له، لتهدي إلى الحق والخير ولتدفع إلى الإقرار بوحدانية الله تعالى، وقدرته وحكمته، ولتمكن للناس أن يستفيدوا مما سخر الله لهم وقد حث الله جل جلاله على العلم، ويسر أسبابه وهي:

1-القـراءة .

2- النظر والتأمل

(6) د/ مسلم شلتوت، الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى والتحدي المعاصر

(7) القرآن الكريم، سورة الزمر، : 9

(8) القرآن الكريم، سورة المجادلة،: 11

3- السير في الأرض[9]

ففي "القراءة" نجد سورة "اقرأ" وكذلك قوله تعال(والْقَلَمِ وَمَا يَسْطُرُونَ)[10].

أما في "الحث على النظر والتأمل" فيقول سبحانه وتعالى: (أَفَلاَ يَنظُرُونَ إِلَى الإِبْلِ كَيْفَ خُلِقَتْ، وَإِلَى السّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ، وَإِلَى الْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ، وَإِلَى الأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ)[11].

أما في "الحث على السير في الأرض" فيقول الله سبحانه وتعالى: (أَفَلَمْ يَسِيرُواْ فِي الأَرْضِ فتكون لهم قلوب يعقلون بها أو آذان يسمعون بها فإنها لا تعمي الأبصار ولكن تعمي القلوب التي في الصدور)[12].

الإبداع الحضاري والعلمي عند المسلمين وأثره في الحضارات الأخرى

إن الحضارة الاسلامية قامت على الحوار مع الشعوب والحضارات الاخرى التي تعامل معها المسلمون مثل حضارة الهند وحضارة الفرس في الشرق وحضارة اليونان في الغرب، وقد كان فضل العلماء العرب عظيما على الحضارة الانسانية، حيث كانوا لبنة اساسية من لبناتها، فقد نقلوا العلم اليوناني واستوعبوه وأضافوا إليه إبداعاتهم التي مازالت مؤثرة في العالم حتى اليوم، ويرتكز بناء الحضارة الإسلامية على ثلاثة مصادر:

1- المصدر السماوي الذي من الله تعالى علينا به، المتمثل بكتابه الخالد العظيم القرآن الكريم، والسنة النبوية المشرفة التي لا تنطق عن الهوى، وهذان هما المصدران الرئيسان لأمة الإسلام اللذان اختصنا الله تعالى بهما، وميزنا ببركة ما فيهما من النور والعلم عن سائر الأمم. ثم عكف علماؤنا في كل فن على فهم الوحيين، وقاموا بواجب البيان والشرح، والتقعيد والتأصيل، والاستنباط والتأويل، وقد خلفوا لنا من وراء ذلك ثروة علمية هائلة في كمها وكيفها.

(9) د/ فهد العصيمي، فضل الإسلام والمسلمين في التقدم العلمي، ص5

(10) القرآن الكريم، سورة القلم، : 1

(11) القرآن الكريم،سورة الغاشية :17- 20.

(12) القرآن الكريم، سورة الحج 269.

2- المصدر النقلي مما قمنا بترجمته من حضارات الأمم السابقة، وقد كنا أمناء في ترجمة هذه العلوم ومصادرها، ننسب كل كتاب وفائدة لأصحابها بكامل الدقة مع حفظ الحقوق، ولم يقف علماؤنا عند الترجمة، وإنما ضموا إلى هذا المجهود العلمي عملية المدارسة والتأمل والتصويب والإضافة.

3- المصدر الثالث قام على منهجية الابتكار والتجريب، مع الاستقراء والسبر، والاستنباط والاستخراج والتفسير والتعليل، والقياس. وقد فعل أئمتنا جميع هذه الوسائل العلمية والفكرية وأبدعوا فيها غاية الإبداع.

- أما ما يتعلق بالوحيين؛ فإن العلوم الإسلامية:

1- إما منزلة من الله تعالى على رسوله الأمين صلى الله عليه وسلم للناس أجمعين بالنصوص الصريحة.

2- وإما توجيهات وبيانات واضحات وتفصيلات من الرسول الأمين صلى الله عليه وسلم.

3- وإما اجتهادات علمية استنباطية من فقهاء الأمة وعلمائها في فهم النصوص الوحيين مع توضيح المراد منها.

- وأما علوم اللغة العربية فقد كانت كلها من أعمال علماء المسلمين، واستنباطاتهم وتصنيفاتهم وإبداعاتهم، وقد قامت على:

1- الاستقراء التام لهذه العلوم للبناء عليها، واستخراج القواعد والقوانين منها.

2- السبر والاستقراء والغوص العميق لإدراك المرامي والمقاصد من وراء هذه النصوص، وتركيباتها واستعمالاتها؛ وذلك لاستنباط واستخراج هذه القواعد.

3- محاولة تفسير وتعليل هذه الظواهر اللغوية.

4- الاعتناء بقياس الأشباه والنظائر بعضها على بعض.

- وأما العلوم البحتة العقلية والكونية والطبيعية وما يلتحق بها، فقد كانت أعمال العلماء المسلمين فيها مبنية على جملة من الوسائل، من أهمها:

1- اعتماد المفاهيم الإسلامية فيها، المستقاة من كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم، لا سيما إذا كانت نصوص الوحيين قد دلت على قواطع بشأن أي أمر منها، أو ظنون قد ترجحت فيها.

2- الاجتهاد في عملية البحث والتأمل استجابة لأمر الله لهم للنظر في جميع الظواهر الكونية بغية التعرف على سنن الله وقوانينه، التي أتقن بها صنع كل شيء في هذا الكون.

3- اعتماد المنهج التجريبي مع ملاحظة النتائج وتدوينها.

4- الاقتباس من علوم وحضارات الأمم السابقة لبعثة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، واعتماد ما كان منها حقًّا واضحاً، أو صالحًا لحياة الناس. مع اجتناب الخرافات والخزعبلات، والأوهام والأساطير التي امتلأت بها حياتهم وآثارهم، في مجالات كثيرة.

5- ما توصل إليه علماء المسلمين بتأملاتهم، وبحوثهم، وابتكاراتهم العلمية، وتجاربهم العملية، فهي من إضافاتهم الحضارية، وسبقهم العلمي المتميز.

إزدهار الحضارة الإسلامية وتخلف الأوروبية

"كان للفتوحات الإسلامية الأثر البعيد في البلاد التي دخلت تحت لواء الإسلام، وظهر هذا الأثر بوضوح في شمال أفريقيا، إذ تحول مصر بأكملها من الحضارة اللاتينية إلى الحضارة العربية. إن أثر العرب والإسلام في تاريخ العصور الوسطى لا يقف عند حدّ التغييرات السياسية التي أحدثوها في أوضاع العالم المعروف، بل يبدو هذا الأثر أشد ما يكون وضوحًا في الميدان الحضاري، كما إن العرب لم يغرقوا في نشاطهم الحضاري بين المسلمين وغير المسلمين بل سمحوا للنصارى واليهود بالتتلمذ عليهم والاستفادة منهم، فأقبل الأوربيون في الأندلس وصقلية، والآسيويون في الشام وغيرها، على دراسة المعارف الإسلامية وترجمتها، مما ساعد على نهضة أوروبا في العصور الوسطى"[(13)].

ولقد كان واقع حال أوروبا والغرب كله في فترة ازدهار حضارة أمة الإسلام حالة متخلفة مزرية، ففي الوقت الذي أخذ المسلمون يبنون حضارتهم بهدي من توجيهات الإسلام، من خلال آيات القرآن الكريم، وبيانات الرسول العظيم القولية والفعلية، وتوجهت أنظارهم لإصلاح أهل الأرض، ودعوة الناس إلى صراط الإسلام المستقيم، فانطلقوا شرقًا وغربًا وشمالا وجنوبا فاتحين مهذبين معلمين فضائل الأخلاق ومحاسن الشيم، وعاملين بتعاليم الإسلام.

(13) د/ عماد الدين خليل،1412هـ، 1992م، قالوا عن الإسلام ،الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط1، ،ص 278 ، إبراهيم خليل أحمد ، محمد في التوراة والإنجيل والقرآن، ص 205

وفي انطلاقتهم أخذوا يعلمون الناس ما هداهم إليه إسلامهم من حضارة فكرية اعتقادية، وحضارة سلوكية فردية وأسرية واجتماعية، كما حرصوا – باعتبارهم مستخلفين في الأرض – على بناء حضارة مادية تنشد الخير، وتقاوم الشر والفساد، مؤمنين بأن الله عز وجل سخر الكون للناس لينتفعوا بما فيه من خيرات وطاقات على كل صعيد، ضمن قواعد الحق والفضيلة والجمال، ومؤمنين بأن الله تعالى سيمكنهم إذا هم استعملوا طريق البحث والتنقيب، والتأمل العميق، وإجراء التجارب العملية من التوصل إلى مفاتيح الكون، وطاقاته الخفية، والتعرف على مساربه، وأن يكونوا دائما في ارتقاء حضاري، سباقين إلى كل فضيلة وعلم، حريصين امتلاك القوى والطاقات " وَاللَّهُ أَخْرَجَكُمْ مِنْ بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ لَا تَعْلَمُونَ شَيْئًا وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ" (14) وحين انطلق المسلمون في هذه الميادين العلمية والعملية، كانت الشعوب الأوروبية، والشعوب العربية قاطبة، في جهل مطبق وأمية متفشية في القسم الأعظم منهم، وتخلف حضاري في الفكر، وفي السلوك الفردي والاجتماعي والسياسي والتربوي، وفي مختلف مجالات العلوم. وبينما كان كثير من علمائنا المسلمين يتوجهون باهتمام بالغ لدراسة العلوم البحتة الرياضية والعقلية والطبية والطبيعية، ويبحثون في الظواهر الكونية من حولهم عن العلل والأسباب، بغية اكتشاف سنن الله وقوانينه في الكون، واستخراج ما أودعه سبحانه من طاقات وامكانات في خباياه، كان رجال الكنيسة و قادتها في أرجاء الأرض يحاربون كل من يأتي بنظرية أو حقيقة علمية تخالف تعليماتهم التي درجوا عليها، حتى ولو كانت من الخرافات والأساطير، وربما كانت عقوبة من يخالف الحرق بالنار لهرطقته وأفكاره المخالفة لتعليماتهم.

مع أن تعليماتهم أوضاعهم هذه ما هي إلا من الأساطير التي أخذوها عن أهل القرون الماضية، وليست من دين الله الصحيح الذي أنزله على أنبيائه ورسله.

ولما كان الإسلام دين النظافة والنقاء المادي والمعنوي فقد أوجب عل المسلمين أن يتوضؤوا لصلواتهم، وأن يغتسلوا اغتسالات واجبة، واغتسالات مندوبة، وأمرهم بالاستنجاء والاستجمار إذا لم يجدوا الماء، وأن يتحرزوا من النجاسات والقاذورات، ويسارعوا إلى إزالتها عن أجسامهم وثيابهم وأماكنهم وجميع أشيائهم إذا وقعت عليها النجاسات أو لامستها، بينما كان الناس في أوربا وفي البلاد الغربية عامة، لا يعرفون شيئًا عن الطهارة وإزالة النجاسات من الأبدان والثياب والأمكنة والأدوات، ولا يعرفون الاستنجاء بالماء حتى رأوا المسلمين يفعلون ذلك، وقد استمروا في ذلك حتى اكتشف

(14) القرآن الكريم،سورة النحل16: 78

علماؤهم الجراثيم والأوبئة والميكروبات، ورأوا أن النجاسات والقاذورات هي أعظم البؤر الحاملة لها، وأنها تسبب الأمراض والعلل والأوجاع والأوبئة الخطيرة.

ولا شك أن الطهارة والعناية بها من أجلى مظاهر الحضارة البشرية، فكيف إذا ضممنا إليها الطهارة المعنوية من تزكية النفس، وتخليتها من الآفات والعلل النفسية، فإن هذا الدين قد حرص عل نقاء الظاهر والباطن.

قال الأستاذ عباس محمود العقاد في معرض حديثه عن أثر الحضارة الإسلامية في نهضة الغرب في كتابه: "وقد أصاب "أبانيز" حين قال: إن عصر النهضة مدين للحضارة الأندلسية قبل الحضارة الإيطالية التي أعقبتها؛ لأن عصر النهضة لم يكن عصر تجديد للفنون الإغريقية القديمة ولا مزيد على ذلك من عنده، ولكنه كان عصر تجديد في الحياة العملية والمرافق الصناعية والتجارية، وفهم مستحدث للعقيدة وللعالم، وللعلاقات بين الحاكمين والمحكومين، أو كان عصر معيشة جديدة تناولت بالتبديل والتعديل طبقات الشعوب من العلية إلى السواد، وذلك أولى أن يأتي من القدوة الشعبية في جميع الشئون العملية بعد اتصال المعاشرة بين حضارة العرب –يعني: المسلمين– وأبناء أوروبة الغربية عدة قرون."[15]

شهادات الغرب على تطور المسلمين وإبداعهم

لقد جاءت النهضة بعد عهد الحضارة الأندلسية، وجاء الإصلاح الديني بعد النهضة، وجاءت الحرية السياسية بعد الإصلاح، فليس في وسع المتعصبين منهم أن يقطعوا الصلة بين الحركة الأولى وما تلاها، مع هذا التلازم في الزمان والأسباب.

يقول "سارتون": "حقق المسلمون عباقرة الشرق أعظم المآثر في القرون الوسطى، فكتبت أعظم المؤلفات قيمة، وأكثرها أصالة، وأغزرها مادة باللغة العربية. وكانت من منتصف القرن الثامن– أي الميلادي – حتى نهاية القرن الحادي عشر لغة العلم الارتقائية للجنس البشري، حتى لقد كان ينبغي لأي كان إذا أراد أن يلم بثقافة عصره، وبأحدث صورها أن يتعلم اللغة العربية. ولقد فعل ذلك كثيرون من غير المتكلمين بها".[16]

(15) عباس محمود العقاد 2002 م "أثر العرب في الحضارة الأوروبية"، مصر: دار نهضة مصر، إشراف د/ سمير سرحان، طبعة خاصة ضمن مشروع مكتبة الأسرة، ص98

(16) جلال مظهر، 1967م، أثر العرب في الحضارة الأوروبية " نهاية عصور الظلام و تأسيس الحضارة الحديثة"، بيروت، منشورات الرائد، ص 170

ويقول "نيكلسون": "إن أعمال العرب – أي: المسلمين – العلمية اتصفت بالدقة وسعة الأفق. وقد استمد منها العلم الحديث –بكل ما تحمل هذه العبارة من معان– مقوماته بصورة أكثر فعالية مما نفترض." (17)

ويقول "سيديو""تكونت فيما بين القرن التاسع والقرن الخامس عشر مجموعة من أكبر المعارف الثقافية في التاريخ، وظهرت منتوجات ومصنوعات متعددة، واختراعات ثمينة تشهد بالنشاط الذهبي المدهش في هذا العصر. وجميع ذلك تأثرت به أوروبا، بحيث يؤكد القول إن العرب "أي: المسلمين" كانوا أساتذتها في جميع فروع المعرفة، لقد حاولنا أن نقلل من شأن العرب "أي: المسلمين" (18) ولكن الحقيقة ناصعة يشع نورها من جميع الأرجاء. وليس من مفر أمامنا إلا أن نرد لهم ما يستحقون من عدل إن عاجلاً أو آجلاً"..

ويقول "جوستاف لوبون": "كان تأثير العرب "أي: المسلمين" في الغرب عظيمًا للغاية، فأوروبا مدينة للعرب – أي: المسلمين – بحضارتها. ونحن لا نستطيع أن ندرك تأثير العرب "أي: المسلمين" في الغرب إلا إذا تصورنا حالة أوروبا عندما أدخل العرب – أي: المسلمون – الحضارة إليها".

كما جاء في كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب": إن "جربرت" الذي ارتقى كرسي البابوية سنة "999م" قد تعلم الرياضيات والفلك على أيدي أساتذة من العرب في إسبانية، وأنه استمع إلى الأساتذة العرب، وتعلم أشياء لم يكن أحد في أوروبة ليحلم بأن يسمع بها، وكان من أهم ما تعلمه "جربرت" نظام الأرقام والأعداد العربية. وأنه حير بعلمه معاصريه، وأن قومه نظروا إليه كساحر، وكفنان غريب، ونسجوا حوله الإشاعات، حتى قيل: إنه كان يهرب ليلًا من الدير إلى إسبانية ليتعلم على أيدي العرب علم الفلك والفنون الأخرى." (19)

وقالت المستشرقة الألمانية "زيغريد فيه أيضًا: "فقد كان في مدينة قرطبة وحدها خمسون مستشفى في أواسط القرن العاشر الميلادي، فطغت بهذا العدد على مدينة "بغداد" عاصمة الدنيا آنذاك، ومضرب الأمثال في عصر الخليفة "هارون الرشيد" وكانت المستشفيات تتمتع بموقع تتوافر فيه كل شروط الصحة والجمال، وتزود بماء حار للحمامات مد لها من نهر دجلة."(20)

---

(17) المرجع السابق، ص170

(18) جلال مظهر،"أثر العرب في الحضارة الأوروبية" ص170

(19) زيغريد هونكة، 1993م، شمس العرب تسطع على الغرب، أثر الحضارة العربية في أوربة، نقل فاروق بيضون و كمال دسوقي مراجعة مارون عيسى الخوري،بيروت:دار الجيل،بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط8، ص80

(20) المرجع السابق،ص228-229.

وقالت المستشرقة الألمانية زيغريد: قبل 600 عام كان لكلية الطب الباريسية أصغر مكتبة في العالم، لا تحتوي إلا على مؤلف واحد، وهذا المؤلف كان لعربي كبير.

ولقد اعترف الباريسيون بقيمة هذا الكنز العظيم، وبفضل صاحبه عليهم وعلى الطب إجمالًا، فأقاموا له نصبًا في ساحة القاعة الكبيرة في مدرسة الطب لديهم، وعلقوا صورته وصورة عربي آخر في قاعة أخرى كبيرة تقع في شارع "سان جرمان" إنه أبو بكر محمد بن زكريا الرازي." (21)

كما قالت المستشرقة الألمانية زيغريد: "لم يكن الرازي ذلك الطبيب العظيم فحسب، بل كان أيضًا أحد الأوائل الذين جعلوا من الكيمياء علمًا صحيحًا".(22)

وقالت المستشرقة الألمانية زيغريد: "لقد انطلق الأوروبيون إلى مدن إسبانية، وخلجان إيطالية، بل إلى مدن المشرق؛ سعيًا وراء المعارف العربية. فاهتمام "فريدريك الأول" بعلم النجوم العربي، هو الذي حدا به إلى انتزاع "جيرارد" من قلب مدينته الوفية "كريمونا"1 وإرساله إلى إسبانيا، وقد أوصاه بمهمة جلب "المجسطي" لـ"بطليموس" – وهو أقدم كتاب في علم الفلك– من مدينة "طليطلة" وكان ذلك في الوقت الذي تغنى به القوم بشهرة "سالرنو" – مدينة إيطالية – المتفتحة تحت شمس المعرفة العربية. ولكنه ما إن وصل إلى هذه القلعة السابقة للفكر العربي – أي: المفكرين المسلمين – ورأى هذه الكنوز الفكرية العظيمة، التي ظهرت للأعين فيها حتى قرر البقاء هناك. وبقي مدة تزيد على العشرين سنة، جمع فيها أكثر من ثمانين مخطوطة بالإضافة إلى كتب "المجسطي" وعاد بها إلى موطنه "كريمونا".– مدينة إيطالية، قرب مدينة نابلي – وكانت هذه المخطوطات كنوزًا فكرية بحد ذاتها، وثمرات عظيمات قيمات وسافرات النضج."(23)

وقالت المستشرقة الألمانية زيغريد: "وتدفق سيل الترجمة تدفقًا متواصلًا لم يكن بوسع أحد أن يمنعه، وانطلق من إسبانيا، وصقلية، وشمالي إيطالية، فمن مدينة "بادوا" جاءت ترجمة "الكليات" لابن رشد، وترجمة كتاب "التيسير" لابن زهر، مرتين على التوالي. ومن "صقلية" جاءت ترجمة "الحاوي" أضخم كتاب للرازي، وقد أمضى اليهودي "ابن سليم" المتعلم في "سالرنو" نصف حياته في ترجمته. وظلت حركة الترجمة من العربية إلى اللاتينية على أشدها حتى القرن السادس عشر الميلادي، وأضيفت أشياء جديدة لم تكن معروفة، وأعيدت ترجمة كتب أخرى مرة ثانية، ككتاب "القانون" لابن سينا، وكتاب "زاد المسافرين" لابن الجزار، وكتب أخرى للرازي، ولابن رشد. وبهذا انطلقت حركة فكرية جبارة لم يقدر أي من

(21) المرجع السابق، ص243-244

(22) المرجع السابق ص251.

(23) المرجع السابق، ص303

العلماء في القرون التي تلت إلا أن يتأثر بها".[24] وقالت المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه":"إن سيلًا عرمًا من نتاج الفكر العربي – أي: من نتاج المسلمين – ومواد الحقيقة والعلم وقد نقحته أيد عربية – أي: أيد مسلمة – ونظمته، وعرضته بشكل مثالي، قد اكتسح أوروبة –ولو في رداء ركيك من اللغة اللاتينية– وغمر أرضها الجافة عمرًا، فأشبعها كما يشبع الماء الرمال الظمأى. وبعد الموجة الأولى التي سمت بـ"سالرنو" إلى ذرى من الشهرة العالمية التي لا تضاهي، جاءت الموجة الثانية فبعثت الحياة النابضة في مدينة "مونبليه" الواقعة على مفترق الطرق بين إسبانيا وما تبقى من بلاد الغرب، وأمدت مدرسة "بولونية" الإيطالية، وجامعتها، بدفعات جديدات من الذخر العربي، وأعطت مواد الدراسة المثالية إلى "بادوا" و"باريس" و"أكسفورد". وفي مراكز العلم الأوروبية لم يكن هناك عالم واحد من بين العلماء، إلا ومد يديه إلى الكنوز العربية هذه يغترف منها ما شاء الله له أن يغترف، وينهل منها كما ينهل الظمآن من الماء العذب؛ رغبة منه في سد الثغرات التي لديه، وفي الارتقاء إلى مستوى عصره العلمي. ولم يكن هناك كتاب واحد من بين الكتب التي صدرت في أوروبة آنذاك إلا وقد ارتوت صفحاته بالري العميم من الينابيع العربية، وأخذ عنها ... وظهر فيه تأثيرها واضحًا كل الوضوح، ليس فقط في كلماته العربية المترجمة، بل في محتواه وأفكاره."[25] .

كما قالت المستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه": "فمنذ مائتي سنة قدم العرب إلى صقلية من تونس، من المنطقة التي حول القيروان، وحولوا خرائب صقلية إلى حدائق غناء، واستوردوا لها من بلادهم أشجار النخيل، وزرعوا فيها أشجار البرتقال والفستق والموز والزعفران، فحولوا الجزيرة الفقيرة بالقطن وقصب السكر إلى بلد يزخر بالخيرات، وزينوها بالقصور والمساجد الرائعة التي كانت تعج بالشعراء والمغنين والفلاسفة والأطباء وعلماء الرياضة والطبيعة، ويُحصيها ابن حوقل – عام 970م – في "بالرمو" فقط بثلاثمائة ما بين قصر ومسجد. واستخدم المتعلمون في صقلية في كتاباتهم ورقًا أبيض كان أول ورقة عرفته أوروبة، وكان ذلك قبل أن تُصدره إسبانية إلى الغرب بزمن طويل." [26]

ومما يؤكد هذه الحقائق من اعترافات غربية منصفة ما جاء في كتاب "شمس العرب تسطع على الغرب" للمستشرقة الألمانية "زيغريد هونكه" ما يأتي: "ولعل من أهم عوامل انتصارات العرب "أي: المسلمين" هو ما فوجئت به الشعوب من سماحتهم، حتى إن الملك الفارس "كيروس. KYROS" نفسه قال: "إن هؤلاء المنتصرين لا يأتون كمخربين" فما يدعيه

(24) المرجع السابق، ص303-304.

(25) المرجع السابق، ص305-306.

(26) المرجع السابق، ص306.

بعضهم من اتهامهم بالتعصب والوحشية، إن هو إلا مجرد أسطورة من نسج الخيال تكذبها آلاف من الأدلة القاطعة عن تسامحهم وإنسانيتهم في معاملاته مع الشعوب المغلوبة."

وتتبع المستشرقة "زيغريد" بيانها هذا بقولها: "والتاريخ لا يقدم لنا في صفحاته الطوال إلا عددًا ضئيلًا من الشعوب التي عاملت خصومها والمخالفين لها في العقيدة بمثل ما فعل العرب "أي: المسلمون". وكان لمسلكهم هذا أطيب الأثر، مما أتاح لحضارتهم أن تتغلغل بين تلك الشعوب بنجاح لم تحظ به الحضارة الإغريقية ببريقها الزائف، ولا الحضارة الرومانية بعنفها في فرض إراداتها بالقوة"[27] .

وجاء فيه عقب بيانها الموسع عن اتجاه الإمبراطورية الرومانية لمحاربة البحث العلمي في الظواهر الطبيعية لاكتشاف قوانين الكون وسننه، وأن من الضلال البحث عن الحقيقة في غير الكتاب المقدس، والتفكير والتمحيص في أمور دنيوية، قولها: "وكان أكبر دليل مؤلم على هذا التفكير الغريب أعمدة الدخان، وألسنة اللهب التي اندلعت فوق الإسكندرية، كنز المعرفة الإغريقية على مر العصور، والتي أصبحت حينذاك مركزًا للكنيسة المسيحية إلى جانب روما. احمرت بنيراها فوق دلتا النيل، وأحرقت نفائس ثمينة لا تُعَوَّض، من الشعر، والأدب، والفلسفة، والتاريخ، والعلم، والثقافة الإغريقية. أحرقتها وأبادتها جموع من المسيحيين المتعصبين. لقد ذهب جزء هام من المكتبة قبل ذلك، عام "48ق. م" طعمة للنيران أثناء حصار "يوليوس قيصر"، ولكن "كليوباطرة" عوضت هذه الخسائر من مكتبة "برجامون Pergamon" وفي القرن الثالث الميلادي بدأت تبرز التخريبات المبيتة ضدها. فأغلق أحد البطاركة المسيحيين مدرسة متحف الإسكندرية، وطرد طلابها.

وفي أيام حكم القيصر "فالنس 336م Valens" حول المتحف إلى كنيسة، وسلبت مكتبته، وطورد فلاسفته بتهمة السحر والشعوذة. وفي عام "381م" استصدر البطريرك "تيوفيلس Theophilos" من القيصر "تيودوسيوس Theodosius" إذنًا بتخريب السرابيون، أكبر ما تبقى من الأكاديميات وآخرها، وإشعال النيران في مكتبته الثمينة. وبهذه الطريقة فقدت البشرية جزءًا هامًّا من ثقافتها لا يمكن تعويضه".

(27) المرجع السابق، ص357-358.

وقالت أيضًا:"وهكذا اختفت مراكز الحضارة الإغريقية واحدًا إثر واحد. وأُقفلت آخر مدرسة للفلسفة في آثنية عام "529م" وأحرقت في روما عام "600م" مكتبة البلاتين، وهدم ما تبقى من آثار أبنية القدماء. وعندما دخل العرب "أي: المسلمون" الإسكندرية عام "642م" مكتبة البلاتين، وهدم ما تبقى من آثار أبنية القدماء. لم يكن هناك منذ زمن طويل مكتبات عامة كبيرة. مستفيضة أنه مجرد اختلاق لا أساس له من الصحة.

إن "عمرو بن العاص" فاتح الإسكندرية، هو نفسه "عمرو" الذي ضرب المثل بتسامحه طوال فتوحاته، وحرم النهب والسلب والتخريب على جنوده، وعمل ما كان غريبًا عن فهم الشرقيين القدماء والمسيحيين على السواء. لقد ضمن صراحة للمغلوبين حرية ممارسة شعائرهم الدينية المتوارة".(28)

وجاء فيه في معرض مقارنتها بين حث الإسلام على طلب العلم، واكتساب المعارف الدنيوية بالإضافة إلى المعرفة الدينية، وتخوف المسيحيين من المعارف الدنيوية قولها: "مفهومان مختلفان، بل عالمان منفصلان تمامًا، حددا بهذا طريقين متناقضين للعلم والفكر، في الشرق والغرب. وبهذا اتسعت الهوة بين الحضارة العربية "أي: الإسلامية" الشامخة، والمعرفة السطحية المعاصرة في أوروبا حيث لا قيمة لمعرفة الدنيا كلها". "أي: إبان ازدهار حضارة المسلمين".

وقولها بشأن رفض معلمي الكنيسة يومئذ فكرة كروية الأرض: "وأما ما يدعيه بعضهم من أن الأرض كروية فهو كفر وضلال، فمعلم الكنيسة "لاكتانتوس Lactanius" يتساءل مستنكرًا: "هل هذا من المعقول؟ أيعقل أن يُجن الناس إلى هذا الحد، فيدخل في عقولهم أن البلدان والأشجار تتدلى من الجانب الآخر من الأرض، وأن أقدام الناس تعلو رؤوسهم؟ لقد كانت الأرض بالنسبة إلى بعض الناس تلًّا تدور الشمس حوله ما بين الشروق والغروب، وبالنسبة إلى الآخرين مسطحًا تحيط به المحيطات. لقد قُضي بهذا التفكير الساذج على تطور العقل البشري في العصور السابقة، وعاد عصر الملاحظة البدائية والتفكير المشعوذ إلى الحياة من جديد. ملعون من يقتنع أو يقبل في ذلك العصر تفسيرًا علميًّا لحوادث الطبيعة. خارج عن طاعة الرب من يشرح أسبابًا طبيعية لبزوغ كوكب، أو فيضان نهر، بل من يعلل علميًّا شفاء قدم مكسورة، أو إجهاض امرأة، فتلك كلها عقوبات من الله، أو من الشيطان، أو هي معجزات أكبر من أن ندرك كنهها !!.

(28) المرجع السابق، ص362-363.

وإذا كانت القوى الدينية "أي: المسيحية" قد كسرت جهدها للهدف الديني. فإنها قد هبطت بالمعرفة الدنيوية، فابتعدت تمامًا عن الثقافة، والفكر الإغريقي، وانغمست في الخرافات والترهات التي لن نستطيع اليوم أن نتصور مدى انتشارها، وسيطرتها على العقول الساذجة. ولم تشمل هذه الحركة الرجعية العامة من الناس فحسب، بل إن المتعلمين أيضًا لم يكن لهم من زاد عقلي سوى بعض الأساطير المليئة بالخرافات المقتبسة أسوأ اقتباس عن اللاتينية البربرية، أو عن قصص الإغريق وأساطير الشرق القديمة. وما وصلت إليه الكنيسة وكهنتها في المجال الديني لم يكن عامل إنقاد للحضارة بل كان عائقًا لها. وظل الفكر الإغريقي بالنسبة إليهم غريبًا، فحوالي عام "300م" علل أسقف قيصرية "أوزيبوس Eusebius" ذلك المسلك لعلماء الطبيعة من "الإسكندرية" و"برجامون" قائلًا: إن موقفنا هذا ليس جهلًا بالأشياء التي تعطونها أنتم كل هذه القيمة، وإنما لاحتقارنا لهذه الأعمال التي لا فائدة منها، لهذا فإننا نشغل أنفسنا بالتفكير فيما هو أجدى وأنفع. ولقد كان الفكر الإغريقي يُمثل للمسيحيين شبحًا ملعونًا، فلم يقتربوا منه، بل حطموا جزءًا كبيرًا من تراثه، وحرموا منه البشرية.

ولقد كان الفكر الإغريقي يُمَثِّل للمسيحيين شبحًا ملعونًا، فلم يقتربوا منه، بل حطموا جزءًا كبيرًا من تراثه، وحرموا منه البشرية. حتى إن الغرب اضطر بعد صحوته أن يبدأ من جديد، على الرغم من أن الحضارات القديمة، والهيلينية على الخصوص، كانت قد وصلت في سالف أيامها إلى درجة كبيرة من الرقي. وعلى الرغم من هذا فقد بدا للسادة المهيمنين على الأمور ضرورة تحريم الكتب، التي تهتم بالأمور الحقيرة الدنيوية على المتعلمين ورجال الدين المسيحي. ففي عام "1206م" نبه مجمع رؤساء الكنائس المنعقد في باريس رجال الدين بشدة على عدم قراءة العلوم الطبيعية، واعتبر ذلك خطيئة لا تغتفر.

وقضى هذا التفكير الضيق على كل موهبة، وعاق كل بحث علمي، وأجبر كل المفكرين الذين لا تتفق أعمالهم ومعتقدات الكنيسة هذه، على إنكار ما قالوه من النظريات العلمية، وإلا كان مصيرهم الحرق العلني، بالنار، لكفرهم وخروجهم على المعتقدات الإلهية – بحسب زعمهم الفاسد –.

ومن هنا فقط يتضح لنا تمامًا لماذا احتاجت الحضارة في الغرب ألفًا من السنين، قبل أن تبدأ بالازدهار تدريجيًّا، مع أنها قد كانت لديها فرصة مناسبة لتبدأ قبل الحضارة العربية "أي: حضارة المسلمين" بقرنين أو ثلاثة.

وجاء فيه أيضًا قولها: "لقد أحاط العرب "أي: المسلمون" الكتب بقلوبهم، حتى المؤلفات الفنية الدقيقة في الهندسة والميكانيكا والطب والفلك والفلسفة. وكما تطلب الدولة المنتصرة من الدولة المنهزمة تسليم أسلحتها وسفنها الحربية،

شرطًا أساسيًّا لعقد الصلح، هكذا طلب "هارون الرشيد" بعد احتلاله لعمورية وأنقرة تسليم المخطوطات الإغريقية القديمة. وكما يستولي المنتصرون اليوم على المناجم، والصناعات الحربية الهامة، والأسلحة المدمرة مع مخترعيها، نرى "المأمون" بعد انتصاره على "ميخائيل الثالث" قيصر بيزنطية، يطالب بتسليم أعمال الفلاسفة القدماء، التي لم تتم ترجمتها بعد إلى العربية، ويعتبر ذلك بديلًا عن تعويضات الحرب. إنها أسلحة تساهم في بناء المجد. وما دام الأمراء العرب قد شغفوا بأوراق البردي والبرجامون نصف الممزقة، فإنه لم يكن هناك من طريق لكسب صداقتهم أنجح من إهدائهم بعض لفائف الكتب التي تراكم التراب فوقها. هذا ما فكر به قاطنو البوسفور، فأرسلوا إلى "عبد الرحمن الثالث" أمير الأندلس، حقيبة كبيرة –بغية توطيد الصداقة معه– وهذه الحقيبة ملأى بالمخطوطات القديمة، ومن بينها تعاليم الطب والعلاج لـ"ديسقوريدس Dioskurides" وكان ثمن بيع هذا الفكر القديم باهظًا، ولكن العرب "أي: المسلمين" كانوا على استعداد لدفع الثمن مهما كان. وأُرسلت البعثات الخاصة من بغداد، للبحث عن كنوز العلم، حاملة أكياسًا من النقود، إلى بيزنطية والهند؛ إذ قام المتعلمون من مختلف البلدان بدور السماسرة. وأصبح اقتناء المخطوطات التي لم تترجم حتى ذلك الحين هواية الأمراء، والوزراء، وسراة القوم. فضحوا بمبالغ طائلة من بلاد الإغريق وآسية الصغرى، وفي كل مكان وطئته أقدام الإغريق يومًا ما، عن طريق بعثات العلماء، أو عن طريق عملائهم الخاصين. أجل لقد دفعوا ثمنًا باهظًا وجدوه باقيًا من الآثار العلمية، وكان قد نجا من أعمال التخريب الفظيعة الشائنة. واستطاع العرب "أي: المسلمون" كذلك أن يكشفوا كثيرًا من الكنوز، ففي قبو مظلم تسكنه الفئران والعناكب في الإسكندرية، عثر القوم بين حجرين هائلين على كتاب في فنون الحرب، وعثروا على كتاب آخر في قدر مغلقة تحت جدران دير سوري. وفي آسيا الصغرى، وعلى مسير ثلاثة أيام من بيزنطية، عثر "محمد بن إسحاق" على مكتبة ضخمة في معبد قديم كبير، له باب لم ير من قبل بابًا حديديًّا في ضخامته. لقد أنشأ الإغريق هذا المعبد يوم كانوا يعبدون النجوم والأوثان، وقدموا فيه القرابين لآلهتهم. ويتحدث "محمد بن إسحاق" عن مجهوده في هذا السبيل، باعتباره مندوبًا عربيًّا في البلاط البيزنطي، فيقول: "لقد رجوت الحاكم أن يفتح لي هذا المعبد، ولكنه ماطل في ذلك؛ لأن أبواب هذا المعبد لم تفتح منذ انتحلوا المسيحية، ولكنني لم أكف عن إغرائه، فعاودته في مناسبات عدة، وطلبت إليه ذلك كتابة ومشافهة في جلسة من جلسات بلاطه التي اشتركت فيها. وأخيرًا وافق على فتحه، فرأيت في هذا المبنى المشيد بأحجار المرمر الفاخرة، رأيت على حوائطه من الكتابات والرسوم ما لم أر أفخم ولا أجمل منه، ومن المخطوطات القديمة شاهدت هناك ما يحمل جمالًا، إنها تقارب الألف كتاب، وكان جزء منها ممزقًا، وكان الجزء الآخر نصيبًا للديدان". إن ما قام به العرب "أي: المسلمون" لهو عمل إنقاذي له مغزاه في تاريخ العالم. إنها حضارة قد هوت وتحطمت، وكانت على وشك الفناء أمام أعين صانعيها الذين

صار لهم هدف آخر يسعون إليه، وهذا الهدف لا يمت لهذا العالم بصلة. فما بقي من هذه الحضارة يجب أن تشكر عليه البشرية اليوم العرب "أي: المسلمين" وحبهم للعلم، ولا يعود لبيزنطية فيه إلا فضل قليل"[29].

قال دكتور راغب السرجاني في كتابه "شهد شاهد من أهلها" ذكر فيها شهادات الغرب على حضارة المسلمين:

- في عهد ملك إسبانيا كارلوس الثالث في القرن الثامن عشر كانت معرفة اللغة العربية من مؤهلات ترقي الموظفين، ثم دار الزمان حتى أصبح بعضنا يستحي من العربية!
- وما كاد الإسلام يظهر حتى احترقت وثنيات العرب وجدليات النصارى وكل ما ليس بحق، فإنه حطب ميت أكلته نار الإسلام، ذهب والنار لم تذهب. (توماس كارليل: الأبطال)
- حق لنا أن نقول دون أن نتهم بالمغالاة: إن الكتب الإسلامية من القرن التاسع إلى القرن الثاني عشر أجمل ما رأته العين من الكتب في العالم كله. (ول ديورانت)
- العلم الإسلامي لم ينفصل عن الدين قط، بل كان الدين هو ملهمه وقوته الدافعة الرئيسة. (المستشرق روم لاندو)
- لقد ظل الإسلام خمسة قرون من عام ٧٠٠م إلى ١٢٠٠م يتزعم العالم كله في القوة والنظام وبسطة الملك وفي ارتفاع مستوى الحياة والتشريع الإنساني الرحيم والتسامح الديني والآداب والبحث العلمي والعلوم والطب والفلسفة. (ول ديورانت)
- كانت قرطبة في القرن العاشر محط إعجاب العالم ودهشته وكان السياح القادمون إليها من الشمال يسمعون بما هو أشبه بالخشوع والرهبة عن تلك المدينة. (براند جون)
- لا شك أن المستوى الأخلاقي الرفيع الذي يسم شريعة العرب قد طور ورقى مفاهيمنا العصرية وهنا يكمن فضل هذه الشريعة الباقي على مر الدهور. (سانتيلانا)
- بدأ إنشاء المدارس في فرنسا في القرن العاشر وكان أشهرها (مدرسة ريمس) التي أنشأها البابا سلفستر الذي درس في جامعتي قرطبة والقرويين. (المستشرقون للعقيقي)
- القرآن لا يأمر المسلمين أن يتخلوا عن العقل ولم ينشأ في يوم من الأيام أي صراع بين البحث العلمي العقلاني وبين الدين في التراث الإسلامي. (كارين ارمسترونج)

(29) المرجع السابق، ص375-377.

- لقد جاء الإسلام على كل الملل الكاذبة والنحل الباطلة فابتلعها، وحق له أن يبتلعها، لأنه حقيقة خارجة من قلب الطبيعة. (توماس كارليل في كتابه: الأبطال)
- كانت صقلية حين جلاء العرب عنها أرقى ثقافياً وصناعياً واجتماعياً منها حين دخلوها. كان للعرب تأثير عظيم في صقلية. (جوستاف لوبون)
- كان عند بعض الأمراء كالصاحب بن عباد من الكتب بقدر ما في دور الكتب الأوروبية مجتمعة. (ول ديورانت)
- ما وجدتُ ديناً أرقى من الإسلام في معاملته للإنسان بكل عناصره. (المستشرق الألماني بورج كرايمر)
- إن شهادة التوحيد فيها من الحيوية ما يقطع بضربة واحدة شجرةَ الوثنية. (روم لاندو: الإسلام والعرب)
- يقول أناتول فرانس عن معركة بواتيه التي هُزم فيها المسلمون: ليت شارل مارتل قُطعت يده ولم ينتصر على الغافقي؛ إن انتصاره أخّر المدنية عدة قرون.
- من خلال وساطة العلماء العرب اكتسب الغرب أرقامه الحديثة، وأعاد اكتشاف كتابات الإغريق، وتقدم في علم الفلك. (انتحار الغرب)
- لقد حرر محمد المرأة العربية، ومن أراد التحقق بعناية هذا النبي بالمرأة فليقرأ خطبته في مكة وليقرأ أحاديثه. (المستشرق الفرنسي اندريه سرفيه)
- لا يتحدث هذا النبي عن المرأة إلا في لطف وأدب، كان يجتهد دائماً في تحسين حالها ورفع مستوى حياتها. (اندريه سرفيه)
- منح الإسلام المرأة حقوقاً واسعة تفوق في جوهرها الحقوق التي منحناها للمرأة الفرنسية. (صحيفة المونيتور الفرنسية)
- احذفوا العرب من التاريخ، يتأخر عصر النهضة في أوروبا عدة قرون. (ليبرى)
- إن العرب هم في الواقع أساتذة أوروبا في جميع فروع العلم والمعرفة بأبحاثهم واكتشافاتهم. (سيديو)
- إن جامعات الغرب عاشت خمسمائة سنة تكتب للعرب خاصة، والمسلمون هم الذين مدّنوا أوربا في المادة والعقل والخلق. (جوستاف لوبون)
- لا يوجد جنس بشري يبلغ في الكرم ما يبلغه العربي، كرم يصدر عن نفس صادقة! (المستشرق بودلي)
- الحج أعظم شاهد على ديمقراطية الإسلام؛ فهناك يجتمع المسلمون الأوروبيون والآسيويون والافريقيون، والصعاليك والأمراء ويعاملون دون تمييز. (بودلي)

- يجب أن نقر بأن نصف بل أكثر من نصف الأدوية المعالجة للأمراض التي يستخدمها الغرب إنما جاءت عن العلماء المسلمين. (المستشرق الفرنسي فرناند بروديل)[30]

دور السنة النبوية في تنمية المهارات

السنة النبوية المشرفة منهج رباني بعث به النبي صلى الله عليه وسلم وبلغه إلى البشرية، فمنطلقها هو الوحي، وهدفها هو إنشاء الواقع الأمثل للبشر. والأمم الحية تتنافس اليوم على كسب التقدم الحضاري، ومعلوم أن نمو الحضارات ورقي المجتمعات إنما يقاس على أساسٍ من التميز والإبداع، لفرض الذات للتأثير، ولتمكين القدرات للتغيير، ولا يتم ذلك إلا بأسلوب تقديم النموذج الأمثل والأجود إنساناً وعملاً وإدارة وسلوكاً.

والسنة النبوية هي الأقوم في هذا الميدان؛ فهي تحمل للإنسانية منظومة متكاملة في صناعة التميز والإبداع، بها بدأت، وبإلهاماتها ثبتت وترسخت، وبتوجيهاتها نضجت واكتملت، ما تركت مجالا من مجالات الحياة إلا وقد صبغته بصبغتها، ولا احتاجت إلى غيرها لإتمام تميزها.

فكيف نسهم بالسنة النبوية في تنمية المهارات، وشحذ القدرات، وإبراز الكفاءات، وترشيد القيادات في ضوء قيمة التميز الذي قدمته للبشرية؟ يمكن أن نجيب على هذا التساؤل بما يأتي:

1- إحياء القيم الحضارية في السنة النبوية، ومعالجة مشكلات الواقع في ضوئها.

2- بيان السبق الحضاري للسنة النبوية في مجال صناعة التميز وتنمية المهارات.

3- نشر ثقافة التميز وتنمية المهارات في المجتمع.

4- تنمية التفكير الإبداعي والمنهجي في التعامل مع نصوص السنة النبوية.

5- التوجيه إلى رعاية الموهوبين والمتميزين من أفراد الأمة.

وقد عنيت السنة المشرفة بالواقعية, والالتزام المهني والأخلاقي، والوسطية، والعدل والإنصاف والموضوعية، والفاعلية، والتكامل المعرفي والأدائي. أما التطبيقات النبوية في صناعة التميز وتنمية المهارات، فقد ظهرت جلياً في والتربية والتعليم، والدعوة والإعلام، الإدارة والقيادة، المال والأعمال، والأسرة والمجتمع. كما أنها عنيت بالمرأة كما عنيت بالرجل، لقد اهتمت بدور المرأة في صناعة التميز، ودورها في تنمية المهارات، ودورها في الإبداع، كما أنها عالجت جميع معوقات إبداع المرأة.

(30) http://twitmail.com/email/377779858/4/

تؤكد السنة النبوية على حاجتنا الماسة إلى التفكير بطريقة بديعة مبتكرة. وأن تسعى للحصول على أبكار الأفكار التي لم تُسبق إليها، وإن كان لا يلزم من ذلك أن تكون هذه الأفكار كبيرة ومعقدة؛ بل المهم أن تكون لنا إضافاتنا التطويرية على ما انتهى إليه الناس.

وعند الحديث عن تأثر الأمة بالمنهج النبوي المبدع المبتكر يكون حديثنا عن القرن الثالث الهجري، العصر الذهبي للسنة النبوية (200هـ ـ 300هـ) هو القرن الذي شهدت فيه علوم كثيرة تحولاً عظيماً، على يد علماء عاشوا في هذا القرن، كانوا أئمة العلم والدين، وقدوة في ذلك للأجيال من بعدهم. فإذا خصصت علوم السنة بالحديث، فهذا العصر الذهبي له. الذي ما إن يذكر حتى تتمثل في المخيلات: صورة الآلاف المؤلفة من طلاب الحديث وهم يلتفون حول أحد أعيانه، وازدحام بلدان الإسلام وعواصمه بالمحدثين وهم رائحون غادون من مسجدٍ إلى منزل إلى ساحةٍ، من عالم إلى عالم، معهم المحابر والأقلام والورق. وأحسب لو نظرت إلى الصحارى وطرق المسافرين ومنازل السفر، لرأيت الأحمال تحط وترحل، والقوافل متتابعة من سمرقند وبخارى، إلى قرطبة وإشبيلية، ومن القوقاز إلى صنعاء وعدن، في حركةٍ دؤوب، وأموج تلو أمواج متتابعةٍ، تحكي عجائب الرحلة في طلب الحديث !

أما تدوين السنة، الذي يعتبر مقياساً لتطور علوم الحديث، فهذا العصر هو عصر أصول السنة وأمهات الدين، فهو عصر: مسند الإمام أحمد ، والكتب الستة الأصول. بما فيهما الصحيحان فهما قمة القمم، وأصح كتابين بعد كتاب الله عز وجل، وهما إمام التأليف البشري: في شرف الغاية، وعمق الفكرة، وبعد النظرة، وعبقرية الخطة، وتفوق المنهج، وتكامل القدرات، وبذل الجهد، واسترخاص الدنيا، وروعة الأسلوب، وإتقان التنفيذ ...

بل هذا عصر أصول السنة، من مسانيد، وجوامع، وصحاح، وسنن، ومعاجم، وعلل، وتواريخ ، وأجزاء، وغير ذلك: من وجوه التصنيف الأصلية في السنة، ومن المصنفات التي لا يحويها حصر، ولا يبلغها عد، فهي تكاد تكون بعدد الألوف المؤلفة، من طلبة الحديث، وحفاظه، والرحالين فيه، ممن حواهم هذا القرن، بل تفوق عددهم؛ لأنه لا يخلو أن يكون لبعض منهم أكثر من مؤلف ، بل ربما عشرات المؤلفات.

كيفية عودة المسلمين إلى الصدارة

إن الوسيلة الوحيدة لذلك هي التمسك بالإسلام والعض عليه بالنواجذ ، يقول عمر بن الخطاب – رضي الله عنه– : "إنكم كنتم أول الناس وأحقر الناس وأقل الناس فأعزكم الله بالإسلام فمهما تطلبوا العز بغيره يذلكم الله"[31]. وسوف

(31) ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، 1407 هـ – 1986 م البداية .

يهدينا الإسلام ويقودنا إلى الصدارة لنحمل مشعل الحضارة ونقود العالم إلى حياة أفضل تنيرها شريعة الله، على أنه توجد خطوات يجب على القادر أن ينفذها لنصل إلى هذه النتيجة.

1 - الحكم بشريعة الإسلام في شتى ميادين الحياة في سائر العالم الإسلامي .

2 - غرس الإيمان وعقيدة الإسلام في نفوس الناس ، وخصوصاً الشباب عن طريق التركيز على مواد التربية الإسلامية في المدارس والمعاهد والجامعات ، وتذكيرهم بأمجاد آبائهم عن طريق جميع وسائل الإعلام .

3 - الإصلاح الإجتماعي بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وذلك لنخلص الشباب من التناقض الذي يعيشونه بين مثاليات المدرسة وواقع الحياة .

4- تطوير مقررات السنة النبوية وعلومها في المؤسسات التعليمية بما يحقق تنمية المهارات المتنوعة لدى الطلبة.

4 - تشجيع العلماء وتكريمهم والإنفاق عليهم وتسهيل القيام بمهتهم في عالمهم الإسلامي .

5 - منع هجرة العقول إلى الدول الغربية بعد تهيئة الجو المناسب لهم .

6 - اجتذاب العلماء المهاجرين بالتشجيع المادي والمغري وتوفير الاستقرار المادي والمعنوي لهم، واجتلاب العلوم الحديثة معهم، وكلنا نعلم أن أمريكا ما قامت صناعتها وتقدمها إلا بسبب تشجيعها الهجرة إليها من قبل هؤلاء العلماء والمنكرين ، وهم من خارج أرضها .

7 - عدم ابتعاث الطلبة بدون حساب وبحيث لا يبتعث إلا من يتأكد من صلاحه، وتقواه واخلاصه في طلب العلم وبعد نضجه من حيث السن .

8 - الترجمة إلى اللغة العربية التي أثبتت قدرتها على استيعاب المصطلحات العلمية، والتخلص من الألفاظ الأجنبية الدخيلة، ثم تعريب المناهج الجامعية، والحرص على تدريس العلوم التجريبية باللغة العربية[32].

والنهاية،بيروت: دار الفكر، جـ 7 ص 60

(32) د/ فهد العصيمي، فضل الإسلام والمسلمين في التقدم العلمي، ص41

المراجع والمصادر

1- القرآن الكريم

2- البخاري، محمد بن إسماعيل بن إبراهيم بن المغيرة البخاري، أبو عبد الله (المتوفى: 256هـ)في "الأدب المفرد"، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار البشائر الإسلامية – بيروت،الطبعة: الثالثة، 1409 - 1989

3- الترمذي محمد بن عيسى بن سَوْرة بن موسى بن الضحاك، الترمذي، أبو عيسى ، 1998م في " الجامع الكبير – سنن الترمذي " تحقيق: بشار عواد معروف، بيروت: دار الغرب الإسلامي.

4- جلال مظهر، 1967م، أثر العرب في الحضارة الأوروبية" نهاية عصور الظلام و تأسيس الحضارة الحديثة"، بيروت، منشورات الرائد

5- أبو داود سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السّجِسْتاني، سنن أبي داود: تحقيق:محمد محيي الدين عبد الحميد،المكتبة العصرية، صيدا – بيروت

6- زيغريد هونكه"،1993،شمس العرب تسطع على الغرب"أثر الحضارة العربية في أوربة، نقل فاروق بيضون و كمال دسوقي، مراجعة مارون عيسى الخوري،بيروت:دار الجيل،بيروت: دار الآفاق الجديدة، ط8

7- عباس محمود العقاد 2002 م، أثر العرب في الحضارة الأوروبية، مصر: دار نهضة مصر، إشراف د/ سمير سرحان، طبعة خاصة ضمن مشروع مكتبة الأسرة.

8- د/ عماد الدين خليل،1412هـ، 1992م، قالوا عن الإسلام ،الرياض: الندوة العالمية للشباب الإسلامي، ط1

9- د/ فهد العصيمي، فضل الإسلام والمسلمين في التقدم العلمي

10- ابن كثير، أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي، 1407 هـ - 1986 م البداية والنهاية،بيروت: دار الفكر

11- د/ مسلم شلتوت، الحضارة العربية الإسلامية في العصور الوسطى والتحدي المعاصر

12- http://twitmail.com/email/377779858/4/

SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Research

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

العدد 2، المجلد 2،نيسان 2016م.

e-ISSN 2289-9073

MUSHKILAT ALDARAYIR WASUBUL EILAJIHA

مشكلات الضرائر وسبل علاجها

جميل يوسف زريوا

الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المملكة العربية السعودية

jamiluzarewa@hotmail.com

1437هـ – 2016م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 14/1/2016
Received in revised form 23/1/2016
Accepted 22/3/2016
Available online 15/4/2016

ABSTRACT

In this research، I was able to arrive at the conclusion that natural jealousy and fervour is ever intact in co-wives; and the causes of their issues revolve around four major points:

Mistrust: Most co-wives have low opinion of one another. If the first were to have some level of trust for the incoming second and welcomes her with an open-mind، and the incoming second reciprocates same to the one already in the house، their problems will surely be limited.

Calumny: It is well-known that the tale-bearers who gossip around among co-wives are the causes of most grave issues faced in the setting of co-wives. This can easily be remedied by having a face-to-face sitting to include the trio: the carrier of the information، the accused and the complainer.

Ignorance of the objectives of taking more than one wife: The wrong or myopic opinion likening the objective behind marrying more than one wife to helping hand، as held by some people، creates lacuna between the co-wives.

Injustice between wives: Some husbands incline so much to one of their wives at the expense of the other(s). They obviously provide more for her and give her more time and attention. This normally leads to chaos when the other(s) try tendering their dissatisfaction with the situation.

الملخص

لقد توصلت في هذا البحث أن الغيرة الطبيعية لا يسلم منها الضرائر، كما توصلت إلى أن المشكلات التي تقع بين الضرائر يمكن إرجاعها إلى أربعة أسباب رئيسية:

1. سوء الظن– فأغلب الضرائر يسيئون الظن ببعضهن، فلو أن الزوجة الأولى أحسنت الظن بالزوجة الثانية، واستقبلتها بصدر رحب، والزوجة الثانية لو أحسنت الظن مع سابقتها ووصلت إليها بحسن الظن، لقلت المشكلات.

2. النميمة والوشاية : فكثير من المشكلات بين الضرائر، يسببها الذين يتناقلون الأخبار من هذا الطرف إلى الآخر، والسبيل لعلاج هذه المشكلة هو: تنظيم الجلسة بين المبلِّغ والمبلَّغ عنها مع المبَّلغ إليه.

3. الجهل بمقاصد التعدد : فالنظرة القاصرة لدى الكثيرين من الضرائر بشأن التعدد، وأن التعدد أشبه ما يكون بحالة إسعافية لبعض الأزواج أو النساء، يولد فجوة بين الضرائر .

4. عدم العدل بين الزوجات: فبعض الأزواج يميلون إلى إحدى الزوجات ويهمل الأخرى، فيبيت عند واحدة أكثر أو ينفق عليها ويذر الأخرى، فيظهر من الزوجة الأخرى عدم الرضا بذلك، فتحدث المشكلات.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على النبي الكريم وعلى آله وصحبه الكرام، أما بعد :

لقد منّ الباري على عباده بالنكاح قدراً وأباحه شرعاً، بل أحبه ورضيه وحث عليه؛ لما يترتب عليه من المصالح الكثيرة، فالنكاح من أكبر النعم ومن الضروريات، وهو الطريقة الأساسية لحفظ النسل، وبناء الأسرة المسلمة، وهو الطريقة المثلى لوجود إنسان يحقق عبودية الله، وقد رتب عليه أحكاماً كثيرة وحقوقا متنوعة تدور كلها على الصلاح وإصلاح أحوال الزوجين، ودفع الضرر والفساد، فقد أمر الله به ورسوله، ورتب عليه من الفوائد شيئاً كثيراً منها: امتثال أمر الله ورسوله، وأنه من سنن المرسلين، وفيه: تحصين الفرج، وغض البصر، وتحصيل النسل، والإنفاق على الزوجة والأولاد؛ فإن العبد إذا أنفق على أهله نفقة يحتسبها كانت له أجراً، وحسنات عند الله، سواء كانت مأكولاً أو مشروبًا أو ملبوسًا أو مستعملاً في الحوائج كلها، كله خير للعبد، وحسنات جارية، وهو أفضل من نوافل العبادات القاصرة، وفيه: التذكر لنعم الله على العبد، والتفرغ لعبادته، وتعاون الزوجين على مصالح دينهما ودنياهما[1]، فالنكاح هو الطريق الوحيد الذي رضيه الله لإبقاء النوع الإنساني، وذلك دليل على أهميته، فلو عدم النسل لم يكن في العادة بقاء.

إن الإسلام أباح تعدد الزوجات وجعل له ضوابط وشروط بعد أن كان قبل الإسلام متروكا دون تنظيم أو تهذيب، وكان للإسلام فلسفته فى إباحة التعدد فهو يراعى مصالح الناس فى كل زمان ومكان، وتغير ظروفهم، واختلاف أحوالهم، فهو فى ذلك وسط بين الذين يتركون أمر التعدد على عواهنه دون ربط أوضبط فيحلون للرجل أن يتزوج من النساء ما شاء وأن يعاملهن كيفما أراد، وبين أولئك الذين يمنعون التعدد ويرونه جريمة لا تغتفر وانتهاكاً لحقوق المرأة وامتهاناً لكرامتها دون نظر لظروف قد تطرأ أو حوادث قد تفع .

ومع أن الإسلام أباح التعدد إلا أنه كثيراً ما تحدث مشكلات بين الضرائر، والتي تُحوِّل المعاشرة الزوجية إلى جحيم، ولذ أردت أن أذكر الأسباب الرئيسية لهذه المشكلات وسبل علاجها في هذه الأوراق، وليس القصد هو الاستقراء ولا البسط، ولكن الإشارة إلى أهمها، لأن الاستيفاء غير ممكن، لطبيعة البحث .

(1) انظر: بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار ص: 101 وما بعدها وتيسير اللطيف المنان ص: 283 وما بعدها.

أهمية الموضوع وأسباب اختياره

1-كون هذا الموضوع يهتم بالمعاشرة الزوجية، وهو مما يحتاج إليه لمعرفة ما شرعه الله في هذه المعاملة الضرورية.

2-بدراسة هذا الموضوع يتعرّف على حلّ مشكلات الزوجية التي تقع بين الضرائر وفق الضوابط المقرّرة، الموافقة للفطر السليمة والعقول الصحيحة.

3-حاجة المكتبة الإسلامية إلى مزيد من الدراسات في الأحوال الشخصية، لا سيما فيما يتعلق بحلول مشكلات الضرائر، ولعل هذه الدراسة تضيف جديداً أو تسد فراغاً.

4-كون كثير من الأحكام التي يحتاج إليها الناس تدور في الأحوال الشخصية، فضرورة النكاح حاصلة لقضاء وطرهم، فصار معرفة ما يطرأ عليه من مشكلات من الأهمية بمكان.

خطة البحث

وتتضمن مقدمة وتمهيد وثلاثة مباحث وخاتمة وفهرس مراجع.

المقدمة: وتتضمن الافتتاحية وأسباب اختيار الموضوع ومنهج في البحث

التمهيد: ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بموضوع البحث: "**مشكلات الضرائر وسبل علاجها**"

المطلب الثاني : الفائدة من دراسة الموضوع

المبحث الأول : سوء الظن، وفيه تمهيد ومطلبان :

المطلب الأول : أسباب سوء الظن

المطلب الثاني : طرق معالجة سوء الظن

المبحث الثاني : الجهل بمقاصد التعدد

المبحث الثالث : النميمة والوشاية، وفيه تمهيد ومطلبان:

المطلب الأول: أسباب النميمة والوشاية

المطلب الثاني : طرق معالجة الوشاية والنميمة بين الضرائر

المبحث الرابع : عدم العدل بين الزوجات

الخاتمة: وفيها ذكر أهم النتائج

فهرس المراجع

منهج البحث

- وضع مقدمة في كل مطلب تعين على فهمه.
- جمع ما تيسر من الوقوف عليه مما يتعلق بمضمون كل مبحث.
- عزو الآيات للقرآن الكريم بذكر سورها وأرقامها وكتابتها بالرسم العثماني.
- عزو الأحاديث إلى مصادرها.
- توثيق النصوص وأقوال العلماء من مصادرها.
- الالتزام بعلامات الترقيم وضبط ما يحتاج إلى ضبط.
- خدمة البحث بوضع فهرس المراجع.

التمهيد : ويتضمن مطلبين:

المطلب الأول: التعريف بموضوع البحث "مشكلات الضرائر وسبل علاجها"

المقصود بهذا البحث هو: التعرف والوقوف على المشكلات التي تحدث بين الزوجة الأولى والثانية، أو الثالثة والرابعة، أو الأولى والثالثة، أو الرابعة والثانية، والنظر في كيفية معالجتها بطرق التى لا تخالف الشرع، ولا تصدم قواعده، وتوافق الواقع والمستقبل المأمول.

والمشكلة العادية التي تصدر لأجل الغيرة من الأمور الطبيعية التي جبل الله النساء عليها، تقول عائشة رضي الله عنها: "ما غرت للنبى صلى الله عليه وسلم على امرأة من نسائه، ما غرت على خديجة لكثرة ذكره إياها وما رأيتها قط" [(2)]، وعن أنس قال كان النبي صلى الله عليه وسلم عند بعض نسائه فأرسلت إحدى أمهات المؤمنين بصحفة فيها طعام، فضربت التي النبي صلى الله عليه وسلم في بيتها يد الخادم، فسقطت الصحفة فانفلقت، فجمع النبي صلى الله عليه وسلم فلق الصحفة ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة، ويقول: غارت أمكم، ثم حبس الخادم حتى أتي بصحفة من عند التي هو في بيتها، فدفع الصحفة الصحيحة إلى التي كسرت صحفتها، وأمسك المكسورة في بيت التي كسرت"[(3)].

(2) أخرجه مسلم في صحيحه, حديث رقم : 6433.

(3) أخرجه البخاري في صحيحه, حديث رقم : 4927.

فقد غارت أمنا عائشة رضي الله عنها على امرأة لم ترها، فدل على أن الغيرة من الأمور الطبيعية، ولذا كان المقصود من هذه الدراسة، هو الوقوف على المشكلات التي تحوِّل المعاشرة الزوجية بين الضرائر إلى ضيق وحرج، والنظر في كيفية التعامل معها، وأما المشكلات العادية الصادرة من الغيرة، فهذه لا ينفك عنه بيت، ولذا وجدت في بيت النبوة.

المطلب الثاني : الفائدة من دراسة الموضوع

معرفة المشكلة هي نصف الطريق إلى الحل، ولذا كان من أهم القضايا التي عالجها علماء النفس معرفة المشكلات التي تواجه الإنسان، ومحاولة تحديدها ودراستها وتفسيرها؛ بغية الوصول إلى حلول لها، وضبط ومعرفة أسبابها؛ حتى يتحول الإنسان من كائن تسيطر عليه المشكلات والمعوقات إلى كائن يسيطر هو على مشكلاته ويتغلب عليها، وهذه المشكلات تختلف من فرد إلى آخر.

وقد اهتم علم النفس بالمشكلات التي تصل إلى درجة الخروج عن السلوك العادي المألوف الذي يعوق حياة الفرد العادية ويؤثر على حياته الاجتماعية، ومن هذه المشكلات مشكلات الضرائر، التي سنعالجها في هذا الموضوع الذي نأمل، ونسأل الله التوفيق في تناوله، والوصول إلى الحلول.

حدوث المشكلات يزيد في الخبرة والتجارب في الحياة، ومنح الضرائر وقاية مستقبلية من المشاكل، وتتكون لديهما مهارات سلوكية كالمصارحة، وضبط النفس، وكظم الغيظ، والتسامح والصبر، وحسن الحوار، واختيار العبارات الإيجابية بدلًا من السلبية، والالتفات إلى النفس لمعرفة مَن السبب في تكرار المشاكل بينهما؛ ما يُساهم في تطوير الضرائر لشخصيتيهما في معالجة مشاكلهما مستقبلًا، والأهم الاستفادة من إرشادات المستشارين الأسريين في حالة عدم الاستفادة من هذه الفوائد في تجنب تكرار المشكلات بينكما [4]، وهذا دليل على عظم فائدة دراسة هذا الموضوع، لأننا بدراستنا لمشكلات الضرائر سنصل إلى حلول تنفع المستهدفين بالموضوع.

المبحث الاول : سوء الظن، وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيد:

سوء الظن من الأمور التي تسبب المشكلات بين الضرائر، فغالباً تجد الزوجة الأولى لا تحسن الظن بالثانية، وكذلك العكس، فلو أن الزوجة الأولى أحسنت الظن بالزوجة الثانية، واستقبلتها بصدر رحب، والزوجة الثانية لو أحسنت الظن

(4) نقلت بعض هذه الجمل مما كتبته موضى الزهراني في موقع المسار يوم 2015/1/18.

مع سابقتها ووصلت إليها بحسن الظن، لقلت المشكلات، ولمّا كان كل من الجانبين يستقبل الآخر بسوء الظن، تسربت المشكلات بكل سهولة.

المطلب الأول: أسباب سوء الظن.

ويوقع في سوء الظن أسباب كثيرة، وبواعث عدة، نذكر منها[5] :

1 – سوء النية وخبث الطوية:

كأن ينشأ الإنسان تنشئة غير صالحة فيقع كثيراً في المعاصي والسيئات حتى تورثه تلك المعاصي وهذه السيئات سوء الظن بمن ليس أهلاً له، ويصبح ذلك مظهراً من مظاهر سوء النية وخبث الطوية، كما قال سبحانه وتعالى: **(وَيُعَذِّبَ الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ الظَّانِّينَ بِاللهِ ظَنَّ السَّوْءِ عَلَيْهِمْ دَائِرَةُ السَّوْءِ وَغَضِبَ اللهُ عَلَيْهِمْ وَلَعَنَهُمْ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَهَنَّمَ وَسَاءَتْ مَصِيراً)**[6].

2 – عدم التنشئة على المبدأ الصحيح في الحكم على الأشياء و الأشخاص، ذلك أن المبدأ الصحيح في الحكم على الأشياء والأشخاص إنما يتمثل في النظر إلى الظاهر وترك السرائر إلى الله، فهو وحده المطلع عليها العليم بكل ما فيها، فعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إنما أنا بشر وإنكم تختصمون إلي، ولعل بعضكم أن يكون ألحن بحجته من بعض، فأقضي له على نحو ما أسمع منه، فمن قضيت له من حق أخيه بشيء فلا يأخذ منه شيئا، فإنما أقطع له قطعة من النار"[7] ،وعن أسامة بن زيد رضي الله عنه قال: بعثنا رسول الله صلى الله عليه وسلم في سرية فصبحنا الحرقات من جهينة، فأدركت رجلاً فقال: لا إله إلا الله، فطعنته فوقع في نفسي من ذلك، فذكرته للنبي صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أقال لا إله إلا الله، فقتلته؟" قال: قلت: يا رسول الله، إنما قالها خوفا من السلاح، قال: "لا أفلا شققت عن قلبه، حتى تعلم أقالها أم لا " فما زال يكررها علي، حتى تمنيت أني أسلمت يومئذ... [8] .

(5) آفات على الطريق 6/3 وما بعدها, وقرة العين في شرح أحاديث مختارة من الصحيحين ص: 38 وما بعدها

(6) سورة الفتح : 6.

(7) أخرجه البخاري في صحيحه, حديث رقم: 2534.

(8) أخرجه مسلم في صحيحه, حديث رقم: 287.

ويساعد هذا المبدأ في الاعتماد على الدليل أو البرهان، قبل الحكم على الأمور، قال تعالى: (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) [9] (لَّوْلَا جَاءُوا عَلَيْهِ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) [10] ، ويجب التأكد من صحة هذا الدليل أو ذلك البرهان، قال تعالى: (إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا) [11] ، (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِن جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا أَن تُصِيبُوا قَوْمًا بِجَهَالَةٍ فَتُصْبِحُوا عَلَىٰ مَا فَعَلْتُمْ نَادِمِينَ) [12] ، وعدم معارضة الأدلة، أو البراهين لبعضها البعض، هذا هو المبدأ الصحيح في الحكم على الأشياء والأشخاص.

فمن يُربى على غير هذا المبدأ، فإن أموره وأحكامه كلهما تبنى على الظنون والأوهام التي قد تصيب مرة وتخطيء مائة مرة، ولقد أشار القرآن إلى هذا السبب وهو يناقش المشركين في دعواهم أن وقوعهم في الشرك من الله، قائلين: (لَوْ شَاءَ اللَّهُ مَا أَشْرَكْنَا وَلَا آبَاؤُنَا وَلَا حَرَّمْنَا مِن شَيْءٍ) [13] ، فرد عليهم سبحانه بقوله: (كَذَٰلِكَ كَذَّبَ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ حَتَّىٰ ذَاقُوا بَأْسَنَا ۗ قُلْ هَلْ عِندَكُم مِّنْ عِلْمٍ فَتُخْرِجُوهُ لَنَا ۖ إِن تَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَإِنْ أَنتُمْ إِلَّا تَخْرُصُونَ) [14] .

3 – البيئة قريبة كانت أو بعيدة:

وقد ينشأ المرء في بيئة معروفة بسوء الخلق، ومنه سوء الظن، سواء أكانت هذه البيئة قريبة – ونعني بها البيت – أم بعيدة – ونعني بها الأصدقاء – فيتأثر بها، ولا سيما إذا كان في مرحلة الحضانة أو البناء والتكوين، ولما يصلب عوده ويحصن بعد ضد هذه الأخلاقيات وتلك السلوكيات، وحينئذ يصاب بسوء الظن.

ولقد بين النبي صلى الله عليه وسلم أثر البيئة على الإنسان عندما قال: "ما من مولود إلا يولد على الفطرة فأبواه يهودانه، أو ينصرانه، أو يمجسانه كما تنتج البهيمة بهيمة جمعاء، هل تحسون فيها من جدعاء " ثم يقول أبو هريرة رضي الله عنه: (فِطْرَتَ اللَّهِ الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا ۚ لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ۚ ذَٰلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) [15]، [16]، "إنما مثل الجليس الصالح، وجليس السوء، كحامل المسك ونافخ الكير، فحامل المسك إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحا

(9) سورة البقرة: 111.
(10) سورة النور: 13.
(11) سورة النساء: 94
(12) سورة الحجرات: 6
(13) سورة الأنعام: 148
(14) سورة الأنعام: 148
(15) سورة الروم: 30
(16) أخرجه البخاري في صحيحه, حديث رقم: 4497.

طيبة، ونافخ الكير إما أن يحرق ثيابك، وإما أن تجد منه ريحا منتنة"[17]، فالحديث يدل على أن البيئة قد تؤثر في الإنسان، ولذا قد يكون سوء الظن من الضرة لضرتها ناشئ عن عادة مجتمعها.

4 – اتباع الهوى :

ذلك أن. الإنسان إذا اتبع هواه حتى صار هذا الهوى إلهه الذي يعبده من دون الله، فإنه يقع لا محالة في الظنون الكاذبة التي لا دليل عليها ولا حجة، ولا برهان؛ نظراً لأن حب الشيء يعمي ويصم، كما أن البغض يستوجب التماس العثرات، وتصيد الأخطاء، فمثلا إذا مال الإنسان بهواه إلى آخر، فإن هذا الميل ينسيه أخطاءه ويحمله على تحسين الظن به، وإن كان مخطئاً في الواقع، ونفس الأمر، وإذا أبغض الإنسان آخر لأنه لا يميل إليه بهواه، ولم يكن هذا الإنسان منصفاً، فإن هذا البغض يحمل على سوء الظن، وما يتبعه من التماس العثرات وتصيد الأخطاء وإن كان مصيباً في الواقع ونفس الأمر.

5 – نسيان الحاضر النظيف والوقوف مع الماضي الدنس:

فقد يفتتح الإنسان حياته بالوقوع في الرجس والدنس من المعاصي والسيئات، ثم يتوب الله عز وجل عليه فيقلع عن هذه المعاصي، وتلك السيئات، ويواظب على المعروف من البر والطاعات، ويأتي من ينسى أن قلوب العباد جميعا بين أصبعين من أصابع الرحمن كقلب واحد يصرفه حيث يشاء، ويأخذ في تقييم هذا الصنف – الذي عصى ثم تاب الله عليه، فتاب – من خلال ماضيه السيء، وليس من خلال حاضره النظيف، وحينئذ يجد الشيطان مدخلاً يدخل منه لتحريك الظنون الكاذبة والأوهام الباطلة التي لا دليل عليها، ولا برهان، ويعمل على تنميتها، حتى تصير خلقاً يتحرك به صاحبه بين الناس.

6 – القعود عن أعمال البر والطاعات، فضلاً عن القلق والاضطراب النفسي– فالوقوع في سلاسل المعاصي والسيئات التي ذكرنا تكون سبباً في سواد القلب فيمرض فيقسو أو يموت فيقفل، ويختم عليه فيكون القعود عن الطاعات وأعمال

البر، فضلا عن القلق والاضطراب النفسي وصدق الله العظيم: (وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُم) [18]، (فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً) [19] .

(17) أخرجه مسلم في صحيحه, حديث رقم: 6860.

(18) سورة البقرة: 225

(19) سورة المائدة: 13

ويتأكد القلق والاضطراب النفسي من جانب آخر، وهو أن سيئ الظن يوجه كل ظنونه إلى ما يحمي به نفسه وعرضه وماله، وعشيرته، فتراه يتوهم أن الناس يتآمرون عليه لقتله أو هتك عرضه أو سلب ماله أو أنهم يحتقرونه، ولا يلقون له بالاً ولا يقيمون له وزنا، ومن ثم يحيا قلقا من داخله، لا ينعم بأمن ولا باطمئنان نفسي.

فالضرة لابد لها أن تتفطن لهذه الأسباب حتى لا تقع في واحد منها، لأن الوقوع في بعضها طريق إلى تكدير المعاشرة بينها وبين زميلة حياتها.

المطلب الثاني : طرق معالجة سوء الظن (20)

وما دمنا قد وقفنا على حقيقة سوء الظن، وأسبابه، وآثاره، فإن العلاج معروف، ويمكن تلخيصه في الخطوات التالية:

1 – بناء العقيدة السليمة القائمة على تحسين الظن بالله، وبرسوله وبالمؤمنين الصالحين، فإن هذه العقيدة تحرسنا أن نظن ظن السوء بالآخرين من غير مبرر، ولا مقتضى، وحتى لو كان فإننا نبادر بالتوبة والرجوع إلى الله تبارك وتعالى.

2 – التربية على تغذية هذه العقيدة بما يثبتها في النفس وينميها، وذلك بترك المعاصي والسيئات والمواظبة على فعل الطاعات وأعمال البر، فإن التربية بهذه الصورة تجعلنا نتورع أن نقع في سوء الظن بمن ليس له أهلاً، وإن وقعنا فالتوبة والندم.

3– التنشئة على الالتزام بآداب الإسلام في الحكم على الأشياء والأشخاص من: الاعتماد على الظاهر وترك السرائر إلى الله وحده الذي يعلم السر وأخفى، ومن طلب الدليل والبرهان، ومحض ذلك الدليل وهذا البرهان، بل والتأكد من عدم تعارض وتضارب الأدلة مع بعضها البعض، فإن التنشئة بهذه الصورة تحرس الإنسان من التورط في سوء الظن بغير مبرر ولا موجب .

(20) آفات على الطريق 20/3 وما بعدها وقرة العينين في شرح أحاديث مختارة من الصحيحين ص: 39 وما بعدها, وفتاوى الشبكة الإسلامية, www.islamweb.net بإشراف د.عبدالله الفقيه.

4- التنشئة على الالتزام بآداب الإسلام في النجوى من عدم تناجي اثنين فما فوقهما دون الآخر، حتى يوجد معه من يناجيه أو يختلط الجميع بالناس، ومن كون هذه النجوى في الطاعة والمعروف دون المعصية والمنكر، ومن كونها في أمر مهم لا يصح أن يقضى فيه إلا بعيدا عن سمع وبصر المرجفين، والمفسدين في الأرض.

5 – مجاهدة النفس وقمع الهوى والشهوات، حتى تعرف النفس أنه ليس من السهل توجيه تهمة لأحد من الناس لمجرد ظن أو تخمين لا دليل عليه ولا برهان، وما في الدنيا شيء أعظم من أن يكون هوانا تبعا لما جاء به رسول الله صلى الله عليه وسلم حيث يقول سبحانه: (قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ) (21) .

6 – معاملة التائبين من الناس بحاضرهم لا بماضيهم، وإذا كان المِلك الذي خلق هؤلاء وأجرموا في حقه قد تجاوز وعفا، فنحن في التجاوز والعفو أولى وأحق، ولا سيما ونحن في المعاصي مثلهم وربما أشد.

7 – دوام النظر في كتب السيرة والتاريخ، ولا سيما تاريخ المسلمين، فإنها مليئة بصور حية عن الظن السيء وآثاره وطريق الخلاص منه، بحيث يسهل على النفس التخلص من هذا الداء.

8 – التذكير الدائم بعواقب سوء الظن في الدنيا والآخرة، وعلى الفرد والجماعة، فإن الإنسان كثيرا ما ينسى، وعلاج هذا النسيان بالتذكير، كما قال سبحانه: (وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ) (22) .

فلو عمل الضرائر بما تقدم من حسن الظن بالآخرين، واستقبلت ضرتها بصدر رحب، لقلت المشكلات، ولأصبحن أخوات يفتخر بهن أزواجهن، فإذا تسرّب سوء الظن إلى النفوس أدّى بها إلى الاتّهام المتعجّل وتتبّع العورات وتسقّط الهفوات والتجسّس الدنيء؛ ولذا ترى من يسيء الظنَّ يقول: سأحاوِل أن أتحقّق، فيتجسّس وقد يغتاب وقد يذكر أخاه بسوء، فيرتكب ذنوبًا مترادِفة ومعاصيَ قاصِمة[23]، قال سعيد بن المسيب رحمه الله: "كتب إليّ بعض إخواني من أصحاب رسول الله أن ضع أمر أخيك على أحسنه، ما لم يأتك ما يغلبك، ولا تظنن بكلمة خرجت من امرئ مسلم شرًا وأنت تجد لها في الخير محملاً"[24].

وحسن الظن يساعد في توجيه صحيح لأي تصرف يصدر من الضرة، فإذا تصرفت ضرتها بتصرف حملته محملاً حسناً، والأولاد قد يكونون سبباً في بعض المشكلات بين الضرائر، لكن إحسان الظن بين الضرائر يضعفها ويذهبها .

---

(21) سورة آل عمران : 31.

(22) سورة الذاريات

(23) انظر: موسوعة الخطب على المنبر 3540/1.

(24) أخرجه البيهقي في شعب الإيمان, حديث رقم: 8345.

المبحث الثاني: الجهل بمقاصد التعدد

فالجهل بحكمة التعدد يؤدي إلى الغيرة غير الطبيعية، فلو تفكر النساء في الآنسات والأرامل، وتكثير أمة النبي صلى الله عليه وسلم، وغير ذلك من حكم التعدد، لسهل الأمر على المرأة عند ما يخبرها زوجها بأنه يريد أن يتزوج عليها.

فقد شرع الله تعالى التعدد لحِكم عظيمة، فأفعال الله وكذلك أحكامه، تابعة لحكمته، فلا يأمر بشيء عبثا، بل لا بد له من حكمة، عرفناها، أم لم نعرفها، وكذلك لم يشرع لعباده شيئا مجردا عن الحكمة، فدين الإسلام هو دين الحكمة ودين الفطرة، ودين العقل والصلاح والفلاح، وقد شرع الله التعدد لمصالح عدة، يمكن تقسيمها إلى قسمين :

المصالح العائدة إلى الزوج أو الزوجة، فمنها:

1- أن في التعدد حفظاً للأسرة الواحدة وحماية لها من التفكك والانهيار، وذلك أن المرأة (الزوجة) قد تكون عقيماً أو مريضة مرضاً يمنع من الإنجاب أو يقلل منه، فيعوق حينئذ على الزوج مقصد عظيم من مقاصد الزواج، فإن من طبيعته الرغبة في الإنجاب، ولحل هذه المشكلة لابد من أحد مرين:

أولهما: الطلاق، وهذا له عواقبه المعروفة.

ثانيهما: أن يُبقي زوجته تلك ويتزوج أخرى، ولاشك أن هذا هو الأولى، حفاظاً على الأولى من البقاء بلا زوج[25].

2-كما أن التعدد يحل في كثير من الأوقات مشكلة الخلاف والشقاق بين الزوجين حين يتعذر الصلح، فقد يكون الحل الأمثل أن تبقى الزوجة خاصة إذا كان الخلاف الأقوى من جانب الزوج وحينئذ يستخدم حقه في التعدد[26].

3-فيه إعفاف للرجل حين تقوى رغبته، ويشتد توقانه للنساء، فلا يكتفي بواحدة، وفيه قدرة على العدل، فحينئذ شرع له أن يعدد[27].

4-صيانة المرأة من الوقوع في الرذيلة وبخاصة في هذا الوقت الذي كثرت فيه الفتن وعم فيه البلاء، فخير للمرأة أن تكون ثانية أو ثالثة خير لها من التعرض للفتنة، وقانا الله والمسلمين شرها [28].

(25) انظر : أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة ص : 31.

(26) انظر : أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة : 32.

(27) انظر : أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة : 33.

(28) انظر : أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة : 32.

5-تفرغ المرأة في غير نوبتها لطلب العلم وقراءة القرآن، وتنظيف بيتها، وهذا لا يتيسر – غالبا- للمرأة ذات الزوج غير المعدد [29] .

6-فيه حل لمشكلة العوانس والمطلقات، فقد أصبحت مشكلة العنوسة بين الفتيات ظاهرة للعيان، وعند مكاتب الإحصاء: الخبر اليقين، وهي مشكلة يئن منها العالم كله، وفي هذه البلاد من ذلك الشيء الكثير حتى بلغ الأمر أن يوجد في أحد البيوت: خمس عوانس أعمارهن من الثلاثين إلى الخامسة والأربعين، ولهذا الداء أسباب كثيرة ليس هذا مقام ذكرها، لكن يهمنا أن نعلم أن في التعدد حلاً ظاهراً ودواءً ناجعاً لكثير من ضحايا العنوسة، وقد صرحت إحدى العانسات وقد بلغت الخامسة والأربعين، وقالت بملء فيها: (أعطوني ولو نصف زوج)، وما يقال في العوانس يقال في المطلقات، وإن كانت المطلقة أكثر فيلا إلى التعدد من المبكر (العانس) في الغالب[30].

7-من الناس من هو كثير الأسفار والتنقلات وراء مصالحه فتكون حاجته ماسة إلى من يؤنسه في غربته، وفي المقابل ربما تكون الزوجة موظفة لا تمكث في البيت إلا ريثما تستعد للذهاب إلى العمل مرة أخرى، وهذا موجود بالنسبة للطبيبات، والرجل بحاجة إلى من تؤنس رغبته وتزيل وحشته فيحتاج إلى أن يتزوج بأخرى، فهذه بعض الفوائد والمصالح المتعلقة بالأزواج والزوجات[31].

8-قد يكون عنده من القوة الجنسية، ما لا يكتفي معه بزوجته، إما لشيخوختها، وإما لكثرة الأيام التي لا تصلح فيها للمعاشرة الجنسية – وهي أيام الحيض والحمل والنفاس والمرض وما أشبهها – وفي هذه الحالة نجد الأولى والأحسن أن يصبر على ما هو فيه، ولكن: إذا لم يكن له صبر فماذا يفعل؟ انغمض أعيننا عن الواقع وننكره كما تفعل النعامة أم نحاول علاجه؟ وبماذا نعالجه؟ نبيح له الاتصال الجنسي المحرم؟ وفي ذلك إيذاء للمرأة الثانية التي اتصل بها، وضياع لحقوقها وحقوق أطفالها، عدا ما فيه من منافاة لقواعد الدين والأخلاق؟ أم نبيح له الزواج منها زواجاً شرعياً تصان فيه كرامتها، ويعترف لها بحقوقها، ولأولادهم بنسبهم الشرعي معه؟ هنا تتدخل مبادئ الأخلاق والحقوق فلا تتردد في تفضيل الحالة الثانية على الأولى [32].

(29) انظر : أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة : 32.

(30) انظر : أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة ص: 31.

(31) انظر : أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة ص: 31.

(32) انظر : المرأة بين الفقه والقانون د. مصطفى السباعي ص: 70 وما بعدها.

9-زيادة الألفة والمحبة بين الزوج ونسائه، إذ لا تأتي نوبة الواحدة منهن، إلا وهو في شوق لامرأته ، وهي كذلك في اشتياق له[33] .

ثانياً: المصالح العامة

وهي التي تعود على الأمة كلها والمجتمع بأسره :

1-تكثير عدد الأمة: فإن الأمة بحاجة إلى كثرة أعدادها، وهذه الحاجة مقصد شرعي حث عليه الرسول صلى الله عليه وسلم في غير ما حديث كقوله عليه الصلاة والسلام: "تزوجوا الودود الولود فإني مكاثر بكم الأمم" [34]، [35] .

وقد لاحظ هذه المصلحة أحد زعماء المسلمين في (نيجيريا) عندما أراد أن يزداد عدد المسلمين ليفوق عدد النصارى واللادينيين، فحثهم على التعدد وهم بطبيعة الحال راغبون فيه، فتضاعف عددهم أضعافاً كثيرة [36].

2-التعدد يشتمل على الرحمة والعدل، إذا إن في تطبيقه إلقاء العبء (امرأة بلا زواج) عن كاهل المجتمع، وبخاصة إذا علمنا أن نسبة عدد النساء تفوق نسبة عدد الرجال في كثير من المجتمعات، وسبب ذلك: إما لما يتعرض له الذكور من الآفات والحروب، وإما لكثرة المواليد من الإناث، وهذا مشاهد ملموس، وقد أخبر عنه نبينا ﷺ في الحديث عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "من أشراط الساعة : أن يقل العلم، ويظهر الجهل ويظهر الزنا، وتكثر النساء ويقل الرجال حتى يكون لخمسين امرأة القيم الواحد " [37]، والإحصاءات تدل على ذلك في كثير من البلدان [38].

(33) انظر : أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة ص: 32.

(34) أخرجه ابن حبان في صحيحه في كتاب النكاح, باب ذكر العلة التي من أجلها نهى عن التبتل, حديث رقم:4028, وصححه شعيب الأرنؤوط, , انظر: 338/9.

(35) انظر : أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة ص: 32.

(36) هو احمد أبلو رحمه الله تعالى, وانظر: (أحكام الزواج) للامين الحاج محمد (ص/208) .

(37) أخرجه البخاري في صحيحه في كتاب العلم, باب رفع العلم وظهور الجهل, حديث رقم: 81, 43/1.

(38) انظر: تعدد الزوجات للعطار ص: 208 .

3-أن في التعدد توثيقاً للروابط والصلات بين أفراد المجتمع وأسره، وذلك أن النكاح في أصله جعله الله تعالى قسيما للنسب فقال تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا فَجَعَلَهُ نَسَبًا وَصِهْرًا) [39]، فإذا كان النكاح في أصله كذلك، فإن في كثرة النكاح وتعدده زيادة ربط، وتوثيق بين أسر المسلمين [40].

وهذا المقصد ظاهر جلي من تزوج الرسول صلى الله عليه وسلم من عائشة بنت أبي بكر، وبعدها حفصة بنت عمر، وتزويجه صلى الله عليه وسلم لعثمان بنتين من بناته وكذا تزويج على بن أبي طالب بفاطمة رضى الله تعالى عن الجميع ، فكان من أسباب ذلك تقوية أواصر الدين بالرحم، فأصبحوا جميعهم كالعائلة الصغرى التى تنتمى للعائلة الكبرى وهى الأمة الإسلامية جميعها .

ونستخلص من هذا كذلك أن من أهم مقاصد التعدد ربط الأواصر والود بين العشائر وبعضها، فهى من مقاصد الخلق فلا يُغفل هذا، فالله جل شأنه يقول: (يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا) [41]

4- الرغبة في تكثير الذرية كضرورة للحياة، ولتأمين حياة الرجل وشيخوخته، وللحصول على القوة والنفوذ، وللمحافظة على تثمير ثروته[42].

5- رغبة الرجل في التنقل والتغيير، وكان هذا السبب يظن قديماً أنه السبب الرئيسي لتعدد الزوجات، فقديماً كان الأوروبيون ولا يزال بعضهم يعتقدون أن تعدد الزوجات لدى الإفريقيين يرجع إلى ما يتميز به الرجل الإفريقي من شهوة عارمة، إلا أن هذه الفكرة في الواقع لا تستند إلى أساس سليم، فقد اتضح من الدراسات المختلفة أن الرجال يقبلون على تعدد الزوجات في معظم الحالات لأسباب لا صلة لها بقوة الشهوة، ثم يورد أسبابا دقيقة لوجود الزيادة الدائمة في عدد النساء على عدد الرجال، ثم يقول: وكانت بعض الشعوب تتخلص من النساء بوأدهن وقد عرف ذلك في الرومان، واليونان، وعرب الجاهلية، ولكن التعدد الذي لجأت إليه الشعوب الإفريقية أدى إلى امتصاص عدد زائد من النساء.

---

(39) سورة الفرقان : 54.

(40) انظر: الزواج لابن عثيمين (ص/27) وتعدد الزوجات لإحسان العتيبي (ص/31) والمرأة بين الفقه والقانون د. مصطفى السباعي ص: 67 وما بعدها.

(41) سورة الحجرات: 13.

(42) انظر: الوسطية في القرآن الكريم 154/3.

إلى هنا يتضح أن تعدد الزوجات ضرورة حياة لهذا الشعوب، فماذا كانت نتيجة حكم الله –عز وجل– الذي يقوم على العلم والحكمة؟ وماذا كانت نتيجة شريعة الكنيسة المبتدعة؟ وقوانين الغرب المحرمة للتعدد[43] ؟

الإجابة واضحة جداً، لأنهم لما منعوا التعدد، لجئوا إلى الزنى والتحريش الجنسي، فكثرت اللقطاء ومن لا يعرف نسبهم.

وفي الاقتصار على أربع زوجات في النكاح حكم متعددة ذكرها العلماء، وأجملها فيما يأتي:

1–إظهار شرف النكاح وخطره[44] .

2–أن ذلك يؤدي إلى أن لا يتحمل الإنسان ما يعجز عنه [45] .

قال ابن القيم: "ومنع من تجاوز أربع زوجات، لكونه ذريعة ظاهرة إلى الجور وعدم العدل بينهن وقصر الرجال على الأربع فسحة لهم في التخلص من الزنى، وإن وقع منهم بعض الجور فاحتماله أقل مفسدة من مفسدة الزنى"[46]

3–أن الزيادة على الأربع قد تؤدي به إلى الحرام في أكثر أحواله [47] .

4–مراعاة مصلحة المرأة [48] .

وعلى كل؛ فكل تشريع لله ففيه الحكمة وفيه الرضا لكل طرف، وهو أيضا موافقا لفطرة كل من الذكر والأنثى، والشرط الأساسي والأولي وفي حياة كل مؤمن هو البر والتقوى ومخافة الله عز وجل، فهما أصل كل حياة سعيدة والمتآلفة، والاحترام المتبادل، نقطتين أخيرتين.

فلو زاد العدد عن أربع لربما وجد رجال دون نساء، وبالمقابل وفي حالات الأزمات قد يكون الكثير من النساء دون أزواج، فهنا والحل الأمثل وفي كل شيء هو التعدد المحدود !!!

إن الخصومة لها عدة أسباب أهمها النظرة القاصرة لدى الكثيرين بشأن التعدد، وأن التعدد أشبه ما يكون بحالة إسعافية لبعض الأزواج أو النساء، وهذا يولد فجوة بين الضرائر فهي تظن أن الزوجة الثانية جاءت لتسد ما عجزت هي عنه، وهنا تبدأ المشكلة، فبعض أبناء المجتمع يجهل ظروف كثير من الرجال والنساء وحاجتهم للتعدد، والزوج قد يكون سبباً

(43) انظر: الوسطية في القرآن الكريم 154/3 وما بعدها.

(44) انظر: الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص: 535.

(45) انظر: المصدر السابق مثله.

(46) إغاثة اللهفان 365/1.

(47) انظر: الدرة المختصرة في محاسن الإسلام ص 319, الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص: 535.

(48) انظر: الإرشاد إلى معرفة الأحكام ص: 535.

في المشكلة أو يكون سبباً في الحل؛ وذلك تبعاً لحنكته وتعقله ومعرفته بطبيعة النساء والغيرة المركوزة في قلوبهن، واستثمارها بما يصلح حياة الضرائر، فلو فقه النساء هذه الحِكم وعملوا بموجبها، لعذروا أزواجهن عند التعدد، ولما حدثت مشكلة.

المبحث الثالث : النميمة والوشاية

وفيه تمهيد ومطلبان:

التمهيد:

كثير من المشكلات بين الضرائر، يسببها الذين يتناقلون الأخبار من هذا الطرف إلى الآخر، والسبيل لعلاج هذه المشكلة هو: تنظيم الجلسة بين المبلِّغ والمبلَّغ عنها مع المبَّلغ إليه، فعن طريق هذا تتبين الحقيقة، وتحل المشكلة، فكثيراً ما يكون مثل هذا الكلام مخترع أو مقلوب من الوشاة، فتؤدي هذه الجلسات إلى توبة الواشي وحل المشكلة.

المطلب الأول: أسباب النميمة والوشاية

والأسباب التي توقع في النميمة والوشاية كثيرة، ونذكر منها[49] :

1- البيئة ا المحيطة القريبة كانت أو بعيدة

فقد ينشأ الإنسان في بيئة دأبها الإفساد والوقيعة بين الناس، فيأخذ في الأثر بها، ومحاكاتها، ولا سيما إذا لم يكن قد توفرت لديه الوقاية والحصانة اللازمة لحمايته من مثل هذه الآفات، ولا فرق بين أن تكون هذه البيئة قريبة – أي البيت – أو بعيدة – أي المجتمع – إذ الكل له دور كبير في حياة المرء على وجه العموم، والناشئة على وجه الخصوص.

2-الحسد أو محبة الشر والسوء للضرة

وقد يكون الحسد أو محبة الشر والسوء للضرائر مدعاة للوقيعة والإفساد، "كان رجل يغشي بعض الملوك، فيقوم بحذاء الملك، ويقول: أحسن إلى المحسن بإحسانه، والمسيء ستكفيه مساوئه، فحسده رجل على ذلك المقام والكلام، فسعى به إلى الملك، فقال: إن هذا الذي يقوم بحذائك، ويقول ما يقول يزعم أن الملك أبخر، فقال له الملك: وكيف يصح ذلك عندي؟ قال: تدعو به إليك، فإذا دنا منك وضع يده على أنفه لئلا يشم ريح البخر، فقال له الملك: انصرف حتى أنظر، فخرج من عند الملك، فدعا الرجل إلى منزله، فأطعمه طعاما فيه ثوم، فخرج الرجل من عنده، وقام بحذاء الملك، فقال: أحسن إلى المحسن بإحسانه، والمسيء ستكفيه مساوئه، فقال له الملك: ادن مني، فدنا منه، فوضع يده على فيه،

(49) إحياء علوم الدين 156/3, آفات على الطريق 44/3 وما بعدها

مخافة أن يشم الملك منه ريح الثوم، فقال الملك في نفسه: ما أرى فلاناً إلا وقد صدق، وكان الملك لا يكتب بخطه إلا جائزة أو صلة، فكتب له كتاباً بخطه إلى عامل من عماله: إذا أتاك حامل كتابي هذا، فاذبحه، واسلخه، واحش جلده تبنا، وابعث به إلي، فأخذ الرجل الكتاب، وخرج، فلقيه الرجل الذي سعى به، فقال: ما هذا الكتاب؟ قال: خط الملك لي بصلة، فقال: هبه لي، فقال: هو لك، فأخذه، ومضى إلى العامل، فقال العامل: في كتابك: أن أذبحك، وأسلخك، قال: إن الكتاب ليس هو لي، الله الله في أمري حتى أرجع إلى الملك، فقال: ليس لكتاب الملك مراجعة، فذبحه، وسلخه، وحشا جلده تبنا، وبعث به، ثم عاد الرجل إلى الملك كعادته، وقال مثل قوله، فعجب الملك وقال: ما فعل الكتاب؟ قال: لقيني فلان، فاستوهبني إياه، فوهبته له، فقال الملك: إنه ذكر لي أنك تزعم أني أبخر، قال: ما فعلت، قال: فلم وضعت يدك على فيك؟ قال: كان أطعمني طعاماً فيه ثوم، فكرهت أن تشمه، قال: صدقت، ارجع إلى مكانك، فقد كفاك المسيء مساوئه "[50] ولهذا السبب وغيره جاء الأمر بالاستعاذة بالله من شر الحاسد، إذ يقول سبحانه: (قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ الْفَلَقِ * مِن شَرِّ مَا خَلَقَ * وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ * وَمِن شَرِّ النَّفَّثَتِ فِي الْعُقَدِ * وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ) [51]، [52] .

3 – التملق ومحاولة إرضاء إحدى الضرائر أو الطمع فيما بيدها

وقد يكون التملق ومحاولة إرضاء إحدى الضرائر هو السبب في الوقوع في آفة النميمة، ذلك أن نفراً من الناس يتصورون بفهمهم القاصر أن إرضاء ذوي الوجاهة، أو الحصول على ما بأيديهم لا يتم إلا على أعراض الناس، والوشاية أو الوقيعة بينهم وقد نسوا، أو تناسوا أن ما عند الله، وما عند الناس لا يخاله المرء إلا بطاعته لله، وتفانيه في مرضاته تبارك وتعالى، إذ يقول سبحانه: (وَلَوْ أَنَّ أَهْلَ الْقُرَى آمَنُواْ وَاتَّقَواْ لَفَتَحْنَا عَلَيْهِم بَرَكَاتٍ مِّنَ السَّمَاءِ وَالأَرْضِ وَلَكِن كَذَّبُواْ فَأَخَذْنَاهُم بِمَا كَانُواْ يَكْسِبُونَ) [53] .

(50) انظر : إحياء علم الدين 188/3.

(51) سورة الفلق

(52) انظر: إحياء علوم الدين 188/3.

(53) سورة الأعراف:96

وإذ يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من أكل برجل مسلم أكلة، فإن الله يطعمه مثلها من جهنم، ومن كسي ثوباً برجل مسلم، فإن الله يكسوه مثله من جهنم، ومن قام برجل مقام سمعة ورياء، فإن الله يقوم به مقام سمعة ورياء يوم القيامة "[54] .

4 – الترويح عن النفس

وقد يرى بعض الناس أن الخوض في الفضول والباطل، والسعي بين الضرائر بالقطيعة والإفساد، إنما هو من قبيل التنفيس والترويح عن النفس ومن ثم فلا يتورع عن الوقوع في هذه الآفة، ناسياً أو متناسياً أن الترويح عن النفس بالخوض في الباطل والفضول، والسعي بين الناس بالقطيعة والإفساد لا يعود على المرء إلا بالقلق، والاضطراب النفسي؛ نظراً لأنه معصية، وللمعصية عواقب وخيمة، وآثار مهلكة أعظمها هذا القلق والاضطراب النفسي، مصداقاً لقوله سبحانه: (وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) [55] .

5 – عدم قيام الضرائر بواجبهن نحو النمام، بل استحسان عمله هذا .

وقد يكون عدم قيام الضرائر بواجبهن نحو النمام من تكذيبه، وزجره، وتخويفه، واستهجان عمله هذا سبباً من الأسباب التي تؤدي إلى الوقوع في آفة النميمة.

وقد وعى السلف واجبهم نحو النمامين، فقطعوا الطريق عليهم بأداء هذا الواجب: هذا أمير المؤمنين عمر بن عبد العزيز يدخل عليه رجل، فيذكر له عن رجل شيئاً، فيقول له أمير المؤمنين عمر: "إن شئت نظرنا في أمرك، فإن كنت كاذباً، فأنت من أهل هذه الآية: (إِنْ جَاءَكُمْ فَاسِقٌ بِنَبَإٍ فَتَبَيَّنُوا) [56] ، وإن كنت صادقا، فأنت من أهل هذه الآية: (هَمَّازٍ مَّشَّاءٍ بِنَمِيمٍ) [57]، وإن شئت عفونا عنك، فقال: العفو يا أمير المؤمنين، لا أعود إليه أبدا" [58] .

وهذا سليمان بن عبد الملك يأتيه رجل – وعنده الإمام محمد بن مسلم بن شهاب الزهري – فيقول سليمان للرجل: "بلغني أنك وقعت في، وقلت كذا وكذا، فقال الرجل: ما فعلت، ولا قلت، فقال سليمان: إن الذي أخبرني صادق، فقال الإمام الزهري: لا يكون النمام صادقاً، فقال سليمان: صدقت، ثم قال للرجل: اذهب بسلام "[59] .

(54) أخرجه أبو داود في سننه, حديث رقم: 4883.

(55) سورة طه: 124

(56) سورة الحجرات: 6،

(57) سورة القلم: 11

(58) انظر : إحياء علم الدين 157/3.

(59) انظر : إحياء علم الدين 156/3.

وهذا عمرو بن عبيد زعيم الخوارج يدخل عليه رجل، فيقول له: "إن الأسواري ما يزال يذكرك في قصصه بشر، فقال له عمرو: يا هذا، ما رعيت حقّ مجالسة الرجل حيث نقلت إلينا حديثه، ولا أديت حقي حين أ علمتني عن أخي ما أكره، ولكن أعلمه: أن الموت يعمنا، والقبر يضمنا، والقيامة تجمعنا، والله تعالى يحكم بيننا، وهو خير الحاكمين[60].

6- نسيان الله والدار الآخرة

وقد يكون نسيان الله، وأنه القوي القهار الفعال لما يريد، المطلع على كل شيء، الجامع الناس ليوم لا ريب فيه، المجازي كلا بما فعل، وكذلك نسيان الدار الآخرة، وما فيها من الأهوال والشدائد، أو السلامة والأمن، العذاب الدائم، أو النعيم المقيم، قد يكون هذا كله سبباً في الوقوع في النميمة، وصدق النبي الكريم إذ يقول: "إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى إذا لم تستح فاصنع ما شئت"[61].

7- الغفلة عن العواقب الناشئة عن النميمة

وأخيرا قد تكون الغفلة عن العواقب الناشئة عن النميمة –كما سنعرف بعد قليل – هي السبب في الوقوع في هذه الآفة، إذ من لا يُقدر عواقب الشيء، ولا سيما إذا كانت هذه العواقب وخيمة، فإنه يتجرأ عليه، وإن كان في تجرئه هذا الحتف والهلاك.

المطلب الثاني : طرق معالجة الوشاية والنميمة بين الضرائر [62]

وما دمنا قد وقفنا على أسباب وبواعث النميمة، وأدركنا آثارها الضارة، وعواقبها الوخيمة، فإنه يسهل علينا أن نرسم طريق الوقاية والعلاج، وتتلخص في الخطوات التالية :

1-المبادرة بعدم تصديق النمام، بل زجره، وتخويفه الله والدار الآخرة، فإن ذلك مما يقطع الطريق على النمام، ولا يجعله يستمر أو يتمادى، ويوقن المسلم أن مثل هذه الخطوة من باب: (وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ) [63].

وقال رجل لعبد الله بن عامر، وكان أميراً، بلغنى أن فلاناً أعلم الأمير أنى ذكرته بسوء، قال: قد كان ذلك، قال : فأخبرنى بما قال لك حتى أظهر كذبه عندك، قال: ما أحب أن أشتم نفسى بلسانى، وحسبى أنى لم أصدقه فيما قال[64] ، وقال مصعب بن الزبير: نحن نرى أن قبول السعاية شر من السعاية، لأن السعاية دلالة، والقبول إجازة، وليس من دل على

(60) انظر : إحياء علم الدين 156/3.

(61) أخرجه البخاري في صحيحه, حديث رقم:3296 .

(62) آفات على الطريق 52/3 وما بعدها وفتاوى دار الإفتاء المصرية 317/10.

(63) سورة لقمان:17

(64) انظر : إحياء علم الدين 157/3.

شيء فأخبر به كمن قبله وأجازه، فاتقوا الساعى، فلو كان صادقا فى قوله لكان لئيما فى صدقه، حيث لم يحفظ الحرمة ولم يستر العورة[65] .والسعاية هى النميمة، إلا أنها إذا كانت إلى من يخاف جانبه سميت سعاية.

2-بغض النمام في الله بغضاً ينعكس على السلوك، وعلى طريقة المعاملة، فإن ذلك له أثر كبير في الإقلاع عن هذه الآفة، ولا سيما عند من لديهم بقية من خير أو ذرة من نور .

3-تربية ملكة تقوى الله، ومراقبته في النفس، فإن هذه الملكة لها دور كبير في التخلص من العيوب والآفات ومن بينها النميمة، ثم التحلي بالفضائل والمنجيات .

4- نقاء الوسط الذي يعيش فيه النمام، سواء أكان قريباً كالبيت، أم بعيداً كالمجتمع، فإن المرء ابن بيئته، وكم من أناس طهرت قلوبهم، وزكت جوارحهم واستقاموا على الطريق، بسبب عيشهم في وسط نقي نظيف .

5-اليقين التام بأن ما عند الله لا ينال بالمعصية، والوقيعة أو الإفساد بين الناس، وإنما ينال بالطاعة والاستقامة (وَلَوْ أَنَّهُمْ فَعَلُوا مَا يُوعَظُونَ بِهِ لَكَانَ خَيْرًا لَهُمْ وَأَشَدَّ تَثْبِيتًا * وَإِذًا لَآتَيْنَاهُمْ مِنْ لَدُنَّا أَجْرًا عَظِيمًا * وَلَهَدَيْنَاهُمْ صِرَاطًا مُسْتَقِيمًا) [66]

6-دوام النظر في سيرة السلف، ومنهجهم في مقاومة النميمة ومعالجة النمامين، فإن ذلك له دور كبير في الاقتداء والتأسي، أو على الأقل المحاكاة والتشبه، وحينئذ يكون التخلص من النميمة.

7-التذكير بعواقب النميمة والنمامين، سواء أكان ذلك على العاملين أم على العمل الإسلامي، وخير مذكر بذلك دوام النظر في كتاب الله – عز وجل – وسنة النبي صلى الله عليه وسلم ، وواقع هذا الصنف من الناس .

8-قيام أولي الأمر بواجبهم نحو النمامين، وذلك بزجرهم وتخويفهم، بل وتعزيرهم إن اقتضت المصلحة ذلك، وإن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن.

9- مقاطعة النمام إن أصر على هذا الخلق الذميم، ولم تنفع معه الأساليب المتقدمة، حيث يقول صلى الله عليه وسلم "من رأى منكم منكرا فليغيره بيده، فإن لم يستطع فبلسانه، فإن لم يستطع فبقلبه، وذلك أضعف الإيمان "[67].

10-ومن أفضل الطرق تنظيم الجلسة بين المبلِّغ والمبلَّغ عنها مع المبَّلغ إليه، فعن طريق هذا تتبين الحقيقة، وتحل المشكلة، فكثيراً ما يكون مثل هذا الكلام مخترع أو مقلوب من الوشاة، فتؤدي هذه الجلسات إلى توبة الواشي وحل المشكلة.

(65) المصدر السابق مثله.

(66) سورة النساء: 66-68.

(67) أخرجه مسلم في صحيحه, حديث رقم: 186.

فلو دفع الضرائر كلام الوشاة وعالجته بهذه الطرق، لقلت المشكلات، قال الحسن: "من نم إليك نم عليك" وهذا إشارة إلى أن النمام ينبغي أن يبغض ولا يوثق بقوله ولا بصداقته، وكيف لا يبغض وهو لا ينفك عن الكذب والغيبة والغدر والخيانة[68] .

المبحث الرابع : عدم العدل من كثير من الأزواج

بعض الأزواج يميلون إلى إحدى الزوجات ويهمل الأخرى، فيبيت عند واحدة أكثر أو ينفق عليها ويذر الأخرى، فيظهر من الزوجة الأخرى عدم الرضا بذلك، فتحدث المشكلات.

لقد أمر الإسلام الأزواج بالعدل في الأمور الظاهرة، يقول النبي صلى الله عليه وسلم: "من كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيمة وشقه مائل"[69]، وأما العدل في الحب وما يتبعه، والتابع تابع، فلم يكلف الله الرجال العدل فيه وذلك لتعذره، فالمشقة تجلب التيسير، يقول ربنا: (وَلَن تَسْتَطِيعُوا أَن تَعْدِلُوا بَيْنَ النِّسَاءِ وَلَوْ حَرَصْتُمْ ۖ فَلَا تَمِيلُوا كُلَّ الْمَيْلِ فَتَذَرُوهَا كَالْمُعَلَّقَةِ) [70]، فهذا جَزْمٌ من الحكيم العليم بأنه لن يستطيع الرجل أن يعدل بين نسائه، فكيف أباح الشرع التعدُّد واشترط له العدل في موضع؛ ثم يقول في موضعٍ آخر ولن تعدلوا؟ العدل بين النساء المذكور في الحديث السابق: هو العدل في الإنفاق وفي المأكل والمشرب والمسكن، فتسكن جميع نسائه في نفس المستوى، فلا تكون إحداهن في حجرة صغيرة؛ وأخرى تتمتَّع بقصرٍ منيف، والعدل المقصود في الآية هو العدل في الحب، فيفهم من الآية أن الميسور لا يسقط بالمعسور، ولا يخفى على الناس حب النبي صلى الله عليه وسلم لعائشة رضي الله عنه، وكون الناس يتحرّون يومها لتقديم هداياهم[71]، ولما فطنت سودة رضي الله عنها لهذا أهدت يومها لعائشة[72] .

فالمقصود بالعدل: هو العدل الذي يستطيعه الإنسان، ويقدر عليه، وهو التسوية بين الزوجات في النواحي المادية من نفقة وملبس وحسن معاشرة ومبيت، والمعاملة بما يليق بكل واحدة منهن، لقوله تعالى: (إِنْ خِفْتُمْ أَلَّا تَعْدِلُوا فَوَاحِدَةً أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ ۚ ذَٰلِكَ أَدْنَىٰ أَلَّا تَعُولُوا) [73] فإنه تعالى أمر بالاقتصار على واحدة إذا خاف الإنسان الجور ومجافاة العدل بين الزوجات.

---

(68) انظر إحياء علوم الدين 156/3.

(69) رواه أبو داود وصححه الألباني في إرواء الغليل 80/7

(70) سورة النساء : 129.

(71) أخرجه مسلم في صحيحه, حديث رقم: 6442.

(72) أخرجه البخاري في صحيحه, حديث رقم :4914.

(73) سورة النساء: 3.

وليس المراد بالعدل, هو التسوية في العاطفة والمحبة والميل القلبي، فهوغير مراد؛ لأنه غير مستطاع ولا مقدور لأحد، والشرع إنما يكلف بما هو مقدور للإنسان، فلا تكليف بالأمور الجبلِّية الفطرية التي لا تخضع للإرادة مثل الحب والبغض[74].

وإذا أقدم المسلم على التعدد وهو على يقين بعدم قدرته على العدل بين زوجاته في الأشياء المادية، وهي المعاملة والمأكل والمشرب والملبس والمسكن والمبيت، فهو آثم عند الله سبحانه وتعالى، وكان من الواجب عليه ألا يتزوج بأكثر من واحدة [75]. فإنه إذا كان الزوج ضعيف القدرة في إدارة شئون زوجاته، تولدت مشكلات بين الضرائر.

فلا تُظهر أيها الزوج لواحدة من الزوجتين سُوء الأخرى ، ولا تنقل لها ما يجري بينك وبين ضرتها، لا كلام خير؛ لئلا تحسدها، وتغار منها، ولا كلام شرٍّ وسوء؛ لئلا تشمت بها، واحرص على العدل بين الزوجتين في كل ما تستطيع، ولا تقصِّر في هذا الباب، حتى فيما لا تراه واجباً عليك، قال جابر بن زيد: "كانت لي امرأتان ، فكنت أعدل بينهما حتى في القُبَل."[76]، وقال مجاهد : "كانوا يستحبون أن يعدلوا بين النساء حتى في الطيب : يتطيب لهذه كما يتطيب لهذه [77] " وقال محمد بن سيرين : "إنه يكره للزوج أن يتوضأ في بيت إحدى زوجتيه دون الأخرى "[78]، "وعن إبراهيم النخعي في الرجل يجمع بين الضرائر ، فقال : إن كانوا ليسوون بينهم، حتى تبقى الفضلة مما لا يكال من السويق والطعام، فيقسمونه كفاً كفاً إذا كان يبقى الشيء مما لا يستطع كيله"[79].

وقد ضرب النبي صلى الله عليه وسلم أروع الأمثلة في العدل بين الزوجات وهذه صورة من عدله صلى الله عليه وسلم بين نسائه: يقول عروة بن الزبير: قالت لي عائشة: "يا ابن أختي كان رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يفضل بعضنا على بعض فى القسم من مكثه عندنا، وكان قل يوم إلا وهو يطوف علينا جميعا، فيدنو من كل امرأة من غير مسيس حتى يبلغ إلى التى هو يومها فيبيت عندها"[80] وروى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "إن النبي صلى الله عليه وسلم كان إذا أراد سفراً أقرع بين أزواجه، فأيتهن خرج سهمها خرج بها معه ، وكان يقسم لكل منهن يومها وليلتها" [81].

(74) انظر الفقه الإسلامي وأدلته 160/9.

(75) انظر: مجلة البحوث الإسلامية ص:243

(76) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنف, حديث رقم: 17834.

(77) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنف, حديث رقم: 17835.

(78) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنف, حديث رقم: 17833.

(79) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنف, حديث رقم: 17836.

(80) أخرجه أبو داود في سننه, حديث رقم: 2137, وقال الألباني حديث حسن صحيح.

(81) أخرجه البخاري في صحيحه, حديث رقم: 2542..

واعلم أن من شأن هذا العدل التام: أن يقطع كثيراً من المشكلات بين الضرائر، فلو عدل الأزواج بين النساء في ما وجب عليهم العدل فيه، لقلت مشكلات الضرائر، وينبغي أن تصبر الضرة إذا لم يعدل زوجها؛ فقد يكون فهمها للعدل خطأ، هذا من ناحية، ومن ناحية أخرى: أن الصبر مع الزوج والأبناء خير لها وأنها تؤجر على ذلك، وهو يأثم بتركه للعدل، وهو خير من الفراق وطلب الطلاق، وكما أشرت فالصلح خير، فلتُوَسِّطْ من ينصحه ويصلح ما بينهما[82].

الخاتمة وفيه ذكر أهم النتائج

لقد توصلت في هذا البحث المختصر أن الغيرة الطبيعية لا يسلم منها الضرائر، فقد حدثت في بيت النبوة، ولم ينكرها النبي صلى الله عليه وسلم، فدل على أنها من الأمور الجبلية، كما توصلت على أن المشكلات التي تقع بين الضرائر يمكن إرجاعها إلى أربعة أسباب رئيسية :

1- سوء الظن: فأغلب الضرائر يسيئون الظن ببعضهن، فلو أن الزوجة الأولى أحسنت الظن بالزوجة الثانية، واستقبلتها بصدر رحب، والزوجة الثانية لو أحسنت الظن مع سابقتها ووصلت إليها بحسن الظن، لقلت المشكلات، ولما كان كل من الجانبين يستقبل الآخر بسوء الظن، تسربت المشكلات بكل سهولة، فالسبيل لعلاج هده المشكلة هو إحسان الظن بالضرة، واليقين التام بأن أهل الدنيا لو اجتمعوا على أن يضروها بشيء، لم يضروها إلا بما كتبه الله.

2- النميمة والوشاية: فكثير من المشكلات بين الضرائر، يسببها الذين يتناقلون الأخبار من هذا الطرف إلى الآخر، والسبيل لعلاج هذه المشكلة هو: تنظيم الجلسة بين المبلِّغ والمبلَّغ عنها مع المبَّلغ إليه، فعن طريق هذا تتبين الحقيقة، وتحل المشكلة، فكثيراً ما يكون مثل هذا الكلام مخترع أو مقلوب من الوشاة، فتؤدي هذه الجلسات إلى توبة الواشي وحل المشكلة.

3- الجهل بمقاصد التعدد: فالنظرة القاصرة لدى الكثيرين من الضرائر بشأن التعدد، وأن التعدد أشبه ما يكون بحالة إسعافية لبعض الأزواج أو النساء، وهذا يولد فجوة بين الضرائر فهي تظن أن الزوجة الثانية جاءت لتسد ما عجزت هي عنه، وهنا تبدأ المشكلة، فبعض أبناء المجتمع يجهل ظروف كثير من الرجال والنساء وحاجتهم للتعدد، والزوج قد يكون سبباً في المشكلة أو يكون سبباً في الحل؛ وذلك تبعاً لحنكته وتعقله ومعرفته بطبيعة النساء والغيرة المركوزة في قلوبهن، واستثمارها بما يصلح الحياة الزوجية، فلو فقه النساء هذه الحِكم وعملوا بموجبها، لعذروا أزواجهن عند التعدد، ولما حدثت مشكلة.

(82) انظر: دروس سفر الحوالي 45/28

4– عدم العدل بين الزوجات: فبعض الأزواج يميلون إلى إحدى الزوجات ويهمل الأخرى، فيبيت عند واحدة أكثر أو ينفق عليها ويذر الأخرى، فيظهر من الزوجة الأخرى عدم الرضا بذلك، فتحدث المشكلات، ولكن نوصي الزوج إذا أراد التعدد فعليه بالعدل، ويجب على الزوجات أن يتقين الله في الزوج، والعدل أساس كل شيء بالتجربة، كل المجربين يقولون: إن المرتاح هو الذي يعدل، لأنه إذا عدل، لم يبق لامرأة أي كلام عليه، والمقصود بالعدل هنا: هو العدل في النفقة والمسكن، وليس في الحب والجماع، لأن هذا مما لا يقدر عليه الناس، والله لا يكلف النفس بما لا تطيق.

وهناك أسباب فرعية تسبب المشكلات بين الضرائر، ومنها :

1–الأولاد– قد يكون الأولاد سبباً في بعض المشكلات بين الضرائر، لكن إحسان الظن بين الضرائر يضعفها ويذهبها، كما أن تنظيم الجلسات بين الضرائر والنظر في موضع الخلل قد يوهنها.

2–ضعف قدرة الزوج– قد يكون الزوج ضعيف القدرة في إدارة شئون زوجاته، وهذا قد يولد مشكلات بين الضرائر.

إن للمشاكل بين الضرائر منافع لو تدبَّروها ، كما تشير الدراسات الشرعية والنفسية، ولكن دائمًا يركز الضرائر على الجانب السلبي، وتلك هي النظرة العامة للجميع، ومنها فوائد إيمانية أيضًا كتكفير الذنوب؛ لأنها ابتلاء، ومضاعفة للأجر، ومحبة الله؛ لأن الله إذا أحب عبدًا ابتلاه، وهي أيضًا دافع للاستغفار، وطلب الدعاء لتفريج الهمّ.

أما الفوائد الشخصية فهي ترتبط بزيادة الخبرة والتجارب في الحياة، ومنح الضرائر وقاية مستقبلية من المشاكل، وتتكون لديهما مهارات سلوكية كالمصارحة، وضبط النفس، وكظم الغيظ، والتسامح والصبر، وحسن الحوار، واختيار العبارات الإيجابية بدلًا من السلبية، والالتفات إلى النفس لمعرفة مَن السبب في تكرار المشاكل بينهما؛ ما يُساهم في تطوير الضرائر لشخصيتيهما في معالجة مشاكلهما مستقبلًا، والأهم الاستفادة من إرشادات المستشارين الأسريين في حالة عدم الاستفادة من هذه الفوائد في تجنب تكرار المشكلات بينكما.

ومن أهم فوائد المشاكل بين الضرائر هي: أن للحب طعم آخر بعد زوال الخلاف، فبعد الجفاء والعناء يحاول كل منهما أن يزيد من أواصر المحبة، ويعبر عن مشاعره بغزارة مما يقوي الصلة بينهما.

فهرس المراجع

- أحكام التعدد في ضوء الكتاب والسنة، تأليف حسان بن محمد عائش العتيبي، طبعة المؤلف .
- إحياء علوم الدين، المؤلف : محمد بن محمد الغزالي أبو حامد، الناشر : دار االمعرفة – بيروت
- الإرشاد إلى معرفة الأحكام، تأليف عبد الرحمن السعدي، طبعة مركز صالح الثقافي، بعنيزة.
- إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان تأليف : محمد بن أبي بكر بن أيوب الزرعي، المشهور بابن القيم، الناشر : دار المعرفة – بيروت، تحقيق : محمد حامد الفقي.
- آفات على الطريق، المؤلف : الدكتور : السيد محمد نوح، موقع المسار.
- بهجة قلوب الأبرار وقرة عيون الأخيار، تأليف عبد الرحمن السعدي، طبعة مركز صالح الثقافي.
- تيسير اللطيف المنان، تأليف عبد الرحمن السعدي، طبعة مركز صالح الثقافي .
- الدرة المختصرة في محاسن الإسلام، تأليف عبد الرحمن السعدي، طبعة مركز صالح الثقافي.
- دروس للشيخ سفر الحوالي، وهي دروس صوتية للشيخ سفر الحوالي، قام بتفريغها موقع الشبكة الإسلامية.
- سنن أبي داود، المؤلف : تأليف أبو داود سليمان بن الأشعث السجستاني، الناشر : دار الكتاب العربي . بيروت، طبعة : وزارة الأوقاف المصرية.
- شعب الإيمان تأليف : أبو بكر أحمد بن الحسين البيهقي نشر : دار الكتب العلمية بيروت، تحقيق : محمد السعيد بسيوني زغلول.
- صحيح ابن حبان بترتيب ابن بلبان، تأليف: محمد بن حبان بن أحمد أبو حاتم التميمي البستي، الناشر : مؤسسة الرسالة – بيروت.
- صحيح البخاري، تأليف : محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري الجعفي، الناشر : دار ابن كثير ، اليمامة – بيروت، تحقيق : د. مصطفى ديب البغا .
- صحيح مسلم، المؤلف : أبو الحسين مسلم بن الحجاج بن مسلم القشيري النيسابوري. لمحقق : نشر : دار الجيل بيروت + دار الأفاق الجديدة . بيروت.
- فتاوى الشبكة الإسلامية، www.islamweb.net بإشراف د.عبدالله الفقيه .

- الفقه الإسلامي وأدلته، د. وهبة الزحيلي طبعة دار الفكر بدمشق.
- قرة العينين في شرح أحاديث مختارة من الصحيحين، بقلم الشيخ / سليمان بن محمد اللهيميد، السعودية / رفحاء.
- مجلة البحوث الإسلامية – مجلة دورية تصدر عن الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، المؤلف : الرئاسة العامة لإدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد.
- المرأة بين الفقه والقانون د. مصطفى السباعي
- مُصنف ابن أبي شيبة، تصنيف : أبو بكر عبد الله بن محمد بن أبي شيبة الكوفي، تحقيق: محمد عوامة.
- موسوعة خطب المنبر، وهي موسوعة شاملة للخطب التي تم تفريغها في موقع شبكة المنبر http://www.alminbar.net حتى تاريخ 2007/6/15م، ويبلغ عددها أكثر من 5000 خطبة، معظمها مخرجة الأحاديث، والعديد منها بأحكام الشيخ الألباني – طيب الله ثراه قام بإعدادها للمكتبة الشاملة: أحمد عبدالله السني.
- الوسطية في القرآن الكريم، الدكتور علي محمد الصلابي، دار المعرفة، بيروت – لبنان.

SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Research

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

العدد 2، المجلد 2، نيسان 2016م.

e-ISSN: 22899073

MADRST ALQRA'AT FI ALMDYNT ALMNWWART MIN ALEHD ALNBWY HATAA ALQARN ALSABE ALHIJRY

مَدرسةُ القرَاءاتِ في المدينةِ المنوَّرة مِنَ العهدِ النبويّ حتى القَرن السابعِ الهِجريّ

حسن بن محمد خلف الجهني

كلية الدعوة وأصول الدين/ جامعة أم القرى

المملكة العربية السعودية

hs2020@hotmail.com

1437هـ – 2016م

ARTICLE INFO

Article history:
Received 20/1/2016
Received in revised form 20/2/2016
Accepted 15/3/2016
Available online 15/4/2016

ABSTRACT

In this research that marked by: (Readings school in Almadina Almonoura) it was speak about the important places of Quran reading and special school for read it. The research contain preface, and this preface have definition of the school, and general information's about famous schools reading around world, then it speaks of the readings creation in Almadina Almonoura and how it was developing. Hence, the research was reported famous people of school reading in Almadina Almounoura and they were sort by layer. begin with the Sahaba layer, then flowers, after that follow of flowers, then come after of them the students of Alemam Galoon, whom in their layer, and who comes after them all. The research contains "translation" of some Almadina Almonoura readers from the 5th century and they come after them. The research contain section for show the science products for the school reading in Almadina Almonoura and the effect of Almadina in other city.

الملخص

يتحدّث البحث عن نشأة مدرسة القراءات وتطوّرها, وعن أشهر أعلام مدرسة القراءات في المدينة المنورة مرتّبين على الطبقات و الآثار العلمية لمدرسة القراءات في المدينة النبويّة واخيراً عن أثر مدرسة المدينة على غيرها من مدارس الأمصار.

المقدمة

الحمد لله رب العالمين، والعاقبة للمتقين، ولا عدوان إلا على الظالمين، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، أما بعد:

يقول النبي صلى الله عليه وسلم : " خيركم من تعلم القرآن وعلمه ".

هذه الخيرية وغيرها من فضائل هذا الكتاب العزيز الذي لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه تنزيل من حكيم حميد جعلت أمة الإسلام تقبل على كتاب ربها تنهل من معينه الصافي الذي جعله الله دستورًا لها في هذه الحياة، أقبلت عليه من لدن سلفنا الصالح إلى يومنا هذا تعليمًا وقراءةً وحفظًا وتطبيقًا، وكانت قراءة القرآن سنة متبعة يتلقاها الآخر عن الأول، فأخذ الصحابة عن النبي صلى الله عليه وسلم، وعلّموا من جاء من بعدهم، وقام التابعون بنشر القرآن وتعليمه، وهكذا تسلسلت أسانيد القرآن وقراءاته، وانتشرت مدارس تعليم القرآن ومدارس الإقراء في شتى البلدان الإسلامية، وكان لكل مدرسة طابعها الخاص ومذهبها الذي عرفت به في القراءة وخصائصها التي تميزت به عن غيرها.

وأشهر هذه المدارس هي مدرسة الإقراء في المدينة المنورة والذي نخصص له هذا البحث – بعون الله – لنعرف تاريخها ونشأتها، وكيف استمرت عبر التاريخ، ونبذة عن أشهر أصحابها.

أسباب اختيار الموضوع/

ومن الأسباب التي جعلتني أكتب في هذا الموضوع:

- معرفة تراث الأمة الإسلامية وجهودها في خدمة كتاب الله.
- بسط الأضواء على تاريخ القراءة والإقراء في المدينة المنورة إذ الدراسات السابقة في هذا الموضوع لا تكفي وأغلبها متفرقة في كتب التراجم والتاريخ.
- المشاركة ولو باليسير في الكتابة عن تاريخ دراسة القرآن الكريم في المدينة المنورة.

- معرفة المزيد عن أئمتنا من السلف الصالح من الصحابة الكرام والتابعين ومن بعدهم ممن نقلوا لنا القرآن كاملًا من غير تبديل ولا زيادة أو نقصان.

وقد توزّع البحث على هذه **الخطة**:

التمهيد، وفيه: أ- تعريف المدرسة.

ب- نبذة عن أشهر المدارس في القراءات.

الفصل الأول: نشأة مدرسة الإقراء في المدينة المنورة وتطورها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: نشأة مدرسة القراء في المدينة المنورة.

المبحث الثاني: تطور القراءات في مدرسة المدينة المنورة.

الفصل الثاني: أشهر أعلام مدرسة القراءات في المدينة.

المبحث الأول: أعلام قراء المدينة من الصحابة ومن بعدهم:

الطبقة الأولى: الصحابة.

الطبقة الثانية: التابعون.

الطبقة الثالثة: تابعوا التابعين.

الطبقة الرابعة: من جاء بعدهم.

الطبقة الخامسة: من تلي هذه الطبقة.

السادسة: ترجمة لبعض المتأخرين عن الطبقة الخامسة.

المبحث الثاني: تراجم بعض قراء المدينة من القرن الخامس وما بعده.

الفصل الثالث: الآثار العلمية لمدرسة الإقراء بالمدينة وأثرها، وفيه مبحثان:

المبحث الأول: الإنتاج العلمي لمدرسة القراءات في المدينة.

المبحث الثاني: أثر المدرسة في المدينة على غيرها من مدارس الأمصار.

الخاتمة.

الفهارس.

التمهيد

تعريف المدرسة ونبذة عن أشهر المدارس في القراءات

1/ تعريف المدرسة

أولاً: تعريف المدرسة لغةً:

كلمة (المدرسة) ترجع في أصلها إلى مادة (درس) الثلاثي، وهي دَرس يدرُس بالضمّ، ويُدرِس بالكسر دَرسًا بالفتح، ودِراسةً بالكسر[1].

ومادة (درس) في اللغة تأتي على عدة معان منها[2]:

درس بمعنى (عفا) أي: (محَا) يقال درسته الريح إذا عفته ومحته.

يقال: درس الثوب بمعنى (خَلِقَ).

الدرس هو: الطريق الخفي.

يقال: درس البعير إذا جَرب.

درس الكتاب أي قرأه وفي الأساس: كرر قراءته في اللسان ودارسه من ذلك كأنه عائده حتى انقاد لحفظ، وقال غيره: ذلّله بكثرة القراءة حتى خفّ حفظه عليه[3].

ومنه قوله تعالى: ﴿وَدَرَسُواْ مَا فِيهِ﴾[4].

والدراسة القراءة يقال: درس القرآن أي قرأ مرة بعد مرة قال الله تعالى: ﴿وَلِيَقُولُواْ دَرَسْتَ﴾.

قال ابن عباس.رضي الله عنه: أي تقول قريش للنبي عليه السلام: درست وتعلمت[5].

ويقال درس العلم على فلان: تلقاه على يديه وتتلمذ له[6].

ثانيًا: تعريف المدرسة في الاصطلاح:

عرفت كلمة المدرسة بعدة تعاريف ومنها:

---

(1) تاج العروس (65/16).

(2) لسان العرب (329/4).

(3) تاج العروس (65/16، 66).

(4) سورة الأعراف الآية: (7).

(5) لسان العرب (329/4).

(6) معجم اللغة العربية المعاصرة (737/1).

المدرسة والمدرس: مكان درس الكتب[7].

المدراس: الموضع يدرس فيه كتاب الله ومنه مدراس اليهود[8].

و(المدرسة): الموضع يدرس فيه وجمعها (مدارس)[9].

(المدرسة): مكان الدرس والتعليم[10].

(المدرسة): جماعة تعتنق مذهبًا معينًا أو تقول برأي مشترك ويقال هو من مدرسة فلان أي على رأيه ومذهبه[11].

وهذه بعض التعريفات لكلمة (المدرسة) وهي كما يلاحظ متشابهة متقاربة، وخلاصتها أن المدرسة هي المكان والموضع الذي يدرس فيه.

2/ نبذة عن أشهر المدارس في القراءات

في السنة الثلاثين من الهجرة جمع عثمان رضي الله عنه القرآن الكريم، ونسخه على عدة نسخ، وأرسل إلى البلدان الإسلامية لكل بلدٍ مصحفًا، وأجمعت الأمة على ما في هذه المصاحف، وأرسل المصاحف إلى البصرة والكوفة والشام ومكة ومصر واليمن والبحرين، وترك مصحفًا بالمدينة، وأمسك لنفسه مصحفًا الذي يقال له مصحف الإمام[12].

وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم، وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم[13].

ومنذ ذلك الحين انتشرت مدارس القرآن والقراءات في جميع الأقطار الإسلامية، وصار التنافس العلمي الشريف دافعًا لطلاب تلك المدارس إلى التفوق والإبداع العلمي في مجال علم القراءات[14].

والمدارس القرآنية وإن كانت موجودة في كل بقعة من الأرض دان أهلها بالإسلام إلا أن هناك مدارس اشتهرت وذاع صيتها وأصبحت قبلة لطلاب العلم ينهلون من معينها الصافي ويأخذون عن علمائها ويشدون الرحال إليها.

ومن اشهر تلك المدارس هي:

---

(7) اللطائف في اللغة ص: (297).

(8) سمي العلوم.

(9) معجم اللغة العربية المعاصرة (739/1).

(10) المعجم الوسيط (280/1).

(11) النشر (7/1).

(12) النشر في القراءات العشر (7/1).

(13) المصدر السابق (8/1).

(14) علم القراءات، نشأته، أطواره ص:(163).

- مدرسة القراءات بمكة المكرمة.
- مدرسة القراءات بالمدينة المنورة.
- مدرسة القراءات بالبصرة.
- مدرسة القراءات بالكوفة.
- مدرسة القراءات بالشام.
- مدرسة القراءات بمصر والمغرب.
- مدرسة القراءات بالأندلس.

وفيما يلي نبذة موجزة عن كل مدرسة:

أولًا: مدرسة الحجاز بمكة والمدينة:

لا يخفى على كل مسلم أنّ الحجاز هو مهبط الوحي ومنبع الرسالة وفيه بدأت الدعوة الإسلامية، ومنه انتشر نور الإسلام في كل أصقاع الدنيا.

وتتميّز مدرسة القرآن والقراءات بالحجاز بأنها ظهرت مع ظهور الإسلام وبدايته، وتتميّز أيضًا بأنّ معلمها الأول هو معلم البشرية محمد صلى الله عليه وسلم.

فكان عليه الصلاة والسلام يقرئ أصحابه القرآن مشافهة، ويقوم بتلقينهم إياه، وذلك لأنّ القرآن إنما حمل في صدور الرجال لا في الصحائف والأوراق[15].

وتتميّز هذه المدرسة بأنها استمرت بعد عصر الصحابة والتابعين في عطائها وازدهارها إلى يومنا هذا.

ثانيًا: مدرسة القراءات بالعراق (الكوفة والبصرة):

نشأت هذه المدرسة مع دخول الإسلام إلى العراق مع الفتح الإسلامي في عهد أبي بكر الصديق رضي الله عنه حيث أنّ الصحابة رضوان الله عليهم نزحوا إليها واستوطنوها وابتنوا المدن لتكون قاعدة للجهاد، وبنوا فيها المساجد لتكون منارًا لطلبة العلم، وجلس الصحابة الكرام لطلاب العلم، يعلّمونهم القرآن والقراءات وشتى العلوم الشرعية[16].

ومن بعد الصحابة قام التابعون ومن بعدهم بإكمال رسالة الإقراء والتعليم التي أسّسها الصحابة حتى أضحت عام 656هـ في أيدي التتار الذين قتلوا العلماء وهدموا المساجد وأحرقوا الكتب[17].

---

(15) النشر في القراءات العشر (6/1).

(16) علم القراءات ص: (203).

(17) انظر: البداية والنهاية (150/13)، وراجع سقوط بغداد بأيدي التتار وما ارتكبوه من فظائع وجرائم بحق الإسلام والمسلمين.

ثالثًا: مدرسة القراءات بالشام:

دخل الصحابة بلاد الشام مع الفتح الإسلامي وأقاموا يعلمون الناس القرآن والدين.

ومن أشهر الصحابة الذين كان لهم الأثر الأكبر في تعليم القرآن والقراءات هم الثلاثة الذين أرسلهم عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى بلاد الشام لأداء هذه الرسالة الشريفة، وهم معاذ بن جبل وعبادة بن الصامت وأبو الدرداء رضي الله عنهم أجمعين(18).

وكان للاستقرار السياسي الذي تميّزت به بلاد الشام أثرٌ في بارز في استمرار مدرسة القراءات في أداء مهمتها العظيمة. وأيضًا زادت أهميتها مع سقوط بغداد في أيدي المغول، فرحل إليها العلماء ونزح إليها طلبة العلم، واستمرت هذه المدرسة إلى القرن العاشر حيث ظهرت عليها آثار الضعف واضمحل دور هذه المدرسة(19).

رابعًا: مدرسة القراءات بمصر والمغرب:

لأهمية مصر وموقعها الاستراتيجي الذي يتميّز بأنه بوابة قارة أفريقيا نظرًا لذلك اهتمّ المسلمون بهذه البلاد وأرادوا ضمّها لبلاد المسلمين فلذلك دخل الصحابة رضوان الله عليهم بلاد مصر وافتتحوها ونشروا فيها سماحة الإسلام وتعاليمه واختطوا المساجد وبنوها لتقوم بأداء دورها في تعليم القرآن، وأقبل أهلها على الصحابة الكرام يأخذون عنهم ويتعلمون منهم واستمر أهل مصر بعد الصحابة في نشر القرآن والقراءات(20).

ومن أبرز الشخصيات التي كان لها الأثر العظيم في رسم ملامح هذه المدرسة العظيمة الإمام عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش الذي رحل إلى المدينة وأخذ عن شيخها وإمامها الإمام نافع رحمه الله، ورجع ورش إلى بلاده ليؤسس مدرسة أظهرت آثارها وانتشرت أنوارها لتمتد إلى كل بلاد الغرب وفي كل مكان دخله الإسلام من بلاد أفريقيا ومما يميّز هذه المدرسة هي هجرة العلماء إليها.

ومن أشهر العلماء الذين هاجروا إلى مصر ووضعوها بهمتهم العلمية فيها هو الإمام أبي القاسم الشاطبي رحمه الله(21).

وما زالت هذه المدرسة باقية إلى اليوم مستمرة في مهمتها حيث انتشرت في هذه البلاد مئات المدارس القرآنية في كل مدينة وفي كل بلد منها.

خامسًا: مدرسة القراءات في بلاد الأندلس:

---

(18) تاريخ دمشق (315/1).

(19) علم القراءات ص: (238).

(20) غاية النهاية (502/1).

(21) غاية النهاية (20/2).

امتدّ الفتح الإسلامي إلى بلاد الأندلس في أواخر القرن الأول وبسط الإسلام ظلاله على تلك البلاد الوارفة، ودخل إلى الأندلس عدد من الصحابة والكثير من التابعين وسرعاناً ما استوطنت القبائل العربية هذه البلاد ونشروا الإسلام في أهلها[22].

وازدهرت الحركة العلمية في الأندلس بين مدنها ومساجدها وذلك في شتى الميادين الشرعية العلمية وشمل ذلك انتشار القرآن والقراءات في تلك البلاد[23].

وتميّزت الأندلس بكثرة العلماء في مدرستها ومن أشهر هؤلاء العلماء الذين نقف عندهم:

1/ الغازي بن قيس رحمه الله.

ويتميّز هذا الإمام بأنّه أول من أدخل قراءة نافع إلى الأندلس وتوفي رحمه الله سنة 199هـ[24].

2/ الإمام أبو عمر أحمد بن محمد الطلمنكي رحمه الله، يقول عنه الإمام بن الجزري (هو الذي أدخل القراءات إلى بلاد الأندلس)[25]، وتوفي رحمه الله سنة 429هـ.

3/ الإمام محمد بن محمد بن وضاح اللخمي:

وهذا الإمام رحل إلى مصر وأخذ الشاطبية عن ناظمها، وهو الذي أدخلها إلى بلاد الأندلس وتوفي سنة 634هـ[26].

وكل هذا أو غيره يظهر لنا مكانة هذه المدرسة في القرآنية وأثر هذه البلاد التي فقدها المسلمون في ظل خلافاتهم وانقسامهم نسأل الله أن يردها إلينا.

الفصل الأول: نشأة القراءات وتطورها في المدينة النبوية

المبحث الأول:

نشأة الإقراء بالمدينة المنورة

القارئ في سيرة النبي صلى الله عليه وسلم وفي تاريخ المدينة النبوية يعلم يقينًا أصالة مدرسة الإقراء فيها، وأنّها قديمة قدم الدعوة الإسلامية نفسها، فإنّ الإقراء في المدينة المنورة دخل إليها مع بدايات دخول الإسلام بل وقبل هجرة النبي صلى

(22) الكامل في التاريخ (151/2).
(23) نفح الطيب (135/2).
(24) غاية النهاية (3/2).
(25) غاية النهاية (120/1).
(26) غاية النهاية (257/2).

الله عليه وسلم، فعن عائشة رضي الله تعالى عنها أنّ النبي صلى الله عليه وسلم قال: " فتحت المدائن بالسيف وافتتحت المدينة بالقرآن "[27].

وفي السيرة النبوية أنّ النبي صلى الله عليه وسلم أرسل مع النفر الذين بايعهم في بيعة العقبة الأولى أرسل معهم الصحابي مصعب بن عمير رضي الله عنه ليعلّمهم القرآن الكريم ويفقههم في الدين فكان يسمى المقرئ بالمدينة[28].

إن مصطلح القرّاء والمقرئين ظهر قديمًا، فهذا مصعب بن عمير رضي الله عنه سمي قارئًا وهو أوّل من سُمّي بذلك, فما زال مقيمًا عندهم يقرئهم القرآن إلى أن انتشر الإسلام في المدينة واستعلى[29].

قال ابن الجزري رحمه الله:

" هو أول من سمي المقرئ حيث بعثه النبي صلى الله عليه وسلم يعلم الأوس والخزرج القرآن في العقبة الأولى "[30].

وأخرج البخاري بسنده عن البراء بن عازب قال: " أوّل من قدم علينا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم مصعب بن عمير، وابن أم مكتوم، فجعلا يعلماننا القرآن"[31].

ولما قدم النبي صلى الله عليه وسلم مهاجرًا إلى المدينة المنورة قام إلى جانب الدعوة والجهاد بتعليم الصحابة الكرام القرآن الكريم فجلس عليه الصلاة والسلام للإقراء وأقرأ الصحابة وأمرهم أن يقرؤوا بعضهم بعضًا وأن يعلموا الناس القرآن الكريم. كما في حديث أبي طلحة رضي الله عنه أنه " أقبل يوما فإذا النبي صلى الله عليه وسلم قائم يقرئ أصحاب الصفة "[32].

وكان عليه الصلاة والسلام يأمر أصحابه بأن يعلموا القرآن وفرائض الدين من دخل في الإسلام حديثًا.

فعن عبادة بن الصامت رضي الله عنه قال: "كان الرجل إذا هاجر دفعه النبي صلى الله عليه وسلم إلى رجل منا يعلمه القرآن، وكان يسمع للمسجد ضجة حتى أمرهم النبي صلى الله عليه وسلم أن يخفضوا أصواتهم لئلا يتغالطوا ".

وعن عبد الله بن مغفّلٍ المزنيّ قال: كان النبيّ صلّى الله عليه وسلّم إذا هاجر أحدٌ من العرب وكّل به رجلًا من الأنصار فقال: " ففقّهه في الدّين، وأقرئه القرآن "، فهاجرت إلى رسول الله صلّى الله عليه وسلّم فوكّل بي رجلًا من الأنصار

(27) ترتيب المدارك وتقريب المسالك (36/1).

(28) السيرة النبوية لابن هشام (432/13).

(29) المصدر السابق.

(30) غاية النهاية (299/2).

(31) صحيح البخاري بشرح فتح الباري لابن حجر (3328/10).

(32) حلية الأولياء (322/1).

ففقّهني في الدّين، وأقرأني القرآن، وكنت أغدو عليه فأجلس ببابه حتّى يخرج متى يخرج، فإذا خرج تردّدت معه في حوائجه فأستقرئه القرآن، وأسأله في الدّين حتّى يرجع إلى بيته، فإذا دخل بيته انصرفت عنه ".

وكان الصحابة يستمعون لقراءة النبي صلى الله عليه وسلم في صلاته في المسجد وفي قيامه الليل وورد ذلك عن بعضهم. قال حذيفة رضي الله عنه: " صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ذات ليلة فافتتح البقرة..."[33]، وقال ابن مسعود رضي الله عنه: " صليت مع النبي صلى الله عليه وسلم ليلة فلم يزل قائمًا حتى هممت بأمر سوء، قلنا: ما هممت؟ قال: هممت أن أقعد وأدعه "[34].

وعن أم هشام بنت حارثة بن النعمان رضي الله عنها قالت: " ما أخذت ﴿قٓ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡمَجِيدِ﴾ إلا من وراء رسول الله صلى الله عليه وسلم،كان يصلي بها في الصبح"[35].

ولقد تنافس الصحابة رضوان الله عليهم بالأخذ والتلقي عن النبي صلى الله عليه وسلم حتى شهد لهم بذلك النبي صلى الله عليه وسلم.

قال النبي صلى الله عليه وسلم لأُبيّ بن كعب:" إن الله أمرني أن أقرأ عليك القرآن، قال أُبي: آلله سماني لك، قال: نعم فجعل أُبي يبكي "[36].

وورد في الحديث: " أقرؤكم أبيٌّ "[37].

وقال عليه الصلاة والسلام في ابن مسعود رضي الله عنه: " من أحب أن يقرأ القرآن غضاً كما أنزل فليقرأه علي قراءة ابن أم عبد "[38].

وكما ذكرنا في بداية هذا المبحث بأن مصطلح القرّاء ظهر في المدينة المنورة وفي عصر النبي صلى الله عليه وسلم، فقد سمّي بذلك جمعٌ من الصحابة فكانوا يسمون بالقراء، وأرسل منهم في بعض المغازي[39].

وقال صلى الله عليه وسلم:" استقرئوا القرآن من أربعة: من عبدالله بن مسعود، وسالم مولى أبي حذيفة، وأُبي بن كعب ومعاذ بن جبل"[40].

---

(33) تاريخ المدينة لابن شبة (487/2).

(34) صحيح البخاري (45/2).

(35) سنن النسائي، كتاب الافتتاح (157/2).

(36) صحيح البخاري، باب فضائل أبيّ (3809).

(37) سنن ابن ماجه (55/1) برقم: (154).

(38) سنن ابن ماجه (49/1) برقم: (137).

(39) مختصر سيرة ابن هشام ص: (144).

(40) صحيح البخاري، باب مناقب عبد الله بن مسعود (376).

فهذه نبذة يسيرة وصورة مبسطة نعرف من خلالها كيف نشأ الإقراء بالمدينة المنورة وكيف بدأت مدرسة القراءات فيها.

ومن خصائص هذه المرحلة:

* أن معلم هذه المدرسة هو المعلم الأعظم محمد صلى الله عليه وسلم.

* أن بدايتها كانت مع دخول الإسلام إلى المدينة وقبل هجرة النبي صلى الله عليه وسلم.

* تميّز عدد كبير من الصحابة بحفظ القرآن وتلقيه من النبي صلى الله عليه وسلم وتعليم الصحابة القرآن للناس.

المبحث الثاني:

تطور مدرسة القراءات في المدينة المنورة

علمنا من خلال المبحث السابق كيف نشأت مدرسة الإقراء بالمدينة النبوية ومن خلال هذا المبحث سنحاول أن نرف على مظاهر تطور هذه المدرسة العريقة.

فبعد أن لحق النبي صلى الله عليه وسلم بالرفيق الأعلى وكان ثم ذلك حروب الردة والفتوحات الإسلامية، انتشر الصحابة رضوان الله عليهم في الأمصار الإسلامية لنشر الدين ورفع راية الجهاد.

إلا أنّ هناك مجموعة من الصحابة الكرام آثروا البقاء في المدينة المنورة ليحافظوا على تراث الأمة، ولكي تبقى هذه المدرسة منارًا للعلم يأخذ عنهم الناس ويفقهوهم في أمور الدين والشريعة.

ولقد كان عمر رضي الله عنه لا يأذن لأحد منهم في مغادرة البلد لفضل إخلاصهم ولغزير علمهم كأنه يضن بهم أن يقتلوا، وهم حملة العلم النبوي الشريف، فأبقاهم بجواره لهذا، ولينتفع برأيهم ولذلك بقي هؤلاء في المدينة[41].

فكان بقاء هؤلاء الصحابة أثرًا كبيرًا في رواج الحركة العلمية وتطور مدرسة الإقراء في المدينة المنورة.

ومن أبرز مظاهر تطور هذه المدرسة واستقرارها هو تجرد بعض الصحابة والتابعين ومن بعدهم لإقراء القرآن الكريم وملازمتهم لتعليم القرآن للناس حتى عرف الناس ذلك عنهم بل ونسبت إليهم بعض أحرف القرآن لطول ملازمتهم لذلك.

فهذا سيّد القراء أُبي بن كعب رضي الله عنه أقام في المدينة يعلم الناس ويُقرؤهم القرآن الكريم. حتى شهد له الناس بالإمامة ومن قبل ذلك شهد له النبي صلى الله عليه وسلم بقوله: " أقرؤكم أُبي"[42].

(41) تاريخ المذاهب الإسلامية لمحمد أبو زهرة (183/2).

(42) سنن ابن ماجه (55/1) برقم: (154).

وشهد له عمر بن الخطاب رضي الله عنه بقوله: " وأقرؤهم لكتاب الله أُبي "[43].

ومثله الصحابي الجليل زيد بن ثابت رضي الله عنه الذي جمع القرآن في عهد أبي بكر الصديق وعثمان بن عفان رضي الله عنه.

يقول عنه سليمان بن يسار عندما سئل عن قراءة أهل المدينة فقال: " اجتمع عليها ابن عمرو وعثمان وأُبي وزيد وكان زيد أقرأهم عندنا "[44].

وروي عن مالك بن أنس رحمه الله أنه قال: "كان إمام الناس عندنا بعد عمر بن الخطاب زيد بن ثابت – يعني بالمدينة– "[45].

وممّن عرف عنه ملازمة الإقراء من التابعين التابعي الجليل وأحد القراء العشرة يزيد بن القعقاع أبو جعفر المدني قال عنه يحيى بن معين: "كان إمام أهل المدينة في القراءة مسمي القارئ بذلك "[46].

وقال ابن مجاهد رحمه الله: " وكان أبو جعفر لا يتقدمه أحد في عصره"[47].

وهذا نافع المدني رحمه الله أحد القراء السبعة يقول عنه مالك بن أنس رحمه الله: " قراءة نافع سنة "[48].

وقال عنه تلميذه قالون: " جالسته بعد الفراغ عشرين سنة "[49]، وقد أقرأ نافع الناس دهرًا طويلًا ما يزيد على سبعين سنة[50].

فهذه أبرز خصائص ومظاهر التطور في هذه المدرسة ألا وهي ملازمة أصحابها للإقراء مدة حياتهم.

ومن ما يميّز هذه المدرسة ويعد من مظاهر تطورها كثرة رحلة طلبة العلم إلى مشايخها وأساتذتها وتسجل لنا كتب التراجم أسماءً لامعة ورجالاً كباراً في الإقراء وتعليم القرآن، قدموا إلى المدينة المنورة وأخذوا عن مشايخها.

فهذا الإمام العظيم سليمان بن مهران يرحل إلى المدينة ويأخذ عن أبي العالية رحمه الله[51].

---

(43) الاستيعاب لابن عبد البر (8/1).

(44) نكت الانتصار ص: (37).

(45) الاستيعاب (534/1).

(46) غاية النهاية (383/2).

(47) السبعة لابن مجاهد ص: (56).

(48) سير أعلام النبلاء (336/7– 338).

(49) معرفة القراء الكبار (155/1، 156).

(50) غاية النهاية (331/2).

(51) غاية النهاية برقم: (1389).

والإمام الكسائي أخذ عن إسماعيل ويعقوب ابن جعفر المدنيين، ويقرأ بقراءة أهل المدينة[52].

وهذا إمام أهل البصرة الإمام الكبير أبو عمرو بن العلاء يرحل إلى المدينة، ويقرأ على أبي جعفر وشيبة بن نصاح ويزيد بن رومان وكلهم مدنيون[53].

وهذا إمام أهل الكوفة حمزة الزيات رحمه الله يقدم على المدينة ويقرأ على جعفر الصادق رحمه الله[54].

ومقرئ أهل الكوفة أبو عبدالرحمن السلمي يرحل إلى المدينة المنورة ويقرأ على زيد بن ثابت وأبي بن كعب وعثمان بن عفان رضي الله عنه [55].

ومن خصائص هذه المدرسة وما يميزها في هذه المرحلة – مرحلة التطور– كثرة مشايخها من الصحابة والتابعين ومن بعدهم وكثرة طلابها أيضًا، ولو حاول أحدهم أن يجمع كل الأسماء المنسوبة إلى هذه المدرسة العريقة لكلفه ذلك عمرًا طويلًا وجهدًا عظيمًا ولعلنا في الفصل القادم نحاول أن نجمع بعضًا من شتات ما تفرق من هذه الأسماء العظيمة ممن سجلتهم كتب التراجم ونُسبوا إلى هذه المدرسة العظيمة.

وأخيرًا نحاول أن نخلص ما ذكرناه من أبرز مظاهر تطور مدرسة القراءات بالمدينة النبوية وهي كما يلي:

* ملازمة شيوخ هذه المدرسة للإقراء مدة طويلة حتى عرف عنهم ذلك ونسب ذلك إليهم وتجردوا لذلك.

* أن أصحاب هذه المدرسة هم من الصحابة والتابعين ومن بعدهم.

*كثرة الرحلة إلى المدينة المنورة للقراءة على شيوخها من شتى الأقطار الإسلامية زمن الصحابة والتابعين ومن بعدهم، إلى غير ذلك من الخصائص التي ميزت هذه المدرسة وأظهرت تطورها واستمرار الإقراء فيها.

الفصل الثاني: أشهر أعلام مدرسة الإقراء في المدينة المنورة

من خلال هذا الفصل سنحاول أن نتعرف – باختصار – على أبرز وأشهر من عرف عنهم الإقراء في المدينة المنورة، أو وردت الرواية عنهم في القرآن الكريم، وسنقسم هذا الفصل على عدة طبقات.

فتكون طبقة الصحابة وطبقة التابعين وطبقة تابعي التابعين ثم طبقة من جاء بعدهم وهكذا.

---

(52) غاية النهاية (22/2).

(53) غاية النهاية برقم: (1283).

(54) غاية النهاية (196/1).

(55) غاية النهاية برقم: (1755).

وقد وصلت في بحثي هذا إلى الطبقة السادسة والسابعة ثم توقفت خشية الإطالة، وما ذكرته كافٍ للتعرف على رجالات هذه المدرسة العريقة.

المبحث الأول:

أعلام قراء المدينة من الصحابة ومن بعدهم

أولاً: طبقة الصحابة رضي الله عنهم

1/ أبو بكر الصديق (رضي الله عنه)

خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وصاحبه وخير الخلق بعده، ذكره الداني وقال: وردت الرواية عنه في حروف القرآن، وهو أول من جمع القرآن في مصحف وأشار بجمعه، ونص الإمام أبي الحسن الأشعري –رحمه الله– على حفظه القرآن، واستدل على ذلك أنه صح عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال: "يؤم القوم أقرءوهم لكتاب الله وأكثرهم قرآنا"، وتواتر عنه صلى الله عليه وسلم أنه قدمه للإمامة، ولولا أن أبا بكر – رضي الله عنه –كان متصفًا بما يقدمه في الإمامة على سائر الصحابة وهو القراءة لما قدمه، توفي سنة 13هـ[56].

2/ عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

وردت الرواية عنه في حروف القرآن، وقال أبو العالية: " قرأت القرآن على عمر أربع مرات"، وقرأ عليه جماعة من التابعين مثل عبدالله بن قيس الحمصي، وعبدالله بن أبي الهذيل وغيرهما توفي رضي الله عنه شهيدًا سنة 23هـ[57].

3/ عثمان بن عفان (رضي الله عنه)

أمير المؤمنين وذو النورين، وأحد من جمع القرآن حفظاً في عهد النبي صلى الله عليه وسلم وعرض عليه، عرض عليه المغيرة بن أبي شهاب، وأبو عبدالرحمن السلمي وزر بين حبيش وأبو الأسود الدؤلي وغيرهم، قتل شهيداً مظلوماً سنة 35هـ[58].

(56) غاية النهاية (431/1).

(57) غاية النهاية (591/1)، ومعرفة القراء الكبار (102/1).

(58) غاية النهاية (591/1)، ومعرفة القراء الكبار (102/1).

4/ سعد بن أبي وقاص الزهري

أحد العشرة المبشرين بالجنة، وردت عنه الرواية في حروف القرآن مات سنة 51هـ[59].

5/ طلحة بن عبيد الله بن عثمان القرشي

أحد العشرة المشهود لهم بالجنة، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، واستشهد يوم الجمل سنة 36هـ[60].

6/ أُبيّ بن كعب بن قيس بن عبيد أبو المنذر الأنصاري الخزرجي المدني

سيد القراء وأقرأ هذه الأمة على الإطلاق قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم وقرأ عليه النبي صلى الله عليه وسلم للإرشاد والتعليم، وقد سبقت الإشارة إلى بعض فضائله في الفصل الأول.

قرأ عليه من الصحابة ابن عباس وأبو هريرة وعبدالله بن السائب، ومن التابعين عبدالله بن عياش وأبو عبدالرحمن السلمي وأبو العالية الرياحي وغيرهم، عن عبيد بن ميمون التبان قال: قال هارون بن المسيب: قراءة من تقرأ؟ قلت: قراءة نافع بن أبي نعيم قال: فعلى من قرأ نافع قلت: أخبرنا نافع أنه قرأ على الأعرج وإن الأعرج قال قرأت علي أبي هريرة وأن أبا هريرة قال قرأت على أبي بن كعب قال وقال أبي عرض علي النبي –صلى الله عليه وسلم– القرآن وقال: "أمرني جبريل أن أقرأ عليك القرآن" توفي سنة 36هـ على الأرجح[61].

7/ أبو هريرة عبدالرحمن بن صخر الدوسي (رضي الله عنه)

قرأ على النبي صلى الله عليه وسلم، وأخذ القرآن عرضاً على أُبي بن كعب، قرأ عليه عبدالرحمن بن هرمز الأعرج وأبو جعفر، كان يجزئ الليل ثلاث أجزاء جزء للقرآن وجزء للنوم وجزء يتذكر فيه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم.

قال ابن الجزري:" تنتهي إليه قراءة أبي جعفر ونافع ", توفي سنة 57هـ وقيل 58هـ[62].

8/ عبد الله بن عباس بن عبدالمطلب الهاشمي

ابن عم رسول الله صلى الله عليه وسلم وحبر الأمة وبحر التفسير، حفظ المحكم في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ثم قرأ على أُبي بن كعب وزيد بن ثابت، وقيل قرأ على علي بن أبي طالب، وعرض عليه أبو جعفر بن القعقاع وسعيد بن جبير وغيرهم، وتوفي بالطائف سنة 68هـ[63].

---

(59) غاية النهاية (304/1).

(60) غاية النهاية (342/1).

(61) غاية النهاية (31/1)، ومعرفة القراء الكبار (109/1).

(62) غاية النهاية (370/1)، ومعرفة القراء الكبار (127/1).

(63) غاية النهاية (425/1)، ومعرفة القراء الكبار (129/1).

9/ عبدالله بن عمر بن الخطاب (رضي الله عنه)

أبو عبدالرحمن الصحابي الكبير، وردت عنه الرواية في حروف القرآن، قرأ عليه مسلم بن جندب، توفي سنة 73هـ[64].

10/ أنس بن مالك بن النضر الأنصاري

أبو حمزة خادم رسول الله صلى الله عليه وسلم، وروى القراءة عنه سماعًا، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، قرأ عليه قتادة ومحمد بن مسلم الزهري، توفي سنة 91هـ[65].

11/ سالم مولى أبي حذيفة الصحابي الكبير

وردت الرواية عنه في حروف القرآن، استشهد يوم اليمامة سنة 12هـ[66].

12/ عبدالله بن عمرو بن العاص (رضي الله عنه)

الصحابي الجليل وردت الرواية عنه في حروف القرآن وهو أحد الذين حفظوا القرآن في عهد النبي صلى الله عليه وسلم، وتوفي سنة 69هـ على الأرجح[67].

الطبقة الثانية: طبقة التابعين

13/ سعيد بن المسيب بن حزن المخزومي

أبو محمد عالم التابعين، وردت الرواية عنه في حروف القرآن على ابن عباس وأبي هريرة وروى عن عمر وعثمان وسعيد بن زيد، قرأ عليه عرضا محمد بن مسلم بن شهاب الزهري، توفي سنة أربع وتسعين عن سبعين سنة.

14/ رفيع بن مهران

أبو العالية الرياحي، من كبار التابعين أخذ القرآن عرضًا على أبي بن كعب وزيد بن ثابت وابن عباس، وتوفي سنة 90هـ[68].

15/ عبد الرحمن بن هرمز الأعرج المدني

تابعي جليل, أخذ القرآن عرضًا على أبي هريرة وابن عباس، وتوفي سنة 107هـ[69].

---

(64) غاية النهاية (37/1).

(65) غاية النهاية (172/1).

(66) غاية النهاية (299/2).

(67) غاية النهاية (439/1)، ومعرفة القراء الكبار (109/1).

(68) غاية النهاية (157/1).

(69) غاية النهاية (381/1).

16/ عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة عمرو أبو الحارث المخزومي

التابعي الكبير, قيل إنه رأى النبي صلى الله عليه وسلم، أخذ القراءة عن أُبي بن كعب وعمر بن الخطاب، وكان أقرأ أهل المدينة في زمانه، روى عنه القراءة أبو جعفر وشيبة بن نصاح وعبدالرحمن بن هرمز ومسلم بن جندب ويزيد بن رومان، وهؤلاء شيوخ نافع رحمه الله، مات سنة 78هـ(70).

17/ شيبة بن نصاح بن سرجس بن يعقوب

إمام ثقة مقرئ المدينة مع أبي جعفر وقاضيها ومولى أم سلمة –رضي الله عنها– مسحت على رأسه ودعت له بالخير، وقال الحافظ أبو العلاء: هو من قرآء التابعين الذين أدركوا أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم، وأدرك أم المؤمنين عائشة وأم سلمة زوجي النبي صلى الله عليه وسلم ودعون الله تعالى له أن يعلمه القرآن، وكان ختن أبي جعفر على ابنته ميمونة، عرض على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، وعرض عليه نافع بن أبي نعيم وسليمان بن مسلم بن جماز وإسماعيل بن جعفر وأبو عمرو بن العلاء، وهو أول من ألف في الوقوف وكتابه مشهور، مات سنة 130هـ(71).

18/ مسلم بن جندب أبو عبدالله الهذلي المدني

مولاهم المدني القاصّ, تابعي مشهور عرض على عبد الله بن عياش ابن أبي ربيعة، عرض عليه نافع، وحدث عنه ابنه وزيد بن أسلم وابن أبي ذئب ويحيى بن سعيد الأنصاري, وكان من فصحاء أهل زمانه، مات سنة 130هـ(72).

19/ يزيد بن رومان أبو روح المدني

ثقة ثبت فقيه قارئ محدّث، عرض على عبد الله بن عياش بن أبي ربيعة، روى القراءة عنه عرضا نافع وأبو عمرو، روى عنه مالك بن أنس وجرير بن حازم وابن إسحاق، وحديثه في الكتب الستة، مات سنة 120هـ(73).

20/ محمد بن مسلم بن عبيد الله بن شهاب أبوبكر الزهري المدني

أحد الأئمة الكبار، وعالم الحجاز والأمصار، تابعي جليل، وردت عنه الرواية في أحرف القرآن، قرأ على أنس بن مالك وغيره وعرض عليه نافع المدني، مات سنة 124هـ(74).

(70) غاية النهاية (439/1)، ومعرفة القراء الكبار (152/1).
(71) غاية النهاية (329/1)، ومعرفة القراء الكبار (182/1).
(72) غاية النهاية (297/1)، ومعرفة القراء الكبار (184/1).
(73) غاية النهاية (381/1)، ومعرفة القراء الكبار (178/1).
(74) غاية النهاية (262/1).

21/ قتادة بن دعامة السدوسي

تابعي جليل وأحد الأئمة وردت الرواية عنه في حروف من القرآن وله اختيار في القراءة، روى القراءة عن أنس بن مالك وأبي العالية وغيرهم، توفي سنة 117هـ[75].

22/ زيد بن أسلم أبو أسامة المدني

تابعي جليل، أخذ القراءة عنه شيبة بن نصاح مات سنة 136هـ[76].

23/ سالم بن عبدالله بن عمر بن الخطاب

أحد الفقهاء السبعة، وردت الرواية عنه في حروف القرآن، وتوفي سنة 108هـ على الصحيح[77].

24/ صالح بن خوات بن جبير بن النعمان الأنصاري المدني

تابعي جليل، روى القراءة عن أبي هريرة، أخذ القراءة عنه عرضاً نافع بن أبي نعيم[78].

25/ عبدالله بن أبي الهذلي العنزي

عالم ثقة مشهور، قديم في التابعين، روى عن أُبي وعمر بن الخطاب وابن مسعود وغيرهم[79].

26/ عروة بن الزبير بن العوام المدني

أبو عبدالله تابعي كبير وردت الرواية عنه في حروف القرآن روى عن أبيه وعن عائشة، وروى عنه أولاده الزهري وجماعة، وتوفي سنة 95هـ[80].

الطبقة الثالثة: طبقة تابعي التابعين

27/ نافع بن عبدالرحمن بن أبي نعيم أبو رويم المدني الليثي.

أحد القراء السبعة والأعلام الكبار، ثقة صالح.

(75) غاية النهاية (25/2).
(76) غاية النهاية (296/1).
(77) غاية النهاية (301/1).
(78) غاية النهاية (332/1).
(79) غاية النهاية (462/1).
(80) غاية النهاية (511/1).

أخذ القراءة عن جماعة من تابعي أهل المدينة المنورة كأبي جعفر وابن هرمز وشيبة بن نصاح ويزيد بن رومان ومسلم بن جندب والزهري وغيرهم، وكان يقول: " قرأت على سبعين من التابعين "، أخذ القراءة عنه جم غفير من أهل المدينة وغيرهم، ولم يوجد من القراء من أكثر طلابًا منه، فلذلك يعتبر الإمام نافع إمام هذه المدرسة في زمانه بلا منازع، ورحل إليه الناس من شتى الاقطار، قال ابن مجاهد: " وكان الإمام الذي قام بالقراءة بعد التابعين بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم نافع، وكان عالماً بوجوه القراءات ".

وأثنى عليه الإمام مالك والإمام أحمد وغيرهما، وتوفي سنة 169هـ[81].

28/ سليمان بن مسلم بن جماز المدني

مقرئ جليل ضابط، عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع، مات بعد السبعين ومائة[82].

29/ عيسى بن وردان أبو الحارث المدني الحذاء

إمام مقرئ حاذق راوٍ محقق ضابط عرض على أبي جعفر وشيبة ثم عرض على نافع، وهو من قدماء أصحابه، وتوفي سنة 160هـ[83].

30/ إسماعيل بن جعفر بن أبي كثير الأنصاري المدني

جليل ثقة، عرض على شيبة بن نصاح ثم على نافع وابن جماز وعيسى بن وردان، روى عنه القراءة عرضًا وسماعًا الكسائي وقتيبة وأبو عبيد القاسم بن سلام، مات سنة 180هـ[84].

31/ يعقوب بن جعفر أخو إسماعيل المذكور السابق.

روى القراءة عن ابن جماز ونافع وغيرهما، روى القراءة عنه عرضا أبو عمر الدوري وعلي بن حمزة الكسائي وحمزة بن القاسم ومحمد بن سعدان[85].

32/ جعفر بن محمد بن علي بن الحسين الصادق المدني

قرأ على أبيه محمد الباقر، وقرأ عليه حمزة الزيات، وتوفي سنة 148هـ[86].

(81) غاية النهاية (334/1)، ومعرفة القراء الكبار (241/1).
(82) غاية النهاية (616/1)، ومعرفة القراء الكبار (293/1).
(83) غاية النهاية (163/1)، ومعرفة القراء الكبار (247/1).
(84) غاية النهاية (163/1)، ومعرفة القراء الكبار (294/1).
(85) غاية النهاية (390/1).
(86) غاية النهاية (196/1).

33/ عبد الرحمن بن عبدالله بن ذكوان أبو محمد بن أبي الزناد المدني

قرأ على أبي جعفر ثم على نافع، مات سنة 164هـ[87].

الطبقة الرابعة: وهي التي تلي من جاء بعد التابعين.

34/ عيسى بن مينا بن وردان بن عيسى الزرقي الملقب قالون

قارئ المدينة ونحويها، قرأ على نافع ولازمه مدة طويلة، قال قالون: " قرأت على نافع قراءته غير مرة، وكتبتها في كتابي "، وقال النقاش: " قيل لقالون: كم قرأت على نافع قال: ما لا أحصيه كثرة إلا أني جالسته بعد الفراغ عشرين سنة "، مات سنة 220هـ[88].

35/ عثمان بن سعيد بن عبدالله المصري الملقب ورشًا

ثقة حجة في القراءة، أخذ القراءة عن نافع، وختم عليه أربع ختمات، انتهت إليه رئاسة الإقراء بالديار المصرية، وتوفي سنة 197هـ[89].

36/ إسماعيل بن أبي أويس المدني

ابن أخت مالك بن أنس، قرأ على نافع ومات سنة 227هـ[90].

37/ عبدالحميد بن أبي أويس المدني

ثقة ثبت، أخذ القراءة عن نافع، ومات سنة 230هـ[91].

38/ إسحاق بن محمد بن عبدالرحمن المخزومي المدني

إمام ضابط جليل، قرأ على نافع وغيره، مات سنة 206هـ[92].

39/ عبيد بن ميمون أبو عباد المدني

قرأ على نافع، روى عنه إبراهيم بن محمد المدني، مات سنة 204هـ[93].

---

(87) غاية النهاية (372/1).

(88) غاية النهاية (615/1)، ومعرفة القراء الكبار (326/1).

(89) غاية النهاية (502/1)، ومعرفة القراء الكبار (323/1).

(90) غاية النهاية (162/1).

(91) غاية النهاية (360/1).

(92) غاية النهاية (157/1).

(93) غاية النهاية (497/1).

40/ سليمان بن داود بن علي الهاشمي

ضابط مشهور ثقة قرأ على إسماعيل بن جعفر ومات سنة 210هـ[94].

ونقتصر على هذه النبذة اليسيرة من أعلام هذه الطبقة مع أن أصحابها بالعشرات ممن اطلعت عليهم ولكن حسبنا ما ذكرنا وننتقل إلى الطبقة التي تليها.

الطبقة الخامسة: وهم تلاميذ الإمام قالون ومن كان في طبقتهم

41/ الزبير بن محمد بن عبدالله بن سالم بن عبد الله بن عمر بن الخطاب العدوي المدني

راوي قراءة أبي جعفر عن قالون، كان إمام جامع المدينة، وهو ثقة تلقى الناس روايته عن أبي جعفر بالقبول، توفي سنة 270هـ[95].

42/ إبراهيم بن الحسين بن علي الهمذاني الكسائي الملقب بسفينة

روى القراءة سماعًا عن قالون، وأثبت جماعة عرضه عليه، وله عنه نسخة، وهو ثقة كبير مشهور، مات سنة 281هـ[96].

43/ إبراهيم بن عيسى ابن قالون بن مينا المدني

قرأ على أبيه، قرأ عليه محمد بن عبد الله بن فليح[97].

44/ أحمد بن عيسى قالون المدني

قرأ على أبيه وخلفه في القراءة بالمدينة، روى القراءة عن أبيه عرضا، قال الحافظ أبو عمرو الداني: " وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة بالمدينة، غير أنه قليل الأصحاب ".

روى عنه القراءة عرضا الحسن بن أبي مهران والعمري والنبقي الهاشميان[98].

---

(94) غاية النهاية (313/1).

(95) غاية النهاية (293/1، 439).

(96) غاية النهاية (11/1).

(97) غاية النهاية (22/1).

(98) غاية النهاية (94/1)، ومعرفة القراء الكبار (441/1).

45/ أحمد بن صالح المصري

أحد الأعلام قرأ على ورش وقالون وإسماعيل وابن أبي أويس وأخيه أبي بكر عن نافع، مات سنة 248هـ[99].

46/ أحمد بن يزيد أبو الحسن الحلواني

أستاذ إمام كبير ثقة ضابط خصوصًا في رواية قالون، قرأ بالمدينة على قالون رحل إليه مرتين، وإسماعيل وأبي بكر ابني أبي أويس وغيرهم، توفي سنة 250هـ[100].

47/ إبراهيم بن محمد بن إسحاق المدني

قرأ على قالون، وروى الحروف عن إسماعيل مسلم وعن أبي بكر بن أبي أويس[101].

48/ محمد بن عثمان بن خالد القرشي العثماني المدني

مقرئ معروف ثقة أخذ القراءة عن قالون، مات سنة 241هـ[102].

49/ محمد بن إسحاق بن محمد المسيبي المدني

مقرئ عالم مشهور أخذ القراءة عرضًا عن أبيه عن نافع، وعن غيره توفي سنة 236هـ[103].

50/ سالم بن هارون بن موسى الليثي المؤدب

عرض على قالون، وقرأ عليه ابن شنبوذ محمد بن أحمد[104].

الطبقة السادسة: وهم من جاء بعد تلاميذ الإمام قالون ومن في طبقتهم

51/ عبدالرحيم العمري الهاشمي

روى القراءة عن أحمد بن يزيد الحلواني وأحمد بن قالون ومحمد بن إسحاق المسيبي، روى القراءة عنه هبة الله بن جعفر وأبوه جعفر بن محمد[105].

---

(99) غاية النهاية (62/1).

(100) غاية النهاية (149/1)، ومعرفة القراء الكبار (437/1).

(101) غاية النهاية (23/1).

(102) غاية النهاية (196/2).

(103) غاية النهاية (98/2).

(104) غاية النهاية (301/1).

(105) غاية النهاية (384/1).

52/ أحمد بن عبدالله بن العلاء المقري

يعرف بابن أبي نبقة، روى القراءة عن أبي مروان عن قالون، روى القراءة عنه ابنه محمد عرضًا[106].

53/ الحسن بن العباس أبي مهران الجمال أبو علي الرازي

شيخ عارف حاذق مصدر ثقة، إليه المنتهى بالضبط والتحرير، قرأ على أحمد بن قالون وأحمد الحلواني وغيرهما، روى القراءة عنه ابن مجاهد وابن شنبوذ وابن المنادي والنقاش وعبد الجليل الزيات، توفي سنة 289هـ[107].

54/ أحمد بن محمد بن عبدالله بن صدقة أبو بكر البغدادي

مشهور ثقة، قرأ على إبراهيم بن محمد بن إسحاق صاحب قالون، روى القراءة عنه محمد بن يونس وابن مجاهد وعلي بن الحسين بن الرقي[108].

55/ أحمد بن نصر أبو جعفر الترمذي

روى القراءة عن أبي مروان محمد بن عثمان العثماني صاحب قالون[109].

المبحث الثاني

ترجمة بعض قرّاء المدينة من القرن الخامس وما بعده

56/ محمد بن عمر بن يوسف أبو عبد الله الأنصاري القرطبي المالكي

إمام عالم فقيه مفسر نحوي زاهد مقرئ، ولد بعيد الخمسين وخمسمائة، قرأ القراءات على أبي القاسم الشاطبي وقرأ عليه القصيدتين اللامية والرائية, وسمع منه الشاطبية عبد الصمد بن أبي الجيش بالمدينة, وجلس للإقراء بالفاضلية بعد موت الشاطبي، ثم حج وجاور مرات بالمدينة وتزهد، قال أبو عبد الله الحافظ: وكان له قبول تام من الخاص والعام وفيه مروءة وافرة وقضاء لحقوق الإخوان، توفي بالمدينة في مستهل صفر سنة إحدى وثلاثين وستمائة[110].

(106) غاية النهاية (73/1).
(107) غاية النهاية (216/1).
(108) غاية النهاية (119/1).
(109) غاية النهاية (145/1).
(110) غاية النهاية (220/2)، ومعرفة القراء الكبار (1270/3).

57/ محمد بن علي بن يحيى بن علي

الشيخ الإمام العلامة أبو عبد الله الأندلسي, ثم المدني النحوي المقرئ, المعروف بالشامي لأن أباه حج وقدم الشام ثم رجع إلى بلده غرناطة، فولد له هذا المذكور سنة إحدى وسبعين وستمائة فسمع بها الحديث وقرأ القراءات على ابن الزبير, ثم قدم مكة فقرأ بها على التوزري، وسمع الشاطبية بالمدينة من الكمال محمد بن عبد الله الغرناطي, وبرع في فقه مالك والشافعي والنحو والهيئة وغير ذلك وله الشعر الرائق، قرأ عليه بالروايات أبو عبد الله القابسي بالحرم، توفي بالمدينة سنة 715هـ[111].

58/ الزبير بن علي بن سيد الكل بن أبي صفرة الشرف المهلبي الأسواني الشافعي

شيخ عارف متصدر، ولد سنة ست وخمسين وستمائة، كان بالجامع العتيق بمصر ثم توجه مجاورًا إلى المدينة الشريفة واستقر فيها، قرأ على سلامة بن ناهض الأزدي وعبد الواحد المغربي وعرض الشاطبية على التوزري وعبد الرحيم بن خلف الدميري، قرأ عليه بمصر الشيخ محمد بن بياض اللبان المتصدر بجامع مصر، والصلاح محمد بن محمد بن عمر البلبيسي وولده عبد الله بن وآخرون، وأضر بأخرى توفي في سنة خمس وأربعين وسبعمائة[112].

59/ محمد بن صالح بن إسماعيل أبو عبدالله المقري

شيخ المدينة الشريفة ومن انتهت إليه القراءة علواً بالحجاز ثقة صالح عارف خير وباشر الخطابة والإمامة بالمدينة الشريفة زمناً، وممن قرأ عليه الإمام ابن الجزري رحمه الله، توفي سنة 785هـ[113].

وبهذا نكون قد أخذنا نبذة ولو يسيرة عن أشهر رجالات مدرسة القراءة بالمدينة المنورة، وما أوردناه في هذه التراجم إنما هو غيضٌ من فيض لمدرسة عريقة، ضربت أطنابها في تاريخ القراءة، وعُدَّ تلاميذها بالمئات أو بالآلاف من بدايتها إلى يومنا هذا.

(111) غاية النهاية (212/2)، ومعرفة القراء الكبار (1510/3).

(112) غاية النهاية (293/2)، ومعرفة القراء الكبار (1524/3).

(113) غاية النهاية (155/2).

الفصل الثالث/ الآثار العلمية لمدرسة الإقراء بالمدينة المنورة وأثرها

المبحث الأول

الإنتاج العلمي لمدرسة الإقراء بالمدينة المنورة

لقد سجلت كتب التراجم والتاريخ بعض المؤلفات العلمية لأصحاب مدرسة القراءات بالمدينة المنورة وإن كانت غالب هذه المؤلفات لم يصل إلينا منه شيئًا ومن ذلك:

1/ رسالة في القراءات لقالون المدني[114].

2/ كتاب في القراءات لإسماعيل بن إسحاق الأزدي القافي من تلاميذ قالون[115].

3/ كتاب عدد المدني الأول للإمام نافع المدني.

4/ كتاب عدد المدني الثاني للإمام نافع المدني.

5/ كتاب عواش القرآن لنافع المدني.

6/ كتاب في عدد المدني الأخير لإسماعيل بن جعفر المدني.

7/ الوقوف لشيبة بن نصاح المدني.

8/ وقف التمام لنافع المدني.

9/ وقف التمام لقالون المدني.

المبحث الثاني

أثر مدرسة القراءات بالمدينة في غيرها

وفي هذا المبحث نستعرض بعض تأثير مدرسة الإقراء في المدينة النبوية على غيرها من مدارس الأمصار الأخرى.

1/ مدرسة مكة المكرمة

فإمام هذه المدرسة عبد الله بن عباس رضي الله عنه تخرج على أعلام مدرسة المدينة المنورة من الصحابة الكرام كأُبي بن كعب وزيد بن ثابت.

(114) تاريخ التراث العربي (38/1).

(115) غاية النهاية (162/1).

2/ مدرسة الإقراء بالبصرة

كثير من أعلام المدرسة البصرية رحلوا إلى المدينة المنورة ليأخذوا عن مشايخها وأشهرهم إمام هذه المدرسة أبو عمرو بن العلاء قرأ على أبي جعفر وشيبة بن نصاح ويزيد بن رومان وحفص الدوري قرأ على إسماعيل بن جعفر المدني وغيره من أهل المدينة.

3/ مدرسة الإقراء بمصر

وممن أخذ من أعلامها عن قراء المدينة:

- عثمان بن سعيد المصري الملقب بورش.
- أحمد بن صالح المصري قرأ على قالون وورش وإسماعيل بن أبي أويس كلهم عن نافع.

4/ مدرسة القراءات في بغداد

ومن أعلام هذه المدرسة ممن تلقى القراءات في المدينة:

- إسماعيل بن إسحاق البغدادي عن قالون.
- أحمد بن محمد بن صدقة البغدادي عن إبراهيم بن محمد المدني صاحب قالون.

5/ أعلام مدرسة الكوفة

- الإمام أبو عبدالرحمن السلمي عن زيد وأُبي وعثمان.
- الإمام حمزة الزيات عن جعفر الصادق المدني.
- سليمان بن مهران الأعمش عن أبي العالية.
- الإمام الكسائي عن إسماعيل بن جعفر ويعقوب بن جعفر.

6/ مدرسة الإقراء بالأندلس

ومن أعلام هذه المدرسة:

- الغازي بن قيس الأندلسي إمام أهل الأندلس في القراءات أخذ عن نافع رحمه الله.
- محمد بن عبدالله الأندلسي عن ورش رحمه الله.

الخاتمـة

الحمد لله الذي بنعمته تتمّ الصالحات، وبإعانته تهون الصعاب، وبعد.

ختامًا أتمنى أن أكون قد ألقيت بعض الضوء على مدرسة القراءات والإقراء في المدينة المنورة ذكرت فيها جانبًا من تاريخها وأعلامها وآثارها.

ومن أبرز نتائج هذا البحث:

- أنّ مدرسة الإقراء قديمة قدم دخول الإسلام إليها.
- أن أبرز ما يميزها أن معلمها الأول هو النبي محمّد صلى الله عليه وسلم.
- أنّ هذه المدرسة متجددة وباقية عبر القرون إلى يومنا هذا.
- أنّ في هذه المدرسة أعلامًا كبارًا حفظوا لنا القرآن والقراءات.
- أثر المدرسة النبوية البالغ على الأمصار الإسلامية الأخرى.

هذا والله أعلم، وصلى الله وسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين..

المصادر والمراجع

1– القرآن الكريم، مصحف المدينة المنورة.

2– غاية النهاية، للإمام ابن الجزري، ط دار الكتب العلمية.

3– تاج العروس، لمحمد مرتضى الزبيدي، المطبعة الخيرية، مصر.

4– لسان العرب، لابن منظور، دار صادر، بيروت.

5– معجم اللغة العربية المعاصرة، د. أحمد مختار عمر، عالم الكتب.

6– اللطائف في اللغة، لأحمد مصطفى الدمشقي، دار الفضيلة.

7– شمس العلوم، لنشوان بن سعيد الحميدي، دار الفكر.

8– المعجم الوسيط، مجموعة من العلماء، دار الدعوة.

9– النشر في القراءات العشر، لابن الجزري، دار الكتب العلمية.

10– علم القراءات نشأته أطواره، د. نبيل محمد آل إسماعيل، دارة الملك عبدالعزيز.

11– البداية والنهاية، لابن كثير، دار إحياء التراث العربي.

12– تاريخ دمشق، لابن عساكر، دار الفكر.

13– الكامل في التاريخ، لابن الأثير، دار صادر، بيروت.

14– نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب، لأحمد المضري، دار صادر، بيروت.

15– تهذيب سيرة ابن هشام، عبدالسلام هارون، مؤسسة الرسالة.

16– السيرة النبوية، لابن هشام، مؤسسة علوم القرآن.

17– فتح الباري، لابن حجر العسقلاني، دار الريان للتراث.

18– صحيح مسلم، لمسلم بن الحجاج القشيري، رئاسة البحوث العلمية.

19– صحيح البخاري، لابن عبدالله محمد بن إسماعيل البخاري، المكتبة الإسلامية استانبول.

20– سنن النسائي، لأحمد بن شعيب النسائي، دار الكتاب العربي.

21– سنن ابن ماجة، لابن ماجة القزويني، دار الفكر.

22– تاريخ المذاهب الإسلامية.

23– تاريخ التراث العربي، فؤاد سزكين، جامعة الإمام، الرياض.

24– نكت الانتصار لأبي بكر الباقلاني،منشأة المعارف بالإسكندرية.

25– الاستيعاب، لابن عبدالبر.

26– تاريخ المذاهب الإسلامية، محمد أبو زهرة.

27– حلية الأولياء لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (المتوفى: 430هـ)، الناشر: السعادة – بجوار محافظة مصر، 1394هـ - 1974م.

28– مناهل العرفان في علوم القرآن, المؤلف: محمد عبد العظيم الزُّرْقاني، المتوفى: 1367هـ، الناشر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه الطبعة: الطبعة الثالثة.

29– تاريخ المدينة لابن شبة، المؤلف: عمر بن شبة النميري البصري، حققه: فهيم محمد شلتوت.

30– ترتيب المدارك وتقريب المسالك، المؤلف: أبو الفضل القاضي عياض بن موسى اليحصبي، تحقيق ابن تاويت الطنجي، 1965 م.

31– معرفة القراء الكبار لشمس الدين محمد بن أحمد الذهبي، تحقيق: د.طيار قولاج، مركز البحوث الاسلامية استانبول.

SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Research

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

العدد 2، المجلد 2، نيسان 2016م.

e-ISSN 2289-9073

ALAISTIDLAL BIALQAWAEID AL'USULIAT WALFAQHIAT EALAA ALMUSTAHDATHAT ALESRITI "DRASAT TATBIQIA"

الاستدلال بالقواعد الأصولية والفقهية على المستحدثات العصرية "دراسة تطبيقية"

أحمد عبود علوان

أسد محمد أسد

كلية العلوم الإسلامية / جامعة ديالى

العراق

Ahmed_alwan6@yahoo.com

1437هـ – 2016م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 5/1/2016
Received in revised form 20/2/2016
Accepted 19/3/2016
Available online 15/4/2016

ABSTRACT

One of the laws of God existing in the universe conditions, customs and traditions change in people, for every era of tools, methods, and all the people in the time of their habits and customs, it was marked this day and age rapidly evolving in all areas until you become unable to keep up with the speed and sophistication, and this development has contributed to Find many of the emerging issues that require the Sharia scholars do what you can and effort in finding affordable solutions to devise its provisions, even the need to return to the Islamic jurisprudence to its ability to find suitable solutions for all that introduces issues and issues of the past and newly emerged, through the diversity and the different provisions throughout the ages and times, and it was the diversity and the renewal of the evidence and the other between a prominent role to find a doctrinal provisions of each issue updated, and it was for the emergence of jurisprudential rules and fundamentalism and a clear role in the reasoning on these developments at the lack of original or sub explicit evidence, and the rules that educe scholars and Diligent of the original evidence like the book and the year, or sub Approvingly or companion saying and others appeared to the urgent need of our time to the difficulty of finding a legitimate provisions for matters incident and modern reference to the explicit and categorical texts.

Researcher or student in forensic studies if received these rules, studied and understood their significance and applied some modern emerging issues, and stood on its exception disclosed explained, understanding the jurisprudential reasons or fundamentalism each rule and the possibility of percentage and inferred in the branches, will feel that the researcher or student at the end of his study of these rules and heuristics as if it stood over the top of Fiqh and received the fruit of a vast interest in knowing all coming down the rule can go to the community, considering the interests and soft.

The importance of the study by connecting contemporary jurisprudence studies, including previous ones inferences from scientists and scholars of the former nation of the rules of jurisprudence and fundamentalism to determine the abundance of

inherited idiosyncratic and radical, and highlight the role of those rules by inference for the solution of the emerging jurisprudence problems contemporary of the emergence of large numbers of novel issues, this included in my plan divisive for the study on the introduction, three chapters and a conclusion.

الملخص

إن من سنن الله القائمة في هذا الكون تغير الأحوال والعادات والتقاليد لدى الناس، فلكل عصر أدواته ووسائله، ولكل أهل زمان عاداتهم وأعرافهم، وقد تميز هذا العصر بسرعة التطور في جميع المجالات حتى أصبح المرء عاجزاً عن مواكبة هذه السرعة والتطور، وقد أسهم هذا التطور في إيجاد العديد من المسائل المستجدة التي تتطلب من علماء الشريعة بذل الوسع والجهد في إيجاد حلول مُيسرة لاستنباط أحكامها، حتى ظهرت الحاجة للرجوع إلى الفقه الإسلامي لقدرته على إيجاد الحلول المناسبة لكل ما يستحدث من مسائل وقضايا قديماً وحديثاً، وذلك من خلال تنوع واختلاف أحكامه على مر العصور والأزمنة، وكان لتنوع وتجدد الأدلة بين فترةٍ وأخرى دور بارز لإيجاد أحكام فقهية لكل مسألة مستحدثة، وكان لظهور القواعد الفقهية والأصولية دور واضح في الاستدلال على هذه المستجدات عند انعدام الأدلة الأصلية أو الفرعية الصريحة، وهذه القواعد التي استنبطها الفقهاء والمجتهدون من الأدلة الأصلية كالكتاب والسنة، أو الفرعية كالاستحسان او الاستصحاب أو قول الصحابي وغيرها ظهرت الحاجة الماسة إليها في وقتنا المعاصر لصعوبة إيجاد أحكام شرعية لمسائل واقعة وعصرية بالرجوع إلى نصوص صريحة وقطعية.

فالباحث أو الطالب في دراسته الشرعية إذا تلقى هذه القواعد ودرسها وتفهم مدلولاتها وطبقها على بعض المسائل العصرية المستجدة، ووقف على مستثنياتها التي يكشف عنها شرحها، وفهم الأسباب الفقهية أو الأصولية لكل قاعدة ومدى إمكانية نسبتها والاستدلال عليها في الفروع، سيُشعر ذلك الباحث أو الطالب في ختام دراسته لهذه القواعد والاستدلال عليها كأنما وقف فوق قمة من الفقه وحصل على ثمرة مترامية الفوائد في معرفة حكم كل نازلة يمكن أن تذهب بالمجتمع إلى مصالح معتبرة وميسرة.

وتتضح أهمية الدراسة من خلال ربط الدراسات الفقهية المعاصرة بما سبقها من استدلالات من علماء وفقهاء الأمة سابقاً والمتمثلة بالقواعد الفقهية والأصولية للوقوف على غزارة الموروث الفقهي والأصولي، وإبراز دور تلك القواعد بالاستدلال عليها لحل ما يطرأ من المشكلات الفقهية المعاصرة المتمثلة ببروز أعداد كثيرة من المسائل المستحدثة، لهذا تضمنت خطتي في تقسيمي لهذه الدراسة على مقدمة، وثلاثة فصول، وخاتمة.

مشكلة الدراسة

تتمثل مشكلة الدراسة في عدم الرجوع إلى القواعد بنوعيها الأصولية والفقهية بحجة عدم وجود أدلة ونصوص من الكتاب والسنة النبوية للاستدلال على ما يطرأ من مستحدثات معاصرة، لذلك قد يجد المجتهد المعاصر صعوبة في إعطاء حكم لمسألة شرعية من المسائل المعاصرة لأن اغلب المستحدثات المعاصرة ليس لها أدلة صريحة في الأدلة الأصلية أو الأدلة التبعية.

لذا فإن مهمة المجتهد المعاصر اليوم مهمة صعبة ومعقدة عند الاجتهاد وتقديم الاحكام التي تتناسب مع مصالح الناس وحاجاتهم المتعددة، لذلك فعلى من يتصدر الحكم في حاجات الناس وقضاياهم يجب عليه الالمام بجميع جوانب المسألة المطروحة للوقوف على أكثر عدد من المعلومات والاسباب التي لها علاقة بالنازلة ولا فرق في ذلك إذا كان الاجتهاد فردي او جماعي لان استنباط الاحكام الشرعية من غير الادلة الأصلية أو التبعية ضروري لدى المجتهد، وهذا ما يعتبر مشكلة لدى الكثير من المجتهدين المعاصرين وعدم استدلالهم بالقواعد الأصولية والفقهية للخروج بأحكام ميسرة تتناسب مع حجم الثورة العلمية والهيمنة التكنولوجيا لكل مفأصل الحياة المعاصرة.

الفصل الأول: معنى القواعد والمستحدثات ويقسم إلى:

المبحث الأول: تعريف القاعدة لغةً واصطلاحاً.

المبحث الثاني: تعريف القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية.

المبحث الثالث: تعريف المستحدثات العصرية.

الفصل الثاني: علاقة القاعدة الأصولية والفقهية بالمستحدثات العصرية ويقسم إلى:

المبحث الأول: الفرق بين القاعدة الأصولية والقاعدة الفقهية.

المبحث الثاني: علاقة القاعدة الأصولية بالمستحدثات.

المبحث الثالث: علاقة القاعدة الفقهية بالمستحدثات.

الفصل الثالث: دراسة تطبيقية للقواعد الأصولية والفقهية على بعض المستحدثات العصرية

ويقسم إلى:

المبحث الأول: شارات الطيارين التي تحمل الآيات القرآنية

المبحث الثاني: التحالف السياسي مع الكفار

المبحث الثالث: العدسات اللاصقة

المبحث الرابع: القنوات الفضائية

الفصل الأول

معنى القواعد والمستحدثات

المبحث الأول: تعريف القاعدة لغةً واصطلاحاً.

القاعدة لغةً: أصل الأساس، وقواعد البيت أساسه، قال الزجاج: "القواعد أساطين البناء التي تعمده وقواعد الهودج: خشبات أربع معترضة في أسفله تركب عيدان الهودج فيها، وَقَالَ أَبُو عبيد: قَوَاعِد السَّحاب: أصولُها المعترِضة فِي آفَاق السَّماء، شبِّهت بقواعد البِناء"[1]، قال تعالى: ((**وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَاهِيمُ الْقَوَاعِدَ مِنَ الْبَيْتِ وَإِسْمَاعِيلُ**))[2].

القاعدة اصطلاحاً: تنوعت وتعددت تعريفات العلماء للقاعدة على ألفاظ مختلفة كلاً حسب فكرته ومنهجه ومن هذه التعريفات نذكر ما يأتي:

1. ذهب الإمام السبكي إلى أن القاعدة هي: "الأمر الكلي الذي ينطبق عليه جزئيات كثيرة يفهم أحكامها منها"[3].
2. وذهب ابن خطيب الدهشة إلى أن القاعدة هي: " حكم كليّ ينطبق على جميع جزيئاته لتعرف أحكامها منه"[4].
3. ومن يرى أن القاعدة قضية كلية عرفها على أنها: "حكم أو أمر كلي أو قضية كلية تفهم منها أحكام الجزئيات التي تندرج تحت موضوعها وتنطبق عليها".
4. ومن يرى أنها قضية اغلبية عرفها على أنها: "حكم أكثري لا كلي، ينطبق على أكثر جزئياته لتعرف أحكامها منه"[5].

(1) أبو منصور، محمد بن أحمد بن الأزهري الهروي، 2001م، *تهذيب اللغة*، ط1، تحقيق: محمد عوض مرعب، بيروت: دار إحياء التراث العربي، ج1 : 137. وابن منظور، جمال الدين محمد ، د . ت، *لسان العرب* ، ط1 ، تحقيق : يوسف خياط ونديم مرعشلي ، بيروت : دار لسان العرب، ج3 : 361.

(2) القرآن الكريم، *سورة البقرة*، 2 : 127.

(3) السبكي، الاشباه والنظائر، ج1 : 11.

(4) القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير، ج1: 36 .

(5) آل بورنوا، الوجيز في ايضاح قواعد الفقه الكلية، ج1: 15 ـ 16.

ويرى الباحث – والله أعلم – أن جميع هذه التعاريف تدور حول مضمون واحد وهو: حكم كلي يمكن تطبيق بعض المسائل الفرعية عليها للوصول إلى نتيجة مفهومة وواضحة من خلال الاستدلال على القاعدة"، لذلك جاءت تلك التعاريف كلها متقاربة ومتحدَ في المعنى رغم اختلاف الالفاظ.

المبحث الثاني: معنى القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية.

بعد معرفة معنى القاعدة لغةً واصطلاحاً لا بد الان من معرفة معنى "القاعدة الفقهية" و"القاعدة الأصولية" باعتبارها مصطلحات مركبة أُضيفت إليها الفاظ أخرى وهي الفقهية والأصولية، وقد ذكر العلماء القدامى والمعاصرين تعاريف متنوعة ومتعددة لكلا اللفظين.

أولاً: القاعدة الفقهية، ومن المعاني التي ذكرها العلماء هي:

1. "الجملةُ الجامعةُ من الفقهِ تندرجُ تحتهَا جزئياتٌ كثيرةٌ، بمنزلةِ النُّصوصِ الجوامعِ للمعاني"(6).
2. "هي التي تتضمن حكمًا فقهيًّا في ذاتها، وهذا الحكم الذي تتضمنه القاعدة ينتقل إلى الفروع المندرجة تحتها"(7).
3. وذكر الشيخ أحمد الزرقا أن القواعد الفقهية هي: "أصول فقهية كلية في نصوص موجزة دستورية تتضمن احكاماً تشريعية عامة في الحوادث التي تدخل تحت موضوعها"(8).

ثانياً: القواعد الأصولية ومن معانيها:

1. هي: "دلالةٌ يهتدي بها المجتهدُ للتَّوصُّلِ إلى استخراجِ الأحكامِ الفقهيَّة، فهي آلتُهُ الَّتي يستعملُها لاستفادَةِ تلكَ الأحكامِ"(9).
2. أو هي: "من حيث كونها دليلاً إجمالياً يستنبط منه حكم كلي"(10).

المبحث الثالث: معنى المستحدثات العصرية.

مصطلح المستحدثات العصرية عبارة عن مركب لفظي من مكلمتين هم "المستحدثات" و "العصرية" وعند توضيح معنا هذا المركب يُفضل تعريف كل لفظ منفرداً عن الآخر ليكون معرفة المعنى أدق وأوضح من تعريفهما مجتمعين.

---

(6) تيسير علم أصول الفقه، ج1 : 13.

(7) المدخل لدراسة المذاهب الفقهية، 1 : 336.

(8) الزرقا، شرح القواعد الفقهية، ص: 34.

(9) تيسير علم أصول الفقه، ج1 : 13.

(10) آل بورنوا، الوجيز في ايضاح قواعد الفقه الكلية، ج1 : 21.

أولاً: المستحدثات: جمع ومفردها مستحدثة والحديث نقيض القديم يُقال: أخذني ما قدم وما حَدث، قال الفراء: نرى أن واحد الأحاديث أحدوثة، ثُم جعلوه جمعاً للحديث، والحدوث: كون شيئ لم يكن، وأحدثَهُ الله فحدث، وحدث أمراً، أي وقع[11]، ومنهُ يُقال "حَدَثَ" به عيب إذا تجدد وكان معدوماً قبل ذلك ويتعدى بالألف فيُقال "أَحْدَثْتُهُ" ومنه "مُحْدَثَاتُ الأُمُورِ" وهي التي ابتدعها أهل الأهواء[12].

ثانياً: العصرية: "مأخوذة من العصر وهو الدهر[13]، فإذا ثقلوه قالوا: عُصرٌ مَضموم، والعَصران: الليل والنهار والعصرُ: العشيُ، ولذلك سُميَ الغَداةُ والعَشِي"[14]، والمقصود بالدهر هو العصر الحالي أو الوقت الحالي الذي نزلت وظهرت فيه الكثير من هذهِ المسائل والقضايا المستجدة التي تحتاج إلى حُكم شرعي من العُلماء والفُقهاء عن طريق الاجتهاد الفردي والجماعي.

بعد معرفة معنى كل مفردة يرى الباحث – والله أعلم – أن المستحدثات العصرية هي: الأحداث والمسائل الجديدة التي لم تكُن موجودة في العصور القديمة، وقد ساعد في ظهور هذه المستحدثات العصرية أسباب عديدة من تطور العلوم وتعدد الصناعات الحديثة، واختلاف مصالح الناس وعاداتهم وأعرافهم.

الفصل الثاني

علاقة القاعدة الأصولية والفقهية بالمستحدثات العصرية

المبحث الأول: الفرق بين القاعدة الأصولية والقاعدة الفقهية.

ذكر علماء الأصول والفقهاء في مؤلفاتهم المختلفة وعند تناول موضوع القواعد الأصولية والفقهية عدد من اوجه الاختلاف بين القاعدة الفقهية والقاعدة الأصولية وذلك من جهة فهم القاعدة ومن جهة الحكم الذي يُبنى عليها أو من اوجه أخرى لمعرفة وظيفة كُل قاعدة عند الاستدلال عليها، لذلك سأحاول عدم ذكر جميع الفروق والاختلافات بينهما خشية الاطالة، ولكن سأتناول الفروق بين القاعدتين والتركيز على بعضها وما يخص المستحدثات العصرية، ومن هذه الفروق هي:

---

(11) الجوهري ، *الصحاح*، ج2 :301.

(12) الفيومي ، *المصباح المنير* ، ج1 : 68.

(13) الجوهري، إسماعيل بن حماد ،1407 هـ / 1987م, *الصحاح: تاج اللغة وصحاح العربية* ، ط4، بيروت: دار العلم للملايين ، ج3 : 312.

(14) الطالقاني، الصاحب الكافي الكفاءة أبو القاسم إسماعيل بن حماد بن العباس بن أحمد بن إدريس، 1414هـ/1994 م، *المحيط في اللغة* ، ط1: ، تحقيق : الشيخ محمد حسن آل ياسين ، لبنان: دار عالم الكتب ، ج1 : 326.

أولاً: من حيث الموضوع: القاعدة الأصولية هي: ما تتعلق بالأدلة واستخراج الاحكام منها أي استنباط الصحيح من غيره، شأنه في ذلك كعلم النحو لضبط النطق والكتابة، لذلك فقواعد الأصول هي وسط بين الأدلة والأحكام، فموضوعها دائما الدليل والحكم.

أما القاعدة الفقهية فهي: ما يكون موضوعها المكلف بأفعاله وتصرفاته لمعرفة حكم مسألة مطروحة بناءً على قاعدة فقهية كُلية[15].

ثانياً: من حيث اللفظ: فأن غالب قواعد أصول الفقه نشأت عن طريق الألفاظ العربية الخاصة وما يعرف لتلك الألفاظ من النسخ والترجيح مثل قاعدة "الأمر للوجوب والنهي للتحريم" فهذه دلالة على أن صيغة اللفظ في هاتين القاعدتين تدل على العموم[16].

أما القواعد الفقهية: فأنها مشتملة على أسرار التشريع وحكمه، مشعرة ومنبهة على المقصد الشرعي الذي لأجله شُرع هذا الحكم، أو حُرم هذا الفعل، وأن لم يكن هذا مطرداً في جميعها فهي السمة الغالبة فيها، واعتبار ذلك في القواعد الكلية الخمسة[17].

ثالثاً: من حيث الفائدة: فطبيعة القاعدة الأصولية يستفيد منها المجتهد على وجه الخصوص، وذلك عند استنباط الحكم من الدليل، والقاعدة الفقهية على العكس من ذلك فهي عمومية يستفيد منها الفقيه والمفتي والمتعلم، لأن القاعدة الأصولية إذا كانت وسيلة لاستنباط الحكم من الدليل الشرعي، والقاعدة الفقهية مجرد رابط بين فروع متشابهة يتبين الحكم العام لها، كانت الأولى خاصة بالمجتهد لأنه هو القادر على الاستنباط لتواتر ادواته فيه، بينما تكون الثانية أوسع في دائرة الانتفاع بها، كما ينتفع بالفقه[18].

(15) جمعة، على جمعة محمد عبد الوهاب، 1422 هـ - 2001 م، *المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية*، د.ط، القاهرة: دار السلام، ج1 : 33.

(16) القرافي، الفروق "انوار البروق"، دون طبعة وتاريخ، دار عالم الكتب، ج1 : 4.

(17) الحصين، عبد السلام إبراهيم محمد. 1420 هـ/2002 م. *القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية*. ط.1. دار التأصيل ج1 : 64.

(18) الحصين، القواعد والضوابط الفقهية ، ج1 : 69.

رابعاً: من حيث العدد: القواعد الفقهية قواعد جليلة كثيرة العدد عظيمة المدد مشتملة على أسرار الشرع وحكمه، لكل قاعدة من الفروع في الشريعة ما لا يحصى ولم يذكر منها شيء، أما القواعد الأصولية: فهي تكاد تكون محصورة في أبواب الأصول ومواضيعه فهي في الغالب ليست فيها إلا قواعد الاحكام[19].

خامساً: من حيث الوجود في الواقع: القواعد الفقهية متأخرة في الوجود الواقعي والذهني عن القواعد الأصولية لأنها جمع للفروع المتشابهة في رباط مشترك وهذا لا يكون إلا بعد وجود الفروع التي يسبق وجودها وجود القواعد الأصولية[20].

المبحث الثاني: العلاقة بين القواعد الأصولية والمستحدثات العصرية.

إن علم أصول الفقه وقواعده لم يوجد كمادة متكاملة في عصر النبوة ولا في عصر الخلافة الراشدة ولا في عصر التابعين، وإنما شهد على مدار هذه العصور التطور والتكامل نتيجة تغير الأحوال والظروف وظهور المستحدثات في كل عصر[21].

وقد بدء التدوين الحقيقي لمادة أصول الفقه وبدايات بروز هذه المادة كعلم مستقل بنفسه هي على يد الإمام الشافعي حينما ألف كتابه المشهور "الرسالة" ومن أبرز الاسباب التي دفعت الإمام إلى تدوين علم أصول الفقه هو التجاذب الذي حصل بين أهل الحديث واهل الرأي، والتخبط في الاجتهاد والفتوى، والشافعي أول من صنف في أصول الفقه من خلال كتاب "الرسالة" وكتاب "أحكام القرآن" وكتاب "اختلاف الحديث" وكتب أخرى، وقال الإمام أحمد بن حنبل: "لم نكن نعرف الخصوص والعموم حتى ورد الشافعي" وقال الإمام الجويني: "لم يسبق لشافعي أحد في تصانيف الأصول ومعرفتها"[22].

بناءً على هذه المقدمة المختصرة في نشأة علم أصول الفقه وأول من دون فيه نجد أن مُهمة الأصولي هي البحث في الأدلة الشرعية من الكتاب والسُّنة والاجماع والقياس والأدلة التبعية الأخرى للوصول إلى نوع الحكم الكلي الذي يدل عليه مستعيناً بأساليب اللغة العربية والاستعمالات الشرعية، ومن الأمثلة على ذلك:

---

(19) القرافي، الفروق، ج1 : 2-3 .

(20) القحطاني، مسفر بن علي بن محمد، 1431هـ ، 2010م، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة دراسة تأصيلية تطبيقية، السعودية: دار الاندلس الخضراء، ص: 445 – 446.

(21) الضويحي، أحمد بن عبدالله بن محمد، 1427هـ ، النوازل الأصولية، د.ط، ص: 26.

(22) الزركشي، البحر المحيط، ج1 : 18.

1. تطبيق قاعدة "الامر للإيجاب" على قوله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**)) [23] والذي يحكم على الإيفاء بالعقود بأنه واجب .
2. تطبيق قاعدة "النهي للتحريم" على قوله تعالى: ((**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا يَسْخَرْ قَوْمٌ مِنْ قَوْمٍ**))[24]، والذي يحكم عليها بتحريم السخرية.
3. تطبيق قاعدة "العلم ينتظم جميع أفراده مطلقاً" على قوله تعالى: ((**حُرِّمَتْ عَلَيْكُمْ أُمَّهَاتُكُمْ**))[25] والذي يحكم عليه بتحريم كل أم[26].

وبالنظر إلى ذلك يتضح لنا أن العلاقة بين القواعد الأصولية والمستحدثات العصرية علاقة أدلة يتوصل إليها المجتهد والمفتي من خلال الشرح والفهم لتلك القواعد إلى حُكم مناسب لكل مستحدثة وفي مختلف أبواب الفقه الإسلامي، علماً أن اغلب المستجدات العصرية التي تظهر الآن ليس لها نصوص صريحة في الكتاب أو السُّنة مما يُصعب ذلك من مهمة الفقيه والأصولي عند الاستدلال عليها للوصول إلى حكم مُيسر يصُب في مصالح الناس، لذلك فأن العلاقة بين الأدلة والقواعد الأصولية وبين إيجاد أحكام شرعية لكل مستحدثة تبرز من خلال بعض الضوابط ومنها:

أولاً: فهم النصوص: ان طُرق دلالة الالفاظ على المعاني وما يفيد العموم من الصيغ وفيما يدل على العام والمطلق والمشترك، وفيما يحتمل التأويل ومالا يحتمل التأويل، وان العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب، وان العطف يقتضي المغايرة، والامر المطلق يقتضي الايجاب، هذه جميعها ضوابط تُستخدم في فهم النصوص الشرعية وطُرق يتبعها المجتهد والمفتي في فهم النص والقاعدة لاستثمار الأحكام منها[27].

وقد اعتبر الامام الغزالي هذا الامر عمدة أصل الفقه، لأنه ميدان سعي المجتهدين في اقتباس الأحكام من أصولها واجتنائها من أغصانها، لان الأحكام ليست مرتبطة باختيار المجتهدين ورفعها ووضعها، والأصول الأصلية المتمثلة بالكتاب والسنة والاجماع والعقل لا دخل للعباد في تكوينها أو نشأتها وإنما مجال اضطراب المجتهد واكتسابه استعمال الفكر في استنباط الاحكام[28].

(23) القرآن الكريم، سورة المائدة، 5 : 1.
(24) القرآن الكريم، سورة الحجرات، 49 : 11.
(25) االقرآن الكريم، سورة النساء، 4 : 23.
(26) عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ج1 : 13.
(27) عبد الوهاب خلاف، علم أصول الفقه، ج1 : 141.
(28) الغزالي، المستصفى، ج1 : 180.

ثانياً: التأويلات الصحيحة: ومعنى ذلك إخراج النصوص عن ظواهرها للتوافق مع مذهب أو طريقة المفتي، يقول أبن القيم: " إذا سئل _ أي المجتهد _ عن تفسير آية من كتاب الله أو سنة رسول الله "صلى الله عليه وسلم" فليس له أن يخرجها عن ظاهرها بوجوه التأويلات الفاسدة لموافقة نحلته هواه، ومن فعل ذلك استحق المنع من الإفتاء والحجر عليه، وهذا ما صرح به ائمة الإسلام قديماً وحديثاً"[29].

وقد أشترط الاصوليون في التأويل الصحيح بعض الشروط منها:

1. أن يكون اللفظ محتملاً للمعنى الذي يؤول إليه، بمعنى أن يكون موافقاً لوضع اللغة أو عرف الاستعمال أو عادة صاحب الشرع وكل تأويل خرج عن هذا فليس بصحيح.
2. أن يكون ثمة موجب للتأويل بأن يكون ظاهر النص مخالفاً لقاعدة مقررة معلومة من الدين بالضرورة أو مخالف لنص أقوى من سنداً كان يخالف الحديث رأياً.
3. ألا يكون التأويل من غير سند، بل لا بد ان يكون له سند مستمد من الموجبات له[30].

المبحث الثالث: العلاقة بين القاعدة الفقهية والمستحدثات العصرية.

إن الناظر في احكام الشريعة الاسلامية يجد انها قد وضعت بعض القواعد الفقهية للاستدلال بالمستحدثات العصرية والتي نستطيع في ضوء هذه القواعد أحكام هذه المستحدثات العصرية، لذلك فإن هذه القواعد الفقهية تعتبر الوعاء الكبير الذي يرجع إليه المجتهد عند انعدام الدليل الصريح للمستحدثة، وكما ذكرنا _ سابقاً _ عند تعريف القاعدة الفقهية والتي اعتبرها الفقهاء في مجمل تعريفاتهم لها عبارة عن مجاميع كلية، او كليات تندرج تحتها فروع وجزيئات، فهذه الكليات والمجاميع لها مواقع وأولويات في علاقتها واهميتها بالمستحدثات العصرية، وسأحاول الاختصار بذكر العلاقة والاهمية بين القاعدة الفقهية والمستحدثات العصرية.

1. إن معرفة القواعد الفقهية ودراستها يغنينا عن معرفة الكثير من الجزئيات والفروع باعتبار أن هذه الفروع تندرج تحتها، وهذا ما يسهل مهمة المجتهد في ربط المسائل القديمة والحديثة مع بعض بادرجها ضمن قاعدتها الكلية، وبذلك يقف على المعنى الذي يجب أن يراعيه في كل جزئية من هذه الصور المتشابهة أو المتعارضة ويفرق بين

(29) ابن القيم، إعلام الموقعين، ج4 : 189.

(30) القحطاني، منهج استنباط، ص:425.

2. احكامها الخاصة، لذلك حث الائمة والفقهاء على ضرورة معرفة ودراسة القواعد الفقهية باعتبارها سهلة الحصول وميسرة للحفظ[31].

لذلك فقد ذكر القحطاني في كتابه "مجموع الفوائد البهية" (أن ضبطها يُيَسر على الفقيه ضبط الفقه بأحكامه، ويغنيه عن حفظ أكثر الجزئيات، إذ إن حفظ جزئيات الفقه وفروعه يستحيل أن يقدر عليه إنسان خلافا للقواعد فإن حفظها وإن كثرت داخل تحت الإمكان)[32].

3. التفاوت في القواعد الفقهية من حيث شمولها ومصدرها وقوتها في تخريج النوازل عليها، فمن هذه القواعد ما تصلح أن تكون أدلة صريحة لاستنباط حكم النازلة منها كآية قرآنية أو حديث نبوي، ومنها ما يكون غير ذلك باعتبار مصدر وأصل القاعدة لذلك فأن هذه القواعد الفقهية ما هو محل اتفاق ومنها ما هو محل اختلاف بين العلماء، ومن الامثلة على ذلك:

- قاعدة: "الخراج بالضمان" فهذه القاعدة أصلها حديث نبوي رواه الامام أحمد، والامام النسائي، في البيوع باب الخراج، والامام ابو داود باب فيمن اشترى عبداً فأستعمله.
- قاعدة: "المعروف عرفاً كالمشروط شرطاً" وقاعدة "لا ينسب الى ساكت قول" وقاعدة "اعمال الكلام اولى من اهماله" فهذه قواعد أصلها الادلة المختلف فيها كدليل الاستصحاب وسد الذرائع وغيرها من الادلة.

لذلك نجد ان القاعدة الفقهية تكتب حجيتها بقوة مصدرها إما نصاً وإما استنباطاً، لذا فإن المذاهب الفقهية قد اتفقت على بعض القواعد حتى سميت بالقواعد الكلية، ومنها ما حصل الاختلاف فيها وسبب هذا التباين والاختلاف يعود إلى مصدر القاعدة[33].

4. اعتبارها شواهد مصاحبة للأدلة: فبهذه القواعد يمكن للإنسان تطبيق معاملاته على الشرع الشريف أو في الأقل التقريب، لأن هذه المسألة على جانب كبير من الأهمية لأنها تتعلق بمصالح وحاجات الناس المعتبرة وتيسير أمورهم من خلال استنباط الاحكام للمستحدثات والاستدلال بهذه القواعد أو اعتبارها شواهد مصاحبة للأدلة الأصلية أو التبعية[34].

(31) القحطاني، منهج استنباط، ص: 457 .

(32) القحطاني، مجموع الفوائد البهية ، ج1 : 7 .

(33) القحطاني، مجموع الفوائد البهية، ج1 : 21 ، والهويريني، المنهج، ص: 461 – 462 .

(34) آل بورنوا، الوجيز، ج1 : 38

جاء في مجلة الاحكام العدلية ما نصه: "تلك القواعد مسلمة معتبرة في الكتب الفقهية تتخذ أدلة لإثبات المسائل وتفهمها في بادئ الأمر فذكرها يوجب الاستئناس بالمسائل ويكون وسيلة لتقررها في الاذهان، ثم إن بعض هذه القواعد وإن كان بحيث إذا انفرد يوجد من مشتملاته بعض المستثنيات لكن لا تختل كليتهما وعمومها من حيث المجموع لما أن بعضها يخصص ويقيد بعض"[35].

الفصل الثالث

دراسة تطبيقية للقواعد الأصولية والفقهية على بعض المستحدثات العصرية

المبحث الأول: شارات الطيارين التي تحمل الآيات القرآنية

المعنى: شارات الطيارين هي: علامات معدنية أو نحاسية تتخذ أشكال مختلفة يرتديها الطيارين وخاصةً الحربيين منهم تحمل هذه الشارات أو العلامات آيات قرآنية أو اسم من أسماء الله أو صفاته، توضع على صدور الطيارين ولأسباب كثيرة، وهي من المسائل المستجدة والمبالغ في استخدامها، وكما يعتقد حاملوها من جلب المنافع وفع الاضرار والاذى عنهم.

أصل المسألة

والأصل فيها هو استعمال الآيات القرآنية لأغراض أخرى غير الغرض الذي انزل من اجله القرآن كالتعبد والتدبر والعمل به، وهذه المسألة قد تناولها الفقهاء قديما وهي تعليق "التمائم[36]" أو بعض الآيات القرآنية على صدور الاطفال من العين والحسد، واختلفت الآراء في تعليق الآيات القرآنية على الصدور أو الاطفال أو على الرقبة الى آراء أختصرها فيما يأتي:

1. ذهب أغلب السلف والفقهاء الى النهي عن تعليقها، وكرهوا التمائم كلها إذا كانت من القرآن أو غير القرآن، ومن هؤلاء ابن مسعود وابن عباس (رضي الله عنهم)، وهو ظاهر قول حذيفة، وعقبة بن عامر، وبه قال

(35) مجلة الاحكام العدلية، لجنة مكونة من عدة علماء وفقهاء في الخلافة العثمانية، ج1 : 16 .

(36) التمائم: جمع تميمة وهي خرزات كانت العرب تعلقها على أولادهم يتقون بها العين. عبد الوهاب، عبد الرحمن بن حسن بن محمد بن عبد الوهاب بن سليمان التميمي، 1377هـ/1957م، *فتح المجيد شرح كتاب التوحيد*، ط7، تحقيق: محمد حامد الفقي، مصر: مطبعة السنة المحمدية، 1 : 120

جماعة من التابعين، منهم أصحاب ابن مسعود، وأحمد في رواية اختارها كثير من أصحابه، وجزم بها المتأخرون[37]، وأستدال اصحاب هذا المذهب بما يأتي:

- عن عقبة بن عامر الجهني (رضي الله عنهم) ان رسول –الله صلى الله عليه وسلم– أقبل إليه رهط، فبايع تسعة وأمسك عن واحد، فقالوا: يا رسول الله، بايعت تسعة وتركت هذا؟ قال: "إن عليه تميمة " فأدخل يده فقطعها، فبايعه وقال: " من علق تميمة فقد أشرك "[38] .
- وأرسل –صلى الله عليه وسلم– في بعض أسفاره رسولاً " أن لا يبقين في رقبة بعير قلادة من وتر، أو قلادة إلا قطعت "[39] .
- ورأى النبي –صلى الله عليه وسلم– رجلاً في يده حلقة من صُفر فقال: (ما هذه الحلقة؟) قال: هذه من الواهنة، قال: "انزعها فإنها لا تزيدك إلا وهناً "[40] .

وقد دلت هذه النصوص عن أوامر النبي صلى الله عليه وسلم بالنهي وكراهية الشيء المعلق من التمائم واعتبار ذلك من الوهن الذي لا ينفع ولا يضر بشيء، وقد أشار الرسول –صلى الله عليه وسلم– الى اعتبار ذلك من الشرك العظم مخافة الاعتقاد بوجود الضرر والنفع من خلال ما يعلق.

وظاهر النصوص المذكور لا تفرق بين التمائم المعلقة إذا كانت من القرآن أو غير القرآن، لذلك ذهب اصحاب هذا المذهب الى قولهم بالتحريم في كل شيء معلق.

- وذهب قوم من الصحابة والعلماء من بعدهم الى القول جواز تعليق ما كان من القرآن أو أسماء أو صفات الله تعالى، وهو قول عبدالله بن عمرو بن العاص وغيره، وهو ظاهر ما روي عن عائشة (رضي الله عنهم) وبه قال أبو جعفر الباقر واحمد في رواية[41]، واستدل القائلون بذلك بما يأتي:
- قال تعالى: **"وَنُنَزِّلُ مِنَ الْقرآن مَا هُوَ شِفَاءٌ وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ وَلَا يَزِيدُ الظَّالِمِينَ إِلَّا خَسَارًا"** [42] .

---

(37) عبد الوهاب، سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب، 1423هـ/2002م، *تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد*، ط1، تحقيق: زهير الشاويش، بيروت ـ دمشق : المكتب الاسلامي، 1 : 134 ، وعبد الوهاب، فتح المجيد، 1 : 127

(38) احمد، *المسند*، 28 : 637 رقم الحديث (17423)

(39) البخاري، *الجامع المسند*، 4 : 59 ، رقم الحديث (3005) ، ومسلم، *المسند الصحيح*، 3 : 1672 ، رقم الحديث (2115)

(40) ابن ماجة، *السنن*، 2 : 1167 ، رقم الحديث (3531)

(41) عبد الوهاب، *فتح المجيد*، 1 : 127

(42) القرآن الكريم، *سورة الاسراء*، 17 : 82

❖ وحملوا اصحاب هذا المذهب حديث التمائم الذي استدل به اصحاب المذهب الأول على التمائم الشركية، اما التي فيها قرآن وأسماء الله وصفاته فهذه كالرقية الشرعية[43].

هذا باختصار الأصل في وضع شارات الطيارين أما اذا اردنا استنباط الحكم لهذه المستحدثة بناءً على بعض القواعد الفقهية او الأصولية وذلك لتقوية الحكم في أصل المسألة نقول هناك بعض القواعد التي يمكن من خلالها استنباط حكم معاصر لهذه المسألة المستجدة منها:

أولاً: قاعدة "المباح اذا كان ذريعة لأمر محرم كان حراماً": ان الله سبحانه وتعالى ورسوله الكريم سد الذرائع المفضية إلى حرام وإن كانت هذه الذرائع مباحة، وقد وردت اشارات واستدلالات إلى مضمون هذه القاعدة التي تحمل معاني واحكام كثيرة في عدة آيات قرآنية منها قال تعالى: "**وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ**"[44] ، وقال تعالى: "**وَلَا يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِنْ زِينَتِهِنَّ**"[45]، وتدخل هذه القاعدة ضمن قاعدة أعم وأشمل منها وهي قاعدة "الوسائل لها احكام المقاصد"[46].

وقد تقرر أن الوسائل من حيث هي وسائل غير مقصودة لأنفسها، وإنما هي تبع للمقاصد بحيث لو سقطت المقاصد سقطت الوسائل، وبحيث لو توصل إلى المقاصد دونها لم يتوسل بها، وبحيث لو فرضنا عدم المقاصد جملة لم يكن للوسائل اعتبار، بل كانت تكون كالعبث، وإذا ثبت هذا، فالأعمال المشروعة إذا عملت للتوصل بها غلى حظوظ النفوس فقد صارت غير متعبد بها إلا من حيث الحظ، فالحظ هو المقصود بالعمل لا التعبد فأشبهت العمل بالرياء لأجل حظوظ الدنيا[47].

فإذا عرفنا أن المقصد الأول من نزول القرآن هو الاتباع والعمل والتعبد بما جاء فيه، فلا يجوز لنا بترك هذه المقاصد واستخدام القرآن وآياته لأغراض اخرى غير ما أنزلت لأجله، وهذا هو أصل موضوع بحثنا من استخدام شارات لأفراد القوة الجوية والطيارين الحربيين على وجه العموم وهذه الشارات مكتوب عليها آيات قرآنية يعتقد الكثير من حامليها ان هذه الشارات حافظة لهم من الحوادث التي تواجههم، قال تعالى: "**إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى**

(43) عبد الوهاب، *تيسير العزيز*، 1 : 134

(44) القرآن الكريم، سورة الانعام، آية :108

(45) القرآن الكريم، سورة النور، آية: 31

(46) العثيمين. محمد بن صالح بن محمد. 1426هـ. الاصول من علم الاصول، دار ابن الجوزي.
، ج1 :ص27

(47) الشاطبي، الموافقات، ج2:ص353

السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ"[48]، فهذه الغاية الحقيقية التي جاء بها القرآن ولم يُنزّل لأجل طباعته أو كتابته على لوحة معدنية او خشبية توضع على صدور الرجل ولم يثبت عنه صلى الله عليه وسلم وهو الذي أُنزلَ عليه القرآن انه وضع على كتفه أو صدره شيء من القرآن او علق آية منه او سورة على جدار، فالعمل بكل ما يخالف السنة النبوية أو إحداث شيء جديد لم يأمر به الشرع فهم من البدع المنهي عنها التي قال عنها النبي "صلى الله عليه وسلم" (كل بدعة ضلالة وكل ضلالة في النار) .

ثانياً: قاعدة "كل ما كان ذريعة الى حرام فهو حرام" الذريعة هي: ما كان وسيلة وطريقا الى الشيء، لكن صارت في عرف الفقهاء عبارة عما أفضت الى محرم، ولو تجردت عن ذلك الافضاء لم يكن فيها مفسدة، ولهذا قيل الذريعة الفعل الذي ظاهره أنه مباح وهو وسيلة الى فعل المحرم، اما إذا أفضت الى فساد ليس هو فعلاً كإفضاء شرب الخمر الى السكر وإفضاء الزنا الى اختلاط المياه[49].

ان تعليق شارات الجنود والطيارين من سور القرآن أو آياته، واتخاذ اوسمة مكتوب عليها آية أو آيات من كتاب الله تعالى قد يكون ذريعة إلى التبرك به، والاعتقاد بأنه سبب النصر والتغلب على الاعداء، وينتهي الأمر فيه الى اتخاذه عوذة وتميمة يعتقد أنها تحفظه من المكاره، وتقيه شر الهزائم، وتكفل له النصر في ميادين القتال ثم يتوسع في استعمالها لجلب المنافع ودفع المضار، ولا شك ان ذلك يتنافى مع مقاصد الشريعة من حفظ العقيدة وسلامتها مما يهدمها أو يضعفها وسد الذرائع من القواعد الإسلامية الكلية اليقينية[50]، لذلك ان الله ورسوله سد الذرائع المفضية الى المحارم بان حرمها ونهى عنها.

ووضع شارات الطيارين المكتوب عليها آيات قرآنية الغالب ان الذين يعلقون هذه الشارات يرتادون الاماكن الممتهنة كأماكن قضاء الحاجات او أماكن اخرى غير نظيفة، فسد للذريعة تمنع هذه الشارات وذلك حفاظاً على الآيات القرآنية المكتوبة عليها كما منع الفقهاء زراعة العنب إذا كان يفضي الى استخدمه كخمر.

(48) القرآن الكريم، *سورة ق* ، 50 : 37

(49) ابن تيمية، *الفتاوى الكبرى*، 6 : 172

(50) ابحاث هيئة كبار العلماء، السعودية، 7 : 82

ثالثاً: استعمال الآيات القرآنية لغير ما انزلت لأجله القرآن الكريم هو دستور المسلمين الأول، أنزله الله سبحانه وتعالى ليقتدي به المسلمين وليعملوا به لأنه يتضمن جميع الحلول التي يعاني منها الانسان وعلى كافة المستويات الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، قال تعالى: "**وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِكُلِّ شَيْءٍ**"[51]، فجميع المشاكل التي تظهر للإنسان وعلى مر العصور وفي جميع المراحل ذكر الله لها حلول في كتابه العزيز، فقوله تعالى (تبياناً) أي على وجه العموم يبين الغموض والوضوح ويرسم الطريق السليم للبشر، لكن ذلك لا يحدث إلا من خلال الاتباع والتدبر لآيات القرآن الكريم، قال تعالى: "**أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقرآن وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلَافًا كَثِيرًا**"[52]، فهذا المنهاج الذي انزله الله يحتوي على الاوامر والنواهي والاحكام والقصص فهو دستور إلاهي شامل لا يعتريه الخطأ والنقص، واحكامه واوامره ونواهيه تتجدد بتجدد العصور والاحداث فهو صالح ومصلح لكل زمان ومكان ولكل ما يستجد ويحدث وهذه معجزة القرآن الكريم وسر من أسراره الديمومة مع التجدد، إذن فالغرض والغاية من هذا المنهج القويم هو لاتباع ورسم الطريق الصحيح للبشرية للنجاة من العقاب والعذاب الذي حذرنا منه القرآن الكريم بعدم ترك هذا المنهج القويم.

لذلك نجد ان تعليق شارات الطيارين والتي تحمل الآيات القرآنية عدم القول بجوازها أولى، وذلك لعدة اسباب يمكن القول بها من خلال ما ذُكر، وهذه الاسباب هي:

1. النصوص التي استدل بها القائلين بعدم الجواز وكراهية ذلك إنما هي نصوص وردت بالعموم والأولى الاخذ بالعموم، وعدم التخصيص .
2. ان قياس جوازها على الرقية قياس غير ظاهر لوجود الفرق بينهما وأما القياس على الرقية بذلك فقد يقال بالفرق، فكيف يقاس بالتعليق الذي لا بد فيه من اوراق أو جلود او نحوهما على ما لا يوجد فيه، فهذا الى الرقى المركبة من حق وباطل أقرب[53].
3. ان جواز التمائم الغالب فيه والمتعارف عليه هو لأجل الاطفال لدفع الحسد او الاذى عنهم، لكن عندما يضع الطيارين الشارات المكتوب عليها آيات قرآنية فلأجل ماذا؟ فهذا ليس له إلا تفسير واحد هو لأجل التبرك بهذه الشارات واعتقاد دفع الحوادث والشرور عنهم، وهذا هو الشرك الاصغر .

---

(51) القرآن الكريم، *سورة النحل*، 16 : 89

(52) القرآن الكريم، *سورة النساء*، 4 : 82

(53) آل الشيخ، محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، 1399هـ ، *فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ*، ط1 ، تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم، مكة المكرمة: مطبعة الحكومة، 1 : 98

4. ان التهاون في لبس هذه الشارات هو تهاون بالآيات القرآنية المنقوشة عليها وذلك بدخول الاماكن النجسة، وهذا من باب سد الذرائع وعدم التهاون في استعمال القرآن الكريم لغير ما أنزل اليه، وكما يوجد الان من الاساور او القلائد التي تحمل أسماء الله او صفاته وتعلق على الرقبة ويستهان بها بالذهاب الى امكن قضاء الحاجة أو غير ذلك من الاماكن النجسة .
5. ان الآية القرآنية التي استدل بها اصحاب المذهب الثاني لا يمكن قياسها على موضوع بحثنا لأن الشفاء الموجود في القرآن الكريم يكون من خلال القراءة والتعبد والخشوع، لا من خلال التعليق على الاجسام او الجدران او المنازل . ــ والله أعلم ــ

المبحث الثاني: **التحالف السياسي مع الكفار**

المعنى

الحلف هو: العهد بين القوم، والمحالفة المعاهدة والملازمة ومنه فلان حلف كريم وحليف كرم، وتحالفا تعاهدا على أن يكون أمرهما واحداً في النصرة والحماية، ويأتي بمعنى اليمين أيضا، كما نهى الرسول صلى الله عليه وسلم عن الحلف بغير الله(54).

أصل المسألة

الأصل في هذه المسألة هو بعض النصوص والقواعد الفقهية في التحالفات التي تحدث بين المسلمين وغيرهم من غير المسلمين، فيمكن من خلال هذه القواعد والنصوص معرفة الحكم التفصيلي في مسألة التحالفات السياسية التي تجريها الدول المسلمة مع الدول الكافرة، وهذه النصوص والقواعد هي:

أولاً: قال تعالى: "**سَمَّاعُونَ لِلْكَذِبِ أَكَّالُونَ لِلسُّحْتِ فَإِنْ جَاءُوكَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ وَإِنْ تُعْرِضْ عَنْهُمْ فَلَنْ يَضُرُّوكَ شَيْئًا وَإِنْ حَكَمْتَ فَاحْكُمْ بَيْنَهُمْ بِالْقِسْطِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**"(55).

(54) المناوي، محمد عبد الرؤوف، 1410هـ، *التوقيف على مهمات التعاريف*، ط1 ، تحقيق : محمد رضوان الداية، بيروت ـ دمشق: دار الفكر المعاصر , دار الفكر ،1 : 293 ، والجياني، محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي، 1404هـ / 1984م، *إكمال الأعلام بتثليث الكلام*، د.ط، تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي، السعودية: جامعة ام القرى، 1 : 158

(55) القرآن الكريم، *سورة المائدة*، 5 : 42

وجه الدلالة: هذا خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم أي إذا كان حالهم كما شرح فإن جاءوك متحاكمين إليك فيما شجر بينهم من الخصومات "فاحكم بَيْنَهُمْ" بما أراك الله تعالى "أَوْ أَعْرِضْ عَنْهُمْ" غير مبال بهم ولا مكترث، وهذا كما ترى تخيير له صلى الله عليه وسلم بين الأمرين[56].

ثانياً: قال تعالى: "**لَا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ أصلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْرًا عَظِيمًا**"[57] .

وجه الدلالة: أي ضرورة الأصلاح وإقامة العدل بين الناس باعتباره سر من اسرار نجاح السياسة الشرعية وفق قواعد العدل والأصلاح عند وقوع المشاقة والعداء بينهم من غير أن يجاوز في ذلك حدود الشرع الشريف[58].

ثالثاً: روي عن عائشة (رضي الله عنها) قالت: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "من احدث في امرنا هذا ما ليس فيه منه فهو رد"[59].

رابعاً: قاعدة رفع الضرر يعني النهي عن الضرر والضرار، وهي من اركان الشريعة باعتبارها لفظ عام متصرف في أكثر أمور الدنيا، ولا يكاد ان يحاط بوصفه، إذ يرجع اليها نحو النصف أو اكثر من أبواب الفقه ومسائله، وتقتضي عموم هذه القاعدة نفي الضرر مطلقاً، لكن هذا العموم مخصص فالضرر المنفي هنا ما كان بغير حق، قال ابن تيمية "رحمه الله": "الضرار محرم بالكتاب والسنة ومعلوم ان المشاقة والمضارة مبناها على القصد والارادة، او على فعل ضرر لا يحتاج إليه فمتى قصد الاضرار ولو بالمباح، او فعل الاضرار من غير استحقاق، فهو مضار، وأما اذا فعل الضرر المستحق للحاجة إليه والانتفاع به لا لقصد الاضرار فليس بمضار"[60]، والضَّررُ قد يحصل من الإنسان بقصد أو بغير قصد،

(56) ابن كثير، *تفسير القرآن*، 3 : 113 ، والالوسي، شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني 1415 هـ ، *روح المعاني*، ط1، تحقيق: علي عبد الباري عطية، بيروت: دار الكتب العلمية، 4 : 494

(57) القرآن الكريم، سورة النساء، 4 : 114

(58) ابو السعود، العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، د .ت، *تفسير أبي السعود، إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم*، د.ط، بيروت: دار احياء التراث العربي، 2 : 156

(59) البخاري، *الجامع الصحيح*، 3 : 184 ، رقم الحديث (2697) باب (إذا اصطلحوا على صلح جور فالصلح مردود).

(60) الحصين، القواعد والضوابط الفقهية عند الامام ابن تيمية، ج1:ص180

والضرار يكون مع القصد، وقيل: الضررُ أن يُدخل على غيره ضرراً بما ينتفع هو به، والضرار أن يُدخل على غيره ضرراً بما لا منفعة له به، كمَن منع ما لا يضرُّه، ويتضرر به الممنوع[61].

وهذه القاعدة من أركان الشريعة وتشهد لها نصوص من الكتاب والسنة، ويشمل الضرر المنهيُّ عنه ما كان ضرراً عاماً أو خاصاً ويشمل ذلك دفعه قبل الوقوع بطرق الوقاية الممكنة، ودفعه بعد الوقوع بما يمكن من التدابير التي تزيل آثاره، وتمنع تكراره، كما يدل على وجوب اختيار أهون الشرين لدفع أعظمها، لأن في ذلك تخفيفاً للضرر عندما لا يمكن منعه بتاتاً [62].

خامساً: قاعدة "الضرورة تقدر بقدرها"، وهي إحدى القواعد التي تندرج ضمن قاعدة رفع الحرج والمشقة، أو قاعدة المشقة تجلب التيسير، والمقصود أن كل فعل جوِّز للضرورة إنما جاز ذلك الفعل بالقدر الذي يحصل به إزالة تلك الضرورة، ولا يجوز الزيادة عن هذا الحدّ، ومعرفة ذلك راجعة إلى المتضرر نفسه، مثال ذلك: المضطر إلى أكل الميتة لا يأكل من الميتة إلا بقدر ما يدفع عن نفسه الضرورة الملجئة إلى أكل الميتة، وهي: خوف الهلاك جوعاً[63]، لأن إباحة المحظور للضرورة مقيدة بمدة قيام الضرورة، أو إنها في قوة التعليل لها[64]، ومعناها أيضاً هو: ترخيص الشارع بفعل او قول شيء خارج عن احكام الشريعة الاسلامية عند الضرورة وإذا انتفت الضرورة انتفى معها العذر، لكن ذهب جميع علماء الاصول الى تقدير حالات الضرورة التي يسمح معها بالخروج عن احكام الشرع، فإذا رخص الشارع بالكفر عند الضرورة فلا يعني ذلك دوام الكفر عليه بحجة الرخصة، ولا ينبغي للشخص ان يوالي الكفار وأهل الظلم، فأنه يلحقه من موالاتهم ومجالستهم نار وعذاب، قال تعالى: "**وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ**"[65]، إلا إذا دعت الحاجة والضرورة الى ذلك فهذه الضرورة تقدر بقدرها، وإذا انتهت فلا معنى لها[66].

قبل القول بحكم التحالفات السياسية مع الكفار بناءً على النصوص والقواعد، يجب الاشارة الى بعض التحالفات التي حدثت في عصر النبوة، وذكر بعض اهداف هذه التحالفات، لنستطيع من خلالها استنتاج حكم شرعي مبني على النصوص والقواعد والشواهد.

---

(61) البدر، عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد، 1424هـ/2003م، *فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب*، ط1، السعودية: دار ابن القيم، 1 : 113

(62) الزرقا، مصطفى أحمد، 2004 م، *المدخل الفقهي العام*، ط2، دمشق: دار القلم، ص : 972

(63) القحطاني، مجموعة الفوائد البهية على منظومة القواعد الفقهية، ج1:ص60

(64) الزحيلي، القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة، ج1:ص395

(65) القرآن الكريم، *سورة هود*، 11 : 113

(66) العدوي، ابو عبدالله مصطفى بن شلباية المصري، د .ت ، *سلسلة التفسير*، د .ط ، الكتاب عبارة عن دروس للشيخ العدوي على الانترنيت، 21 : 9 ، الموقع: http://www.islamweb.net

اولاً: حلف الفضول[67]: والملاحظات التي ظهرت على هذا الحلف هي:

1. الطابع العام على أصل هذا الحلف هو الطابع القبلي، وذلك بحضور الرسول "صلى الله عليه وسلم" بصفته فرداً من قبيلة بني هاشم .
2. هدف هذا الحلف هو نصرة المظلوم على الظالم وإيصال حقه له، ونصر المظلوم هدف اساسي في الاسلام .
3. إن للحركة الاسلامية حرية التحالف مع أي جهة – ولو كانت كافرة – لنصرة المظلوم[68].

ثانياً: تحالف بطون قريش مع رسول الله "صلى الله عليه وسلم"، عندما نزل قوله تعالى: "**وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ**"[69] ، صَعِدَ النبي "صلى الله عليه وسلم" على الصفا، فجعل ينادي: "يا بني فهر، يا بني عدي" لبطون قريش حتى اجتمعوا فجعل الرجل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو؟ فجاء أبو لهب وقريش فقال: "أرأيتكم لو أخبرتكم أن خيلا بالوادي تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي؟ " قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: إني نذير لكم بين يدي عذابٍ شديد، فقال أبو لهب: تباً لك سائر اليوم ألهذا جمعتنا؟ وكان هذا التحالف على مراحل ذكرتها كتب التاريخ وكانت ابو طالب يحضر هذا التحالف لحماية الرسول "صلى الله عليه وسلم" من أذى قريش وغدرهم، وكان الرسول "صلى الله عليه وسلم" يخبرهم في كل مرة بأنه رسول الله ومبلغ من قبل الله فما عليهم إلا ان يتبعوه ويؤمنوا بما جاء به من عند الله[70].

ومن أهداف هذا التحالف ايضا هو: نصرة الدعوة الاسلامية، من خلال علم النبي "صلى الله عليه وسلم" ان الله سبحانه وتعالى معه، فلذلك نجد ان المجتمعون من قبائل واسياد قريش وما يملكون من قوة وبأس نرى ان النبي "صلى الله عليه وسلم" وحده ومعه عمه ابو طالب، فهذه الاهداف هي نفس التي ذكرنا في حلف الفضول.

الحكم: من خلال ذلك ولا سيما لما ذكرنا من الادلة والقواعد، هناك مذهبين في التحالف السياسي مع الكفار هما:

المذهب الأول: لا يجوز التحالف مع الكفار وهو الراجح، وما حدث من تحالفات ومعاهدات مع الكفار في أوائل مراحل الدعوة فهي منسوخة بآية السيف وغيرها من النصوص الشرعية[71]، قال تعالى :"**بَرَاءَةٌ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ إِلَى**

---

(67) ذكرت كتب السير والتاريخ تفصيل دقيق عن اسباب الحلف، ونتائجه، ومن حضره، وما هي النقاط التي اتفقوا عليها والحديث الذي دار في هذا الحلف .

(68) الغضبان، منير محمد، 1402هـ / 1982م، *التحالف السياسي في الاسلام*، ط1، الاردن: مكتبة المنار، ص: 9

(69) القرآن الكريم، *سورة الشعراء*، 26 : 214

(70) الغزالي، محمد السقا، 1427هـ ، *فقه السيرة*، ط1، دمشق: دار القلم، تخريج الاحاديث محمد الالباني، 1 : 106

(71) الشحود، *المسلم بين الهوية الاسلامية والهوية الجاهلية*، 3 : 100، موقع المكتبة العربية: http://www.arablib.com، والشحود، *موسوعة البحوث والمقالات العلمية*، 153 : 1

الَّذِينَ عَاهَدْتُمْ مِنَ الْمُشْرِكِينَ" الى ان قال تعالى: "**فَإِذَا انْسَلَخَ الْأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَاحْصُرُوهُمْ وَاقْعُدُوا لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ فَإِنْ تَابُوا وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ فَخَلُّوا سَبِيلَهُمْ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**"[72].

وتفسير ذلك: هذه الآية الكريمة هي آية السيف التي قال فيها الضحاك بن مزاحم أنها نسخت كل عهد بين صلى الله عليه وسلم وبين أحد من المشركين، وكل عقد وكل مدة[73].

المذهب الثاني: جواز التحالف مع غير المسلمين فيما لا يتعارض مع الإسلام وفيما يحقق مصلحة الإسلام، وفيما لا يقع به مضرة على المسلمين ولا تنازل عن أحكام الإسلام.

والدليل على ذلك:

1. صلح الحديبية وهو الذي كان سبباً لفتح مكة، وكانت قد دخلت خزاعة في عهدها مع رسول الله "صلى الله عليه وسلم" وكانت حليفة له، وكان النبي "صلى الله عليه وسلم" قد جعل خزاعة عيبة نصحه، أي: يثق بهم لما علم من صدقهم في جوانب تعاملهم معه، فعاهدهم وحالفهم، وكانوا معه عليه الصلاة والسلام .
2. إن مرد الامر في القول بالتحالفات السياسية الى ما يحقق المصلحة العامة للأمة، فتخمد به الفتن، وتجتمع به الكلمة، وتسكن به الثائرة، وتحقن به الدماء.
3. ان تتحقق مصلحة عامة لجميع المسلمين من جراء هذا التحالف، وأن تكون لأصل الحلف غاية شرعية معلومة.
4. عدم الاستهزاء واعتبار المسلمين اقلية أو استغلال جوانب الضعف الموجودة في الامة الاسلامية، بل يجب ان يكون للمسلمين قرار ورأي[74].

والذي يبدوا لي– والله اعلم – وخاصة ما يحدث في عصرنا الحاضر من سيطرة الدول الغربية الكافرة على الدول الاسلامية وما يحصل من اتفاقات وتحالفات هو: الذهاب مع تحريم التحالف السياسي مع الدول الكافرة، ولما يأتي:

- إن قول المذهب الثاني واستدلالهم بصلح الحديبية بعيد عما يحدث الان لأن التوازن كان موجود بين المشركين والمسلمين، حيثُ إن المسلمين وبقيادة الرسول صلى الله عليه وسلم انتصروا عليهم في معركة بدر وقتل الكثير من أهم قادة المشركين في تلك المعركة، رغم خسارة المسلمين في معركة أحد هذا من جانب، ومن جانب آخر أن هذا

---

(72) القرآن الكريم، *سورة التوبة*، 9 : 1 ـ 5

(73) ابن كثير، *التفسير العظيم*، 2 : 350

(74) الصاوي، صلاح الصاوي، 2011هـ، *فتاوى السياسة الشرعية*، ط1، مصر: الجزيرة للطباعة والتجليد، ص : 39، وبادحدح، علي بن عمر، د. ت، دروس صوتية للشيخ علي بن عمر، ورقم الجزء هو رقم الدرس، 154 : 5، الموقع من الانترنيت: www.islamweb.net.

- الصلح جاء بنتائج إيجابية للمسلمين أكثر من المشركين منها دخول اقوام كثيرة للإسلام ساعدة على ازدياد اعداد المسلمين مما أدى الى فتح مكة.
- أما اليوم فالمسلمين كما هو معلوم ومعروف لدى الجميع فشوكتهم ضعيفة وعلى جميع المستويات العسكرية والاقتصادية والتجارية، فأي تحالف يحدث بين المسلمين والكفار هو مصلحة للكفار ومضرة للمسلمين، وهذا ما – ذكرناه – في قاعدة لا ضرر ولا ضرار.
- وارى انه بدل التحالف مع المشركين يجب ضرورة تحالف الدول المسلمة فيما بينها ضد المشركين، وذلك من خلال التبادل التجاري والعسكري والاقتصادي وحماية الدول الاسلامية لحدود بعضها البعض .

المبحث الثالث: **العدسات اللاصقة**

المعنى: من عمليات التجميل التي حدثت مؤخرا والتي زاد الاهتمام بها لإظهار الزينة وخاصة عند النساء، أو لأغراض أُخرى قد تكون طبية هي عملية وضع عدسات لاصقة للعين، وبألوان مختلفة، وقد تتضرر العين من وضع هذهِ العدسات، وقد تُستخدم هذه العدسات عند الحاجة إليها طبياً، فما هو الرأي الفقهي لهذه العدسات باعتبارها من المستحدثات العصرية؟ وهل تُعتبر من تغيير خلق الله، أم من باب التدليس والتغرير.

أصل المسألة: هي من المستجدات العصرية في عمليات التجميل التي تحدث في هذا العصر، والأصل فيها أنها لا تخرُج من ثلاثة أمور: إما أن تكون من باب تغيير خلق الله، أو من باب التدليس والتغرير، أو يكون استخدامها لحاجة طبية ضرورية لأجل الحفاظ على البصر:

1. تغيير خلق الله: قال تعالى: "**وَلَأُضِلَّنَّهُمْ وَلَأُمَنِّيَنَّهُمْ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُبَتِّكُنَّ آذَانَ الْأَنْعَامِ وَلَآمُرَنَّهُمْ فَلَيُغَيِّرُنَّ خَلْقَ اللَّهِ**"(75)، قال ابن عباس "رضي الله عنه" تغيير خلق الله يعني تغيير دين الله أي تحليل الحرام وتحريم الحلال، وقيل يُحتمل أن يحمل هذا التغيير على تغيير أحوال تتعلق بظاهر الخلق(76).

(75) القرآن الكريم ، *سورة النساء* ، 4 : 119

(76) الخازن، علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن، المعروف بالخازن، 1415 هـ ، *لباب التأويل في معاني التنزيل . تفسير الخازن .* ، ط1، تحقيق : تصحيح محمد علي شاهين، بيروت : دار الكتب العلمية، ج1 : 428

وقال تعالى: "**لَا تَبْدِيلَ لِخَلْقِ اللَّهِ ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ**"[77]، قال ابن مسعود والحسن "رضي الله عنهم" هو الوشم وما جرى مجراه من التصنُع للتحسين[78]، ويُستثنى من ذلك ما يحصل به الضرر والأذية كأن يكون لها سنٌ زائدة أو طويلة تُعيقها في الأكل، أو إصبع زائدة تؤذيها أو تؤلمها فيجوز ذلك[79]، ونستطيع من ذلك أن نقيس هذا القول على جواز استخدام العدسات اللاصقة من الضرر الذي يحصل للعين أو الأذية لها أذا ظهر من استخدام هذه العدسات الراحة التامة للعين، وملاك الأمر أن تغيير خلق الله إنما يكون إذا كان فيه حظٌ من طاعة الشيطان، بأن يجعل علامة لنحلة شيطانية[80]، والحق سبحانه وتعالى خلق كُل خَلق من خلقه لغاية، فإن استعملنا مخلوقه لغايته فلن نقع في محظور تغيير خلق الله، ولكن لو استعملنا المخلوق لغير الغاية فهذا هو التغيير لخلق الله[81].

2. التدليس والتغرير، فقد نهى الإسلام عن الخداع والغش وإخفاء الحقيقة، ونهى ايضاً المرأة أن تُبدي مفاتنها وصورتها للناظر حتى لا يطمع الذي في قلبه مرض، قال تعالى: "**فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ**"[82]، فإذا كان وضع العدسات اللاصقة لأجل إخفاء صورة العين الحقيقة وإظهارها على إنها أجمل من ذلك، وإعطائها لون مُعين من خلال استخدام هذه العدسات ومن غير وجود علة تُفضي إلى لبس العدسات، فهذا _ والله اعلم _ من باب التدليس والتغرير وإخفاء الحقيقة.
3. **الحيلة:** ويقصد بها: التوصل إلى المحرم بسبب مُباح، أو هي سُقوط الواجب، أو حل الحرام بفعل لم يقصد به ما جعل ذلك الفعل له، أو ما شُرع، وليس كُل ما يُسمى في اللغة حيلة أو يُسميه الناس حيلة حراماً[83]،

---

(77) القرآن الكريم، *سورة الروم*، 30 : 30

(78) أبو حيان، محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، 1420 هـ ،*البحر المحيط في التفسير*، د . ط ، تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت : دار الفكر، ج4 :71

(79) ابن حجر، *فتح الباري*، ج10 : 377

(80) بن عاشور، محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي، 1984 هـ ، *التحرير والتنوير((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»*، د . ط ، تونس : الدار التونسية للنشر، ج5: 206

(81) الشعراوي، الشيخ محمد متولي، د . ت، *تفسير الشعراوي*، د . ط، راجع أصله وخرج أحاديثه الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر، مطابع أخبار اليوم التجارية، ج5 : 2649

(82) القرآن الكريم، *سورة الأحزاب*، 33 : 32

(83) أبو الربيع، *شرح مختصر الروضة*، ج3: 214، والحصين، *القواعد والضوابط الفقهية*، ص : 389.

والحيل بالمعنى المعاصر والعام هي: التلاعُب بالأحكام الشرعية بقصد التغيير لمصالح فئوية خاصة، وإن أدى ذلك إلى إباحة مُحرم أو تحريم مُباح "وهذا الغالب في المعنى المعاصر للحيلة ولا أريد أن أذكر أقوال العلماء.

4. في الاختلاف والاتفاق، لكن أن من قال بإباحتها قصده منها هو: بناءً على أن للشارع قصداً في استجلاب المصالح ودرء المفاسد، بل الشريعة لهذا وضعت(84).

5. وقد يكون لحاجة أو ضرورة والمقصود منه ((التداوي والمعالجة الطّبية)) والتي يُمكن تقسيمها إلى قسمين:

أ- سبب ضروري: ويقصُد به جُملة من الأسباب الضرورية، مثل إزالة عيب في الخلقة، أو تشوه، أو تلف، وهو مقصد ضروري للحفاظ على النفس من الهلكة .

ب- سبب حاجي: وهو جملة من الأسباب التي يقصُد بها إزالة العيوب أو التشوهات الخلقية، وذلك لتوفر الحاجة التي تلحق بالمكلف ضرراً حسياً أو معنوياً، ولا تصِلُ إلى حد الضرورة الشرعية(85).

مناقشة وترجيح

لم يختلف الفقهاء القدامى والمعاصرين على أن مسألة تغيير خلق الله من المسائل الغير مشروعة والمحرمة، لأن القصد من التغيير هو التبديل من حال إلى حال وخاصةً إذا كان هذا التبديل من غير حاجة كما ذكرنا، ونلاحظ الفقهاء الأجلاء قد تناولوا مسألة تغيير خلق الله وفصلوا القول فيها من خلال تفسيرهم للآيات والأحاديث، وذلك لأن المسألة خطيرة كما ذكرها الفقهاء باعتبار أن التغيير هو: تبديل دين وأحكام شريعة الله، أو تغيير الفطرة التي فطرة الناس عليها، أو تغيير خلقة الله من خلال العمليات الجراحية التي تجري الآن.

والتدليس والتغرير هو طريق من الطرق التي يسلكها أصحاب هذا الاتجاه لإيجاد مداخل شرعية أو حجج باطلة للخوض في غمار ضرورة وضع العدسات اللاصقة لأجل الجمال أو مواكبة الموضة، ومن غير ضرورة طبية أو شرعية، وبالتالي فهذا كله يدخل ضمن تغيير خلق الله بأتباع طرق الغش والخداع المنهي وإخفاء الصورة الحقيقية .

أما الحاجة التي تدعوا إلى ضرورة التداوي بأجراء هذا النوع من الجراحة التجميلية فهذا يدخل في إطار أمور معينة قد أجازت هذا النوع من الجراحة الطبية وهي:

1. الأدلة الشرعية الدالة على جواز التداوي والمعالجة الطبية ومنها:

(84) الشاطبي، *الموافقات*، ج3 : 32 – 33.

(85) منصور، الدكتور محمد خالد، 1424 هـ /2004 م ، *الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء في الفقه الإسلامي*، ط2،الأردن: دار النفائس، ص: 184

- عاد رسول الله "صلى الله عليه وسلم" رجلا به جرح، فقال رسول الله "صلى الله عليه وسلم": أدعوا له طبيب بني فلان، قال: فدعوه فجاء، فقالوا: يا رسول الله، ويغني الدواء شيئاً ؟ فقال: سبحان الله، وهل أنزل الله من داء في الأرض، إلا جعل له شفاء(86).
- قوله "صلى الله عليه وسلم" "تداووا فإن الله عز وجل لم يضع داء إلا وضع له دواء، غير داء واحد الهرم"(87) .

دل الحديثين على وجوب التداوي من كل مرض لأن الله سبحانه وتعالى جعل الدواء موجود لكل داء، فإذا كانت علة أجراء الجراحة الطبية بوضع العدسات اللاصقة هو المرض وضعف البصر، واستناداً إلى الحديثين فأنه يجوز إجراء هذه العملية .

2. القاعدة الفقهية "الضرورات تبيح المحظورات" ولا شك في أن دفع الضرر عن النفس هو دفع للحرج لقوله تعالى: "**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ**"(88)، وإباحة المحظور يعني أن وجود الضرر يبيح ارتكاب المحظور، أي المحرم، بشرط كون ارتكاب المحظور أخف من وجود الضرر(89).
3. قياس الجراحة التجميلية بقصد التداوي على جواز القطع الذي نص الفقهاء على جوازه، وأما ما لا يمكن تحصيل مصلحته إلا بإفساد بعضه فكقطع اليد المتآكلة حفظاً للروح(90).

لذلك إذا كان القصد من وضع العدسات لأجل التداوي أو المعالجة الطبية، لا بأس به إذا كان السبب ضروري أو حاجة مُلحة لأجل التداوي وإزالة العيوب الخلقية، لأن إزالة تلك العيوب ليس لأجل الجمال أو النقص فقط، بل ليستطيع المكلف أداء واجباته وأعماله، وخاصة الأمور الشرعية المكلف بها، أما إذا كان السبب ليس لأجل التداوي بل سبب آخر، كأن يكون من باب إتباع الموضة أو تغيير في خلق الله، أو التدليس فهذا كُله غشّ وخِداع، وإخفاء حقيقة الخلقة الإلهية التي صورنا الله عليها. والله أعلم بالصواب .

المبحث الرابع: **القنوات الفضائية**

المعنى: من نِعَم الله على خلقه ظهور هذا التطور الهائل في العالم وعلى كافية المستويات وخاصةً الصِناعية منها، حيثُ ظهرت صناعات كثيرة وهائلة من أجل خدمة هذا الإنسان وتوأصله مع الآخرين وإن بعُدت المسافات، وقد أصبح العالم

(86) أحمد، *مسند أحمد*، ج 38 : 227 ، رقم الحديث (23156)
(87) أبو داود، *السنن*، ج4 : 3 ، رقم الحديث (3855)
(88) القرآن الكريم، *سورة الحج*، 22 : 78
(89) ابن الهمام، *فتح القدير*، ج8 : 409 ، وابن النجار، *شرح الكوكب المنير*، ج4 : 444
(90) سلطان العلماء، *قواعد الأحكام*، ج1 : 92

الكبير في ضوء هذه الصِناعات قرية صغيرة، وهذا كُله تأكيد قوله تعالى: "**عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ**"(91)، ومن هذه الصناعات هي التلفاز والأجهزة الأخرى الناقلة للصوت والصورة، والتي تحتوي على الكثير من القنوات الفضائية التي تنقُل إلينا ما يدور في هذا العالم ويحدث، فهذه القنوات منها ما هو تعليمي وتوجيهي وذو فائدة يستطيع المشاهد من خلالها أن يتعرف على أمور دينه ويستخدم هذهِ القنوات لمصلحته ومصلحة عائلتهِ، ومنها ما كان الغرض منه هو إفساد المجتمعات بعرضه للأفلام الخليعة والصور النسائية العارية والمسلسلات المختلطة وهذا هو الكثير والغالب على هذه القنوات، فهي سلاح ذو حدين .

الأصل في هذه المستجدة: المسألة من المستحدثات العصرية المتعلقة بالتكنولوجيا الصناعية الحديثة، لذلك لا يوجد نص صريح وقطعي على إباحة أو حُرمة مُشاهدة ومتابعة هذهِ القنوات، لكن العُلماء الأجلاء ذكروا ضوابط وقواعد فقهية وأصولية نستطيع من خلالها أن نعلم مدى تأثير هذه القنوات الفضائية على المشاهد، ومتى تكون هذه القنوات مُباحة أو محرمة:

1. الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر : تهدُف الشريعة الإسلامية إلى تأسيس الحياة الإنسانية على المعروف، وتجنُبها للمنكر، وتقوم دعوتها على الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ولا تكتفي الشريعة الإسلامية ببيان المعروف وتعداد أنواعه، ولكنها ترسم للإنسانية، منهاج الحياة المتكامل على وجه يُنمي فيها المكارم والفضائل، ويبعث فيها روح الخير، ويُساعدها على النماء والرقي، ويحبب إليها فعل المعروف بكافة صورهِ، كما لا تكتفي بالنهي عن المنكر وبيان الرذائل، وإنما توضح مضارها، وتُحذر من اقترافها حتى يصير المجتمع المسلم مجتمعاً فاضلاً نظيفاً(92)، قال تعالى: "**وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**"(93)، لأن الأمر بالمعروف سعي في جلب مصالح المأمور به، والنهي عن المنكر سعي في درء مفاسد المنهي عنه، وهذا هو النصح لكل مسلم، وقد بايع الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ على النصح لكل مسلم(94).

(91) القرآن الكريم، *سورة العلق* ، 96 : 5

(92) القطان، *تاريخ التشريع*، ج1 : 132

(93) القرآن الكريم، *سورة آل عمران*، 3 : 104

(94) سلطان العلماء، *قواعد الأحكام* ، ج1 : 157

2. درء المفاسد مقدم على جلب المصالح: وهذا المعنى يعتمد عليه أهل العلم، فإذا تعارضة مفسدة ومصلحة، قُدِم دفع المفسدة غالباً، لأن اعتناء الشارع بالمنهيات أشدّ من اعتنائهِ بالمأمورات[95]، لذلك قال ـ صلى الله عليه وسلم ـ :"فإذا نهيتكم عن شئ فاجتنبوه، وإذا أمرتكم بأمر فأتوا منه ما استطعتم"[96].
3. إشاعة الفاحشة: قال تعالى: "**إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ فِي الَّذِينَ آمَنُوا لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ**"[97]، ومعنى تشيع: أن تذيع وتشتهر بين الذين آمنوا، أي تفشوا، يُقَالُ: شَاعَ الشَّيْءُ شُيُوعًا وشيعاً وشيعاناً وشيوعه، أَي ظهرَ وتفرق[98]، والفاحشة هي: الزنى والقول السيئ والعمل المنكر وكل ما نهى الشارع عنهُ وفيهِ مفسدة للناس، وقد توعد الله سبحانه وتعالى من يُظهر الفاحشة.
4. بين الناس ويُشيعها بالعذاب الأليم في الدُنيا والآخرة، فما دام الذنب مستوراً فمصيبته على صاحبه خاصةً فإذا أظهر ولم يُنكر كان ضرره عاماً فكيف إذا كان في ظهورهِ تحريك غيره إليه ولهذا أنكر الإمام أحمد وغيره أشكال الشعر الغزلي الرقيق، لئلا تتحرك النفوس إلى الفواحش فلهذا أمر من أبتلي بالعشق أن يعف ويكتم[99].

مناقشة وتحليل

من خلال ما ذكرنا من بعض هذه القواعد نستطيع أن نقيس هذه القواعد على مُشاهدة القنوات الفضائية إذا كان الغرض منها الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر كما أمرتنا الشريعة الإسلامية بذلك وهذا المبدأ الذي سارَ الرسول ـ صلى الله عليه وسلم ـ وصحابته من بعدهِ فرسموا لنا الطريق الصحيح من خلال العمل بالأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولو على حساب حياتهم، وهل الأعمال والبرامج التي تُقدمها هذه القنوات الغالب فيها جلب مصلحة أو درء مفسدة، أو عدم إشاعة الفاحشة بين المؤمنين، لان درء المفاسد مقدم على جلب المصالح، والحكم يكون على الأعم والأغلب، فإذا كان اغلب ما تُظهرهُ هذه القنوات فيه مفسدة وإساءة وتشويه وإشاعة فاحشة بين الذين آمنوا، فيكون الحُكم عدم إباحتها وتركها أولى من المصلحة القليلة المستحصلة منها، والمعلوم عندنا أن الغالب في ما تُظهره هذهِ الأجهزة هو أن الشر فيها أكثر من الخير ، وعرضٌ لسفاسف الأمور والتبرج والاختلاط، وهذا كُله يؤدي إلى إشاعة الفاحشة بين الناس

(95) الشاطبي، *الموافقات*، ج5 : 300 ، والسيوطي، *الأشباه والنظائر*، ج1 : 87

(96) البخاري، *الجامع الصحيح*، ج9 : 94 ، رقم الحديث(7288)

(97) القرآن الكريم، *سورة النور*، 24 : 19

(98) القرطبي، *الجامع لأحكام القرآن*، ج12 : 206 ، والشوكاني، محمد بن علي بن محمد بن عبد الله ، 1414 هـ ، *فتح القدير*، ط1، دمشق: دار ابن كثير ، بيروت: دار الكلم الطيب، ج4: 17

(99) ابن حنبل، *مجموع الفتاوى*، ج28 : 215

وجلب المفاسد لهم قبل جلب المصالح، والحفاظ على النفس من الفتن والأهواء والملذات والشهوات مقصد ضروري من المقاصد التي جاءت بها الشريعة الغراء .

لذا فإن المشكلة ليست في الجهاز الذي يعرض هذه القنوات أو القنوات الفضائية بذاتها، بل هذه الأجهزة هي عبارة عن تقنية علمية متطورة أبدع الإنسان في تصميمها وصناعتها، لكن المشكلة هي في استخدامات هذه القنوات التي يمكن أن تستخدم في جانب الخير والدعوة إلى الصلاح والنصيحة عن طريق مشاهدة القنوات الدينية والتربوية، أو قد تستخدم في جانب الشر والدعوة إلى الرذيلة ـ كما ذكرنا ـ فيكون عند ذلك عدم إباحتها أولى.

وقد ذكر الدكتور يوسف القرضاوي كلام جميل وتفصيل شرعي عن مشاهدة التلفاز والقنوات الفضائية التي تنقُلها هذه الأجهزة، فقال: إن (التليفزيون) كالراديو والصحيفة والمجلة، كُل هذهِ الأشياء أدوات ووسائل لغايات ومقاصد، لا تستطيع أن تقول هي خير، كما لا تستطيع أن تقول هي شر، كما لا تستطيع أن تقول: إنها حلال أو إنها حرام ولكنه بحسب ما توجّه إليه. وبحسب ما تتضمنَهُ من برامج ومن أشياء كالسيف فهو في يد المجاهد أداة من أدوات الجهاد، وهو في يد قاطع الطريق أداة من أدوات الإجرام، فالشيء بحسب استعماله، والوسائل بحسب مقاصدها، ممكن أن يكون التليفزيون من أعظم أدوات البناء والتعمير الفكري والروحي، والنفسي والأخلاقي والاجتماعي، والراديو والصحيفة كذلك، وممكن أن تكون من أعظم أدوات التخريب والإفساد، فهذا راجع إلى نوعية ما يتضمنه من مناهج وبرامج ومؤثرات، الذي أستطيع أن أقوله: إن هذه الأشياء فيها الخير، وفيها الشر، وفيها الحلال وفيها الحرام، والذي قلته من أول الأمر: إن المسلم يستطيع أن يكون فقيه نفسه في هذه الأمور، فيفتح الراديو أو التليفزيون عندما يكون هناك خير ويغّلقهُ عندما يكون هُناك شر، يسمع ويشاهد الأخبار والبرامج الثقافية، والبرامج الدينية والتعليمية والترفيهية المقبولة، وهُناك بعض الأشياء لا تجوز رؤيتها، مثل كثير من (الأفلام) الأفلام العربية – للأسف – فإن مُعظم هذهِ الأفلام مدمر (مُخرب) مُفسّد، ومعظم الأفلام لا تخلو من مواقف الإغراء الجنسي، ومن شُرب الخمر، ومن الرقص الخليع، ويقولون: إن الرقص أصبح في دُنيانا ثقافة وفنَاً رفيعًا، الفتاة التي لا تتعلم الرقص لا تكون عصرية، وهل حرام أن يجلس الشاب مع الفتاة ويكلمها وتكلمُهُ ويعقدا صداقة بريئة؟

هذا هو الذي جعل بعض المتدينين الحريصين على دينهم، المشفقين على أخلاق أبنائهم وبناتِهم، يقاومون دخول هذه الأدوات إلى بيوتهم؛ لأن شرّها أكثر من خيرها، وإثمها أكبر من نفعها، وما كان كذلك فهو حرام، ولا سيما أن هذه الوسائل شديدة التأثير على الأنفس والعقول، وسريعة التسلل إلى الأفكار والعواطف، فضلاً عما فيها من سرقة الأوقات والإلهاء عن الواجبات. ولا شك أن هذا هو ما يقتضيه الاحتياط، عند غلبة الشر والفساد، ولكن البلوى عمّت بهذه

الأشياء، ولم يعد في مقدور أكثر الناس الاستغناء عنها، وخصوصًا أنها تتضمن جوانب إيجابية نافعة، ولهذا كان الأيسر على الناس، والأليق بالواقع، هو ما قُلته من وجوب الحرص على الانتفاع بالخير، وترك الشر الخالص أو الغالب من (الأفلام الرديئة والتمثيليات وما في معناها)، فمثل هذا يمكن أن يتخلص الإنسان منه بإغلاق الراديو أو التليفزيون والصحيفة أيضًا إذا عرضت صورًا خليعة يمتنع عنها، أو مقالات سيئة يتجنب قراءتها، وهكذا، فالإنسان مُفتي نفسه، وبمقدورِه أن يسُد باب الفساد عن نفسه، وإذا كان لا يملك نفسه أو أسرته، فالأولى ألا يدخل هذه الأدوات والأجهزة إلى منزله، سدًا للذريعة، هذا هو رأيي في هذه الأمور، والله تعالى الموفق إلى سواء السبيل[100] .

النتائج

بعد هذا الجهد المتواضع والخوض في غمار هذه الدراسة يمكن إيجاز بعض النقاط التي توضح أهم النتائج التي خرجنا بها من خلال هذا العمل وهي:

1. يجب اعطاء دور اكبر لدراسة القواعد الأصولية والفقهية من خلال وشرحها وترجمتها للاستفادة منها في اصدار احكام جديدة لتلك المستحدثات.
2. الابتعاد عن التنظير في دراسة المستحدثات العصرية والاتجاه الى التطبيق لإعطاء مساحة واسعة في معرفة وفهم الاحكام المستحدثة، وذلك لتشعبها وصعوبة فهمها لعدم وجود نصوص صريحة لها في المصدرين الأولين الكتاب والسنة.
3. ما من مسألة مستحدثة ظهرت او ستظهر إلا ولها أصل في الاحكام الشرعية سواء كان اية أو حديث أو قياس أو قول لاحد الفقهاء او تفسير قاعدة أصولية او فقهية، وهذا سر من اسرار الشريعة الغراء بديمومتها وبقاءها وصلاحيتها لكل زمان ومكان.
4. ضرورة اتباع منهج الوسطية والتخفيف ورفع الحرج عن المكلفين من قبل المجتهد أو المفتي في المستحدثات العصرية، وذلك لإظهار صورة من صور المرونة والسهولة المنضبطة التي تعطينا يقين بان التشريعات الاسلامية بعيدة كل البعد عن الغلوا والتطرف.

(100) القرضاوي، *فتاوى معاصرة*، ج1 : 583 . 585

5. المستحدثات العصرية عبارة عن مسائل مستجدة ليس لها وقت أو زمان او مكان فهي تظهر في كل وقت ومع كل تقدم أو تطور علمي وتكنولوجي او اقتصادي أو سياسي او اجتماعي، لذا فهي تحتاج إلى فهم عميق ودراسة مستفيضة من أهل الاختصاص للخروج بحكم يتناسب مع ما يستجد.

المصادر والمراجع

القرآن الكريم

1. ابن القيم. محمد بن ابي بكر بن ايوب بن سعد شمس الدين. 1411هـ/1991 م. ***إعلام الموقعين عن رب العالمين***. ط. 1. تحقيق: محمد عبد السلام ابراهيم. بيروت: دار الكتب العلمية.
2. ابن النجار. تقي الدين ابو البقاء محمد بن احمد بن عبد العزيز بن علي الفتوحي الحنبلي. 1418هـ/1997م. ***شرح الكوكب المنير***. ط.2. تحقيق: محمد الزحيلي ونزيه حماد. مكتبة العبيكان.
3. ابن الهمام. كمال الدين محمد بن عبد الواحد السيواسي. د . ت. ***فتح القدير***. د .ط. بيروت: دار الفكر.
4. ابن تيمية. تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم بن عبد السلام. 1408هـ/1987م. ***الفتاوى الكبرى***. ط.1. بيروت: دار الكتب العلمية.
5. ابن حجر. أحمد بن علي بن حجر أبو الفضل العسقلاني الشافعي. 1379. فتح الباري، د.ط. بيروت: دار المعرفة.
6. ابن حنبل. أبو عبدالله أحمد بن محمد بن حنبل بن جلال بن اسد الشيباني. 1421هـ /2001م . ***مُسند الإمام أحمد***. ط.1. تحقيق: شعيب الارنؤوط وعادل مرشد وآخرون. بيروت: مؤسسة الرسالة.
7. ابن كثير. أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي. 1420هـ/1999م. ***تفسير القرآن العظيم***. ط.2. تحقيق: سامي بن محمد سلامة. دار طيبة للنشر والتوزيع.
8. ابن ماجة. أبو عبد الله محمد بن يزيد القزويني. د . ت. ***سنن ابن ماجة***. د.ط. تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي. دار احياء الكتب العربية.
9. أبو الربيع. سليمان بن عبد القوي بن الكريم الطوفي الصرصري. أبو الربيع. نجم الدين. 1407هـ/1987م. ***شرح مختصر الروضة***. ط.1. تحقيق: عبدالله بن عبد المحسن التركي. بيروت: مؤسسة الرسالة.
10. ابو السعود. العمادي محمد بن محمد بن مصطفى، د .ت. ***تفسير أبي السعود. إرشاد العقل السليم إلى مزايا الكتاب الكريم***. د.ط. بيروت: دار احياء التراث العربي.

11. أبو حيان. محمد بن يوسف بن علي بن يوسف بن حيان أثير الدين الأندلسي، 1420 هـ .***البحر المحيط في التفسير***. د .ط. تحقيق: صدقي محمد جميل. بيروت : دار الفكر.

12. أبو داود. سليمان بن الأشعث بن إسحاق بن بشير بن شداد بن عمرو الأزدي السجستاني. د.ت. ***سنن ابي داود***. د . ط . تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد. بيروت: المكتبة العصرية.

13. الأزهري. أبو منصور محمد بن أحمد.2001م. ***تهذيب اللغة***. ط.1. تحقيق: محمد عوض مرعب. بيروت: دار احياء التراث العربي.

14. آل الشيخ. محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف، 1399هـ . ***فتاوى ورسائل سماحة الشيخ محمد بن إبراهيم بن عبد اللطيف آل الشيخ***، ط1 . تحقيق: محمد بن عبد الرحمن بن قاسم. مكة المكرمة: مطبعة الحكومة.

15. آل بورنو. محمد صدقي بن أحمد بن محمد آل بورنو أبو الحارث الغزي. 1416هـ/1996م . ***الوجيز في إيضاح قواعد الفقة الكُلية***. ط.4. بيروت: مؤسسة الرسالة.

16. الالوسي. شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني. 1415هـ. ***روح المعاني في تفسير القرآن***. ط.1. تحقيق: علي عبد الباري عطية. بيروت: دار الكتب العلمية.

17. بادحدح. علي بن عمر. د. ت. دروس صوتية للشيخ علي بن عمر. ورقم الجزء هو رقم الدرس. 154 : 5. الموقع من الانترنيت: www.islamweb.net.

18. البخاري. محمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي. 1422هـ/2001م. ***الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه***. ط.1. تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر. دار طوق النجاة.

19. البدر. عبد المحسن بن حمد بن عبد المحسن بن عبد الله بن حمد العباد. 1424هـ/2003م. ***فتح القوي المتين في شرح الأربعين وتتمة الخمسين للنووي وابن رجب***. ط1. السعودية: دار ابن القيم.

20. بن عاشور. محمد الطاهر بن محمد بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي. 1984 هـ. ***التحرير والتنوير((تحرير المعنى السديد وتنوير العقل الجديد من تفسير الكتاب المجيد»***. د.ط. تونس: الدار التونسية للنشر.

21. الجوهري. إسماعيل بن حماد. 1990م. ***الصحاح "تاج اللغة وصحاح العربية"***. ط.4. بيروت: دار العلم للملايين.

22. الجياني. محمد بن عبد الله بن عبد الله بن مالك الطائي. 1404هـ/ 1984م. ***إكمال الأعلام بتثليث الكلام***، د.ط. تحقيق: سعد بن حمدان الغامدي. السعودية: جامعة ام القرى.

23. الحصين. عبد السلام إبراهيم محمد. 1420 هـ/2002 م. ***القواعد والضوابط الفقهية للمعاملات المالية عند ابن تيمية***. ط.1. دار التأصيل.

24. الخازن. علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن عمر الشيحي أبو الحسن. المعروف بالخازن. 1415 هـ. ***لباب التأويل في معاني التنزيل. تفسير الخازن.*** ط1. تحقيق: تصحيح محمد علي شاهين. بيروت : دار الكتب العلمية.

25. خلاف. عبد الوهاب. 1375هـ. ***علم أصول الفقه وخلاصة تاريخ التشريع***. د . ط. مصر: مطبعة المدني.

26. الرئاسة العامة. موقع الرئاسة العامة للبحوث العلمية والافتاء. د. ت. ***ابحاث هيئة كبار العلماء***. د.ط. الدورة: السادسة عشر السعودية.

27. الزحيلي. محمد مصطفى. 1427هـ/2006م. ***القواعد الفقهية وتطبيقاتها في المذاهب الأربعة***.ط1. دمشق: دار الفكر.

28. الزرقا. أحمد بن الشيخ محمد. 1409هـ/1989م. ***شرح القواعد الفقهية***. ط.2. تحقيق: مصطفى أحمد الزرقا. دمشق: دار العلم.

29. الزرقا. مصطفى أحمد. 2004 م. ***المدخل الفقهي العام***، ط2. دمشق: دار القلم.

30. السبكي، تاج الدين عبد الوهاب بن تقي الدين السبكي، 1411هـ- 1991م، ***الاشباه والنظائر***، ط1. بيروت: دار الكتب العلمية .

31. سلطان العلماء. أبو محمد عز الدين عبد العزيز بن عبد السلام . 1414هـ/1991م. ***قواعد الأحكام في مصالح الانام***. د.ط. راجعه وعلق عليه: طه عبد الرؤوف سعد، القاهرة: مكتبة الكليات الأزهرية.

32. الشاطبي. إبراهيم بن موسى بن محمد اللخمي الغرناطي. 1317هـ/1997م. ***الموافقات***. ط.1. تحقيق: أبو عبيدة مشهور بن حسن آل سلمان. دار ابن عفان.

33. الشحود. ***المسلم بين الهوية الاسلامية والهوية الجاهلية***. 3 : 100. موقع المكتبة العربية: www.arablib.com. والشحود، ***موسوعة البحوث والمقالات العلمية***.

34. الشعراوي. الشيخ محمد متولي. د.ت. ***تفسير الشعراوي***. د.ط. راجع أصله وخرج أحاديثه الدكتور أحمد عمر هاشم نائب رئيس جامعة الأزهر. مطابع أخبار اليوم التجارية.

35. الصاوي. صلاح الصاوي، 2011هـ. ***فتاوى السياسة الشرعية***، ط1. مصر: الجزيرة للطباعة والتجليد.

36. الضويحي، أحمد بن عبدالله بن محمد، 1427هـ ، النوازل الأصولية، د.ط.

37. الطالقاني. الصاحب الكافي أبو القاسم إسماعيل بن عباد بن العباس بن احمد بن إدريس. 1994م. ***المحيط في اللغة***. ط.1. تحقيق: الشيخ محمد حسن آل ياسين. لبنان: عالم الكتب

38. عبد اللطيف. عبد الرحمن بن صالح. 1423هـ / 2003 م. ***القواعد والضوابط الفقهية المتضمنة للتيسير***. ط.1. السعودية: عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية.

39. عبد الوهاب. سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب. 1423هـ/2002م. ***تيسير العزيز الحميد في شرح كتاب التوحيد الذى هو حق الله على العبيد***.ط.1. تحقيق: زهير شاويش. بيروت دمشق : المكتب الإسلامي.

40. عبد الوهاب. علي جمعة محمد. 1422هـ / 2001م. ***المدخل إلى دراسة المذاهب الفقهية***. ط.2. القاهرة: دار السلام.

41. العثيمين. محمد بن صالح بن محمد. 1426هـ. الاصول من علم الاصول. دار ابن الجوزي.

42. العدوي. أبو عبدالله مصطفى بن شلباية المصري. د .ت . ***سلسلة التفسير***. د .ط . الكتاب عبارة عن دروس للشيخ العدوي على الانترنيت. ج9:21.الموقع: www.islamweb.net.

43. العنزي. عبد الله بن يوسف بن عيسى بن يعقوب اليعقوب الجديع. 1418هـ / 1997م. ***تيسير علم أصول الفقه***. ط.1. بيروت: مؤسسة الريان.

44. الغزالي. أبو حامد محمد بن محمد. 1413هـ/1993م. ***المستصفى***. ط.1. تحقيق: محمد عبد السلام عبد الشافي. بيروت: دار الكتب العلمية.

45. الغزالي. محمد السقا. 1427هـ . ***فقه السيرة***. ط1. دمشق: دار القلم. تخريج الاحاديث محمد الالباني.

46. الغضبان. منير محمد. 1402هـ / 1982م. ***التحالف السياسي في الاسلام***. ط1. الاردن: مكتبة المنار.

47. الفيومي. أحمد بن محمد بن علي المقري. د.ت. ***المصباح المنير***. د.ط. تحقيق: يوسف محمد. المكتبة العصرية.

48. القحطاني، مسفر بن علي بن محمد، 1431هـ ، 2010م، منهج استنباط أحكام النوازل الفقهية المعاصرة دراسة تأصيلية تطبيقية، السعودية: دار الاندلس الخضراء.

49. القرافي. أبو العباس شهاب الدين أحمد بن إدريس بن عبد الرحمن المالكي. د . ت ***الفروق أنوار البروق في أنواء الفروق***. د . ط. عالم الكتب.

50. القرضاوي. الدكتور يوسف القرضاوي. 1410هـ/1990م. ***فتاوى معاصرة***. ط.5. الكويت: دار القلم.

51. لجنة مكونة من عدة علماء وفقهاء في الخلافة العثمانية. د.ت. ***مجلة الأحكام العدلية***. د.ط. كراتشي: نور محمد. تحقيق: نجيب هواويني .

52. مسلم. بن الحجاج أبو الحسن القشيري النيسابوري. د . ت . ***المسند الصحيح المختصر بنقل العدل عن العدل إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم***. د . ط. تحقيق : محمد فؤاد عبد الباقي.

53. المناوي. محمد عبد الرؤوف، 1410هـ. ***التوقيف على مهمات التعاريف***. ط1.تحقيق : محمد رضوان الداية. بيروت ـ دمشق: دار الفكر المعاصر . دار الفكر.

54. منصور. الدكتور محمد خالد. 1424 هـ /2004 م . ***الأحكام الطبية المتعلقة بالنساء في الفقه الإسلامي***. ط2.الأردن: دار النفائس.

55. الهويريني. وائل بن عبدالله بن سليمان. 1430هـ/ 2009م. ***المنهج في استنباط أحكام النوازل***. ط.1. الرياض: مكتبة الرشد.

SIATS Journals

The Journal of Sharia Fundamentals for Specialized Research

(JSFSR)

Journal home page: http://www.siats.co.uk

مجلة أصول الشريعة للأبحاث التخصصية

العدد 2، المجلد 2، نيسان 2016م.

e-ISSN 2289-9073

ALTAADIB FI MAJAL ALTAELIM FI ALFAQIH AL'IISLAMII WATATBIQATIH FI ALMAMLAKAT ALEARABIAT ALSAEUDIA

التأديب في مجال التعليم في الفقه الإسلامي وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية

فهد بن محمد بن سعود آل مساعد

حبيب الله زكريا

الجامعة الإسلامية العالمية

ماليزيا

fahd.msm@hotmail.com

habzak83@yahoo.com

1437هـ – 2016م

ARTICLE INFO
Article history:
Received 26/1/2016
Received in revised form 20/2/2016
Accepted 22/3/2016
Available online 15/4/2016

ABSTRACT

The issue of free punishment/training is regarded as one the contemporary problems, considering the different ways of punishment/ training; such as family training, educational training, criminal training and others.

This research, therefore, aims at discussing the free educational training from the Islamic jurisprudential point of view; a topic that raises arguments in the recent times in many countries. Thus, this article will focus on one of the various aspects of this training/punishment in the Islamic jurisprudence, namely: "***The educational training system***" giving full explanation of the scholars' views and opinions on how a teacher should train his students.

The paper will also unveil the fundamentals and the legal objectives of Sariah on the rules guiding training in Islamic doctrine.

The paper practically evaluates its topic of discussion by analysing the ways through which a teacher in the Saudi Arabia schools trains his pupils. It is thereby confirmed, that the training methods in the Saudi Arabia's schools takes different directions between unnecessary leniency and reckless punishments that could purposelessly lead to bodily harm.

In this paper, an analytical study is adopted to discuss the Islamic and common legal references applicable to the case of Saudi's system of training and punishment.

Key Words: Training/Punishment, Teacher, Pupils, Saudi System.

الملخص

قضية حرية التأديب من القضايا المهمة في العصر الحاضر، وقد تعددت مجالات التأديب حيث يشمل كل من المجالات الأسرية والتعليمية والجنائية وغيرها، وتهدف هذه الورقة إلى بيان حرية التأديب في مجال التعليم في الفقه الإسلامي، وهو موضوع مثير للجدل في كثير من البلدان في العصر الراهن، فقد تناولت الورقة مجالاً واحداً من مجالات التأديب في الفقه الإسلامي؛ المجال التعليمي التربوي، مبينة أقوال الفقهاء وآراءهم حيال تأديب المعلم تلميذه، كما كشفت النقاب عن بعض الأسس والمقاصد الشرعية وراء تشريع التأديب في الفقه الإسلامي. ومن جانب التطبيق المعاصر فقد تطرقت الورقة إلى تطبيق تأديب المعلم لتلميذه في النظام السعودي، وأوضحت الورقة إلى أن التأديب في المدارس في المملكة العربية السعودية قد أخذ مسارات مختلفة بين متساهل لا يلقي للتأديب بالا، وبين متطرف فيه يصل التأديب عنده إلى حد الإيذاء البدني مجانباً الهدف المنشود وراء التأديب نفسه. وقد استخدمت الورقة المنهج التحليلي لدراسة النصوص الشرعية الواردة في القضية وكذلك النصوص القانونية الواردة في النظام السعودي.

الكلمات المفتاحية: التأديب– المعلم– التلميذ –النظام السعودي.

تأديب المعلم في الفقه الاسلامي

إن الشريعة الإسلامية الغراء قد أباحت للمعلم حق تأديب التلميذ وهذا باتفاق عند إذن ولي التلميذ، لأنه حق ثابت للمعلم على تلاميذه بطريق النيابة عن أوليائهم، وقد صرح جمهور الفقهاء رحمهم الله"[(1)]، بأن للأب الحق في إنابة غيره على تأديب ولده وتعليمه كما لو أسلمه للمكتب يتعلم فيه الصنائع والحِرف، أو بعثه للمعلم يعلمه ويؤدبه.

ولذلك المتأمل في قول الله تعالى" بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ"[(2)]. يجد أنه حمل ذلك على المعلِّم الذي وكل اليه التعليم والتربية.

وإذا ثبت هذا المعنى المشترك بين الأب والمعلم؛ فإن المعلم تصبح له ولاية تأديب على الولد كما أن للأب تلك الولاية بجامع أن كلاً منهما له عناية بالقيام على تربية الولد وتهذيبه.

(1) الكاساني، بدائع الصنائع، ج7، ص305؛ ومحمد عليش، منح الجليل ج4، ص421، والنووي، روضة الطالبين، ج10، ص175، وابن قدامه، المغني، ج8، ص116.

(2) الآية (22) من سورة الزخرف.

ولهذا نجد أن للمعلم من خلال تأديبه دور أساسي في توجيه هذا النشيء، والتأثير فيه من أجل صلاحه خاصة في عصر تتكاثر فيه المؤثرات السلبية التي يواجهها الطفل والشاب المسلم على اختلاف الأصعدة الإعلامية والتربوية والبيئية، مما يترتب عليه مضاعفة الجهود لتنشئتهم على مبادئ الدين الحنيف وثوابته لتكون الحصن الحصين لهم حاضرا ومستقبلا. وبما أن التعليم حق للولد لا يجب التهاون أو التفريط فيه أبداً، فعصرنا اليوم هو عصر العلوم والمعارف، بل هو استجابة لأمر الشارع في وجوب طلب العلم .

وحيث كان التعليم في القرون الأولى ينبسط ويجاوز مهمة تغذية الصبيان بنوع من الثقافة وقسط من المعرفة، فالمنهاج يضعه أو يشارك في وضعه ليكون ملائماً لابنه، والمعلم هنا لا يسمى معلم صبيان أو معلم كتاب وإنما يطلق عليه لفظ مؤدب، وقد اشتق اسم المؤدب من الأدب، والأدب إما خلق وإما رواية، وقد أطلقوا كلمة مؤدب على معلمي أولاد الملوك إذا كانوا يتولون الناحيتين جميعاً. ثم إن المتعلم يظل يتلقى العلم حتى يجاوز عهد الصبي، وينتقل به من مستوى تلميذ الكتاب إلى مستوى الطالب في حلقات المساجد أو المدارس.

وهذا ما ذكره الإمام الغزالي في الوظيفة الرابعة من وظائف المعلم، وهي من دقائق صناعة التعليم" أن يزجر المتعلم عن سوء الأخلاق بطريق التعريض ما أمكن ولا يصرح، وبطريق الرحمة لا بطريق التوبيخ فإن التصريح يهتك حجاب الهيبة ويرث الجرأة على الهجوم بالخلاف ويهيج الحرص على الإصرار، ولأن التعريض أيضا يميل النفوس الفاضلة والأذهان الذكية إلى استنباط معانيه فيفيد فرح التفطن لمعناه رغبة في العلم به ليعلم أن ذلك مما لا بعزب عن فطنته"[(3)].

ولما تحتله مكانة المعلم من منزلة عظيمة في الإسلام، فقد وردت الآيات والأخبار والآثار، وتطابقت الدلائل الصريحة على فضيلة العلم، والحث على تحصيله، والاجتهاد في اقتباسه وتعليمه، وقد اعتنى المسلمون عناية عظيمة بالعلم والتعلم والتعليم.

ولذا أثبتت الشريعة أن للمعلم ولاية خاصة على تلميذه يمارس من خلالها واجبات ومتطلبات التعليم والتربية كالشفقة على المتعلمين وإجرائهم مجرى بنيه، ولينه لهم، وله أن يتعرض لتأديب من يستحق ذلك منهم.

ومن هنا نجد أن ولاية المعلم لتلميذه هي ولاية ثابتة له عن طريق أدلة الكتاب، والسنة، والعقل .

(3) أبو حامد الغزالي، إحياء علوم الدين، ج1، ص 55.

أولاً :أدلة الكتاب :

1- قول الله تعالى" بَلْ قَالُوا إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَى آثَارِهِم مُّهْتَدُونَ "[4].

ووجه الدلالة من الآية أن أهل العلم من المفسرين رحمهم الله تعالى، حملوا ذلك على المعلِّم الذي وكِل بأن يقوم بأشرف الوظائف وهي التعليم والتربية لمن هم تحت ولايته، ويدل على ذلك قوله تعالى "وَقَالُوا رَبَّنَا إِنَّا أَطَعْنَا سَادَتَنَا وَكُبَرَاءَنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلا"[5].

2- قول الله تعالى" وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ"[6].

ووجه الدلالة من الآية: ماذكره الامام الاصبهاني رحمه الله حيث قال" أنه عنى الأب الذي ولده، والمعلم الذي علّمه"[7].

ومن هنا يسمى كل من كان سبباً في إصلاح شيء وتربيته (أباً) «ولذلك يسمى النبي صلى الله عليه وسلم أبا المؤمنين. قال تعالى:﴿ النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ ﴾[8]، وفي بعض القراءات:وهو أب لهم[9].

ولهذا المعنى نجد من يسمي معلم الإنسان أباه.

ومن هنا يثبت هذا المعنى المشترك بين الأب والمعلم، فإن المعلم تصبح له ولاية على الولد كما أن الأب له تلك الولاية بجامع أن كلا منهما له عناية بالقيام على تربية الولد وتهذيبه.

ثانياً: دليل السنة:

1 - قال النبي ﷺ"كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته"[10].

وجه الدلالة من الحديث على مشروعية ولاية المعلم على تلميذه: أن الحديث دَلَّ بعمومه على أهمية المسؤولية، وعظيم تبعتها، وأنها حمل ثقيل يحمله المسلم وتبقى أمانة في عنقه يجب عليه أداء واجباتها، ولا شك أن مسؤولية تعلم العلم وتعليمه، والقيام على حمله وتبليغه داخلة في عموم تلك الرعاية، فدل ذلك على ثبوت ولاية المعلم على تلميذه.

---

(4) الآية (22) من سورة الزخرف.

(5) الآية (67) من سورة الأحزاب.

(6) الآية (14) من سورة لقمان.

(7) الأصبهاني،المفردات في غريب القرآن، ص7.

(8) الآية (6) من سورة الأحزاب.

(9) الأصبهاني، المفردات في غريب القرآن، ص7.

(10) تقدم تخريجه.

2- وكذلك قول النبي ﷺ"إنما أنا لكم مثل الوالد لولده"[11].

وجه الدلالة من الحديث أن النبي ﷺ جعل من هذا التمثيل دلالة ظاهرة وواضحة على إثبات المشروعية لولاية المعلم على تلميذه، وذلك عن طريق إلحاق ولاية المعلم بولاية الأب على ولده، بجامع قيامه بالرعاية وتحمل المسؤولية في كلٍّ، وذلك يظهر جلياً في كون النبي ﷺ معلماً له الحق في تأديب من هم تحته من رعايته؛ فالمعلم الشفيق يقصد بتأديبه إنقاذ تلاميذه من نار الآخرة، وهو أهم من إنقاذ الوالدين ولدهما من نار الدنيا"[12]، وكما قيل أبو الإفادة أقوى من أبي الولادة.

ثالثاً: من حيث العقل

نجد ظاهراً أن هذه ولاية المعلم لتأديب تلاميذه ثابته ومستقره؛ بطريق النيابة عن أوليائهم؛ وذلك لأجل إصلاحهم وتعليمهم على أفضل وأحسن الأخلاق، وزجرهم عن سيء الأخلاق ورديء الأفعال، ويكون ذلك بالنصح والأمر والنهي ثم بالوعيد والتعنيف، ثم بعد ذلك الضرب إن لم ينفع التأديب بالقول حيث إن القول باعتبار مشروعية ولاية المعلم على تأديب تلميذه يرفع ضرراً واقعاً إذ نلاحظ أنه لا يتفرغ كل والد لتربية وتأديب ولده، بل إنه يحتاج إلى من ينوب عنه في رعاية أولاده، كما أن القول بعدم تجويز هذه الولاية يؤدي بنا إلى وقوع أكبر الضرر على الأولاد وأوليائهم، ولاشك بأن القاعدة الفقهية الكلية تنص على أن "الضرر يزال".

وهذا ما جعل جمهور الفقهاء[13] يصرّحون بأن للأب الحق في إنابة غيره على تأديب ولده وتعليمه كما لو أسلمه للمكتب يتعلم فيه الصنائع والحرف، أبو بعثه للمعلم يعلمه ويؤدبه.

قال الكاساني رحمه الله" ولو ضربه- أي الولد- المعلمُ أو الأستاذ فمات، إن كان الضرب بغير أمر الأب أو الوصي يضمن؛ لأنه متعد في الضرب، والمتولد منه يكون مضموناً عليه، وإن كان بإذنه لا يضمن للضرورة"[14].ا.هـ.

وقال الباجي رحمه الله" إذا كان الابن في حضانة أمه لم يُمنع من الاختلاف إلى أبيه ليعلمه ويأوي لأمه؛ لأن على الأب تعليمه وتأديبه وإسلامه في المكتب والصنائع"[15].ا.هـ.

---

(11) تقدم تخريجه.

(12) الغزالي،إحياء علوم الدين ،ج1،ص69؛ والزبيدي، إتحاف السادة المتقين، ج1،ص547.

(13) الكاساني، بدائع الصنائع ج7،ص305؛ ومحمدعليش، منح الجليل، ج4،ص421؛ والنووي، روضة الطالبين، ج10،ص175؛ وابن قدامه، المغني، ج8،ص116.

(14) الكاساني، بدائع الصنائع ج7،ص305، والسرخسي، المبسوط، ج16،ص13؛ وابن عابدين، حاشية رد المحتار، ج3، ص189، ج5،ص363.

(15) المواق، التاج والإكليل بهامش الحطاب ، ج4،ص215 ؛ ومحمدعليش،منح الجليل، ج4،ص421

وقال النووي رحمه الله" والمعلم يؤدب الصبي بإذن الولي ونيابة عنه"[16].ا.هـ.

وقال ابن قدامة رحمه الله" وليس على المعلم ضمان إذا أدَّب صبيه التأديب المشروع"[17].ا.هـ.

فأفادت هذه النصوص الفقهية أن العلماء يرون جواز نيابة المعلم عن الأب في تأديب ولده، وأن له بهذه الولاية حق تأديب الولد.

ولاشك أن المتأمل للتوجيهات التي أعطاها الآباء لمؤدبي أولادهم يرى ذلك الاهتمام جلياً، فمن ذلك:

أننا نجد أن الخليفة عبد الملك بن مروان كان يقول لمعلم ابنائه" علمهم الصدق كما تعلمهم القرآن وجنبهم السفلة فإنهم أسوأ الناس رعه وأقلهم أدباً وجنبهم الحشم فإنهم لهم مفسده وأحف شعورهم تغلظ رقابهم وأطعمهم اللحم يقووا وعلمهم الشعر يمجدوا وينجدوا ومرهم أن يستاكوا عرضا، ويمصوا الماء مصاً ولا يعبوه عباً، وإذا احتجت أن تتناولهم بأدب فليكن ذلك في ستر، لا يعلم به أحد من الحاشية فيهونوا عليه".

ومن ذلك" الخليفة هشام بن عبد الملك كان يقول لسليمان الكلبي لما اتخذه مؤدباً لابنه" إن ابني هذا هو جلدة مابين عيني، وقد وليتك تأديبه، فعليك بتقوى الله، وأداء الأمانة وأول ما أوصيك به أن تأخذ بكتاب الله، ثم روه من الشعر أحسنه، ثم تخلل به في أحياء العرب فخذ من صالح شعرهم، وبصره من الحلال والحرام والخطب والمغازي".

وكذلك الخليفة هارون الرشيد كان يقول للأحمر معلم ولده الأمين" يا أحمر، إن أمير المؤمنين قد دفع إليك مهجة نفسه وثمرة قلبه، فصير يدك عليه مبسوطه، وطاعته لك واجبه، فكن له بحيث وضعك أمير المؤمنين، أقرئه القرآن وعرضه الأخبار، وروه الأشعار، وعلمه السنن وبعده الكلام، إلا في أوقاته، ومره بتعظيم مشايخ بني هاشم إذا دخلوا عليه، ورفع مجالس القواد إذا حضروا مجلسه ولا تمرن بك ساعة إلا وأنت مغتنم فائدة تفيده إياها من غير أن تحزنه فتميت ذهنه ولا تمعن في مسامحته فيستحلي الفراغ ويألفه، وقومه ما استطعت بالقرب والملاينة، فإن أباهها فعليك بالشدة والغلظة"[18].

ولهذا لم يختلف الفقهاء[19]–رحمهم الله – في ثبوت مشروعية هذه الولاية التأديبية للمعلم على تلاميذه.

بل إننا نجدهم –رحمهم الله تعالى– قاموا بتوضيح وبيان الشروط المتعلقة بتأديب المعلم لتلميذه"

(16) النووي، روضة الطالبين، ج10،ص175؛وابن حجر الهيتمي، تحرير المقال في آداب أحكام وفوائد يحتاج إليها مؤدبو الأطفال، ص79؛ والشربيني، مغني المحتاج ج4،ص193؛ وحاشية الشرواني على تحفة المحتاج ،ج9،ص179.

(17) ابن قدامة، المغني، ج12،ص528؛ وأبي يعلى، الأحكام السلطانية، ص282؛ ومطالب أولى النهي، ج6،ص90-91.

(18) أحمد شلبي، موسوعة النظم والحضارة الإسلامية، ص60.

(19) المواق، التاج والإكليل ج6،ص319؛ وابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص78؛ والبهوتي، كشاف القناع ج6،ص16.

فذهب عامة الفقهاء من الحنفية[20] والمالكية[21] والشافعية[22] والحنابلة [23] إلى جواز ضرب المعلم لتلميذه بقصد تأديبه وحمله على محاسن الأخلاق وزجره عن سيئها إذا لم ينفع التأديب بالقول.

والدليل على هذا الحكم قولهﷺ " مروا أولادكم بالصلاة وهم أبناء سبع، واضربوهم عليها لعشر"[24].

ووجه الاستدلال من الحديث على جواز ضرب المعلم للتلميذ هو:

أن الأمر بالضرب في الحديث موجه لمن له ولاية على الولد – والمعلم من جملة أصحاب تلك الولاية – فكان فيه دلالة على جواز ضرب المعلم لتلميذه، إذ القصد من ذلك حمله على ما فيه صلاحه كي ينشأ عليه بطريق التأديب والتهذيب، وهذا معنى مناسب يشترك فيه المعلم والوالد معاً.

ومع ذلك، فقد قيَّد الفقهاء– رحمهم الله– حق المعلم في قيامه بمتطلبات ولاية تأديب تلميذه بقيود، منها:

1– أن يكون الصبي يعقل التأديب، فليس للمعلم ضرب من لا يعقل التأديب من الصبيان [25]، سئل الإمام أحمد رحمه الله عن ضرب المعلم الصبيان قال" :على قدر ذنوبهم، ويتوقى بجهده الضرب، وإذا كان صغيراً لا يعقل فلا يضربه"[26].

2 – أن يكون ضرب المعلم لتلميذه ضرباً معتاداً كمًّا وكيفاً ومحلًّا، يعلم المعلم الأمن منه، فإن خالف تلك الصفة بأن جاوز المعلم الحد في الضرب، أو كان يعلم منه التلف، فلا يملك حق التأديب حينئذٍ [27].

3– إذا لجأ المعلم إلى وسيلة الضرب لحمل تلاميذه على التزام السلوك السوي والأدب الحسن، فهل يجوز له ممارسة هذا الحق بإطلاق أم أنه مقيد باشتراط إذن ولي الصغير أو نائبه لمعلمه في ضربه على التعليم؟ على قولين:

---

(20) البحر الرائق ج5،ص53؛ وابن عابدين، حاشية رد المحتار، ج3،ص189.

(21) عبدالله ابن نجم شاس، عقد الجواهر الثمينة، ج3،ص350 ؛ المواق، التاج والإكليل ج6،ص319؛ والحطاب،مواهب الجليل، ج2،ص472؛ محمد علي الرهوني، حاشية الرهوني على شرح الزرقاني، ج8،ص162.

(22) النووي، روضة الطالبين ج10،ص175؛ وابن حجر الهيتمي، تحفة المحتاج مع حاشية الشرواني، ج9،ص179–180؛ والشربيني، مغني المحتاج، ج4،ص199.

(23) أبي يعلى، الأحكام السلطانية، ص282؛ وابن قدامة، المغني ج8،ص116؛وابن مفلح، الفروع، ج106،6؛ وابن مفلح، المبدع ج،ص226.

(24) تقدم تخريجه.

(25) سليمان عمر الجمل، حاشية الجمل على شرح المنهج، ج5،ص165.

(26) ابن قدامه، المغني، ج8،ص116؛ وابن مفلح، الآداب الشرعية، ج1،ص451.

(27) الحطاب، مواهب الجليل، ج2،ص472، ج6،ص321؛ محمد عليش، منح الجليل، ج9،ص357؛ والنووي، روضة الطالبين، ج10،ص175.

القول الأول: يشترط في جواز ضرب المعلم للصغير على التعليم إذن وليه، وهذا صريح مذهب الحنفية[28] وهو مذهب المالكية[29] والشافعية[30] في المشهور.

قال ابن عابدين رحمه الله في معرض حديثه عن تأديب الولد" وكذا المعلم إذا ضرب بإذن الأب أو الوصي لتعليم القرآن أو عمل آخر مثل ما يضرب فيه لا يضمن هو ولا الأب ولا الوصي"[31] .ا.هـ.

وقال ابن نجم شاس رحمه الله" والأب يؤدب الصغير دون الكبير، ومعلمه أيضاً يؤدبه بإذنه"[32].

وقال النووي رحمه الله "والمعلم يؤدب الصبي بإذن الولي ونيابة عنه"[33].ا.هـ.

وقد استدل أصحاب القول الأول بما يلي:

1– قولهم" إن تأديب الصغير عقوبة تعزيرية، وهي لا تجوز إلا للولي ومَنْ في معناه، والمعلِّم ليس في معنى الولي، وإنما هو نائب عنه، فتوقف جواز تعزيره على الإذن، وليس مجرد الإذن في التعليم إذناً في الضرب؛ لأنه لا يستلزمه، فكم من الآباء من يأذن فيه، وينهى عن الضرب، فسكوتُه عنه يحتمل رضاه به وعدمه، ومن ثَمَّ فلا يجوز الإقدام عليه إلا بالتصريح". (34)

2– قولهم" إن الضرب عند التعليم غير متعارف، وإنما الضرب عند سوء الأدب، وذلك ليس من التعليم في شيء فالعقد المعقود على التعليم لا يثبت الإذن في الضرب، فلهذا يكون ضامناً إلا أن يأذن له فيه نصاً"[35].

---

(28) الكاساني، بدائع الصنائع، ج7،ص305؛ وابن الهمام، شرح فتح القدير، ج5،ص353؛ وابن عابدين، حاشية رد المحتار، ج3،ص189، ج5،ص363.

(29) ابن نجم شاس، عقد الجواهر الثمينة، ج3،ص350؛ محمد علي الرهوني، حاشية الرهوني على شرح الزرقاني، ج8،ص162؛ ومحمد عليش، منح الجليل ،ج9، ص357.

(30) النووي، روضة الطالبين، ج10، ص175؛ وابن حجر الهيتمي، وتحفة المحتاج ج9،ص179؛ وابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص77؛ وزكريا الأنصاري، أسنى المطالب ج4،ص162؛ وسليمان الجمل، حاشية الجمل على شرح المنهج، ج5،ص165.

(31) ابن عابدين، حاشية رد المحتار، ج5،ص363.

(32) المرجع السابق ، ج3، ص 350.

(33) النووي، روضة الطالبين، ج10،ص175.

(34) المرجع السابق؛ ابن عابدين، حاشية رد المحتار، ج3،ص189، ج5،ص363؛ وابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص77– 78؛ وبدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، (مصر: مطبعة البابي الحلبي، ط1، 1392هـ = 1972م)، ج20،ص108.

35 السرخسي، المبسوط، ج16، ص13.

القول الثاني: لا يشترط في جواز ضرب المعلم للصغير على التعليم إذن وليه، إذا كان الضرب معتاداً، وهذا مذهب الحنابلة[36] والقول الآخر عند المالكية[37] ونقل عن بعض علماء الشافعية[38].

قال الإمام مالك رحمه الله" معلم الكتاب والصنعة إن ضرب صبياً ما يعلم الأمن فيه لأدبه، فمات فلا يضمن، وإن جاوز به الأدب ضمن ما أصابه"[39].ا.هـ.

وقال الخلال[40] رحمه الله" إذا ضرب المعلِّم ثلاثاً، كما قال التابعون وفقهاء الأمصار، وكان ذلك ثلاثاً، فليس بضامن"[41] .ا.هـ.

وقال بعض علماء الشافعية" الإجماع الفعلي مطرد بذلك – أي بتأديب المعلم من يتعلم منه – من غير إذن"[42].ا.هـ.

فظهر من هذه النصوص الفقهية عدم اشتراط الإذن لضرب التلميذ الضرب المعتاد لأجل أن" المعلم فَعَلَ ماجرت به العادة لمصلحته"[43] – أي مصلحة الولد.

واستدل أصحاب القول الثاني بما يلي:

1-بأن الإجماع الفعلي مطرد بجواز ذلك بدون إذن الولي [44].

وقد أجيب عن هذا الاستدلال:

بأن هذا الإجماع الفعلي مُدَّعًى فلا يعتد به؛ لأن الضرب الواقع من المعلمين للأولاد بغير إذن أوليائهم إنما منشؤه جهلهم، فلا يعتد بفعلهم.

---

(36) أبي يعلى، الأحكام السلطانية، ص282؛ وابن قدامة، المغني، ج8،ص116، ج12،ص528، وابن مفلح، الفروع، ج6، ص106؛ وابن مفلح، المبدع، ج8،ص341؛ البهوتي، شرح منتهى الإرادات، ج3،ص305؛ ومصطفى الرحيباني، مطالب أولي النهى ج6،ص90.

(37) الدردير، الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي، ج4،ص354؛ ومحمد عليش، منح الجليل ج9،ص361؛ وصالح الأزهري، جواهر الإكليل، ج2،ص296.

(38) ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص78؛ والشربيني، مغني المحتاج، ج4،ص193؛ والبكري، حاشية إعانة الطالبين، ج4،ص191.

(39) محمد عليش، منح الجليل، ج9،ص361.

(40) هو: أحمد بن محمد بن هارون أبو بكر المعروف بـ(الخلال)، ولد سنة (234هـ)، وكان قد صحب جماعة من أصحاب الإمام أحمد منهم: صالح وعبدالله وغيرهما، كان شيوخ المذهب يشهدون له بالفضل والتقدم، له التصانيف الدائرة، من ذلك: الجامع والعلل والسنة وغيرها، توفي سنة 311هـ.. للاستزادة انظر: للقاضي أبي الحسين محمد بن أبي يعلى الفراء، طبقات الحنابلة ج2ص12؛ وابن مفلح، المقصد الأرشد ج1،ص166.

(41) ابن قدامه، المغني ج12،ص528.

(42) الشربيني، مغني المحتاج ج4،ص193.

(43) البهوتي، كشاف القناع ج6،ص17.

(44) ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص78؛ والشربيني، مغني المحتاج ج4،ص193؛ وابن قدامه، المغني، ج8،ص116؛ وابن مفلح، المبدع ،ج8،ص341.

ثم إن العقوبات يحتاط فيها، وتدرأ ما أمكن –كما أجمعوا عليه[45] – فلا تجوز بمجرد عادة ونحوها[46].

2– قالوا: إن الشيخ أبو الروح، والوالد أبو الجسد، وإذا كان أبو الجسد يملك التأديب فلأن يملكه أبو الروح من باب أولى؛ لأنه يبذل جهده في إفادة الروح وتخليصها من ظلمة الجهل وإرشادها لما فيه سعادة الدارين[47].

الترجيح في هذه المسألة

إن المتأمل في هذه المسألة المختلف فيها بين العلماء رحمهم الله وما استدلوا به من أدلة واعتراضاتهم، يظهر له والعلم عند الله أن الراجح هو القول الأول، القائل باشتراط إذن الولي في جواز ضرب المعلم لتلميذه على التعليم، وسبب الترجيح أن ولاية المعلم ولاية نيابية قد تنحصر تصرفاته فيما أنيب فيه فقط، ولا يحق له أن يتعدى حدود ما أنيط به من عمل، وتسليمُ الولي صبيه إلى المعلم لتعليمه لا يثبت الإذن في الضرب؛ ولأن تجويز الضرب بغير إذن الولي يفتح الباب على مصراعيه لبعض المعلمين الذين لا يخافون الله تعالى لضرب التلاميذ لأتفه الأسباب، ولهذا فليس للمعلم ضرب الصبي إلا أن يأذن له الولي نصاً.

ومع اختيار هذا القول أصالة، إلا أنه إنْ قيل بالتفصيل في ذلك فلا بأس، حيث يجوز للمعلم ضرب تلميذه– على التعليم– إذا كان واحدةً أو اثنتين أو ثلاثاً فقط– وإن لم يأذن الولي نصاً– لأجل اعتبار أن ولايته خاصة على تلميذه؛ ولأن الضرب على هذا الوجه مما جرى به الإذن العرفي فهو كالإذن اللفظي[48]، فعُرف الناس وعادتهم لا يرون في ذلك

(45) الكاساني، بدائع الصنائع، ج7،ص61؛ وابن جزيء، القوانين الفقهية ص232؛ والنووي، روضة الطالبين، ج10،ص92– 93؛ والبهوتي، كشاف القناع، ج6،ص96؛ وسعدي أبو جيب، موسوعة الإجماع، ج1،ص324.

(46) ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال ص(78.

(47) الرحيباني، مطالب أولي النهي، ج6،ص90.

(48) عبدالرحمن بن قاسم وابنه محمد، مجموع الفتاوى لشيخ الإسلام ابن تيمية، ج11،ص427، ج29،ص20؛ وابن القيم، إعلام الموقعين، ج2، ص393.

بأساً؛ ولأجل ما يفهم من كلام أهل العلم في تجويز الضرب ثلاثاً، كما نقله الخلال عن التابعين وفقهاء الأمصار، وهو قول ابن سحنون[49] والقابسي[50] والمغراوي[51] وغيرهم.

يقول ابن سحنون رحمه الله:

"ولا بأس أن يضربهم على منافعهم ولا يجاوز بالأدب ثلاثاً إلا أن يأذن الأب في أكثر من ذلك إذا آذى أحداً"[52].

ا.هـ

أما ما زاد على الثلاث فإنه يشترط فيه إذن الولي.

وهنا يحسن بنا أن نتطرق إلى مسألة تأديب المعلم لتلميذه فيما يتعلق بحق نفسه كأن أساء الولد خلقه بنحو شتم أو سرقة لماله، أو أساء الأدب مع غيره وأتى بالفاحش من الكلام وغير ذلك من الأفعال الخارجة عن قانون الشرع، فإن للمعلم أن يؤدبه على ذلك بحسب ما يراه كافياً في ردع الولد – وإن لم يأذن الأب – لأن هذا تأديب على سوء الأدب، وليس من التعليم في شيء، فيؤدب عليه كما يؤدب المكلَّف[53] فيحق للمعلم أن يؤدب عليه؛" لأن ترك تأديبه يكسبه فساداً"[54]، إذ يتعذر طلبه عند غير المعلم لعسر إثبات موجبه[55].

---

(49) هو: محمد بن عبدالسلام (سحنون) بن سعيد بن حبيب التنوخي، أبو عبدالله، ولد بالقيروان سنة 202هـ، فقيه مالكي مناظر، كثير التصانيف، لم يكن في عصره أحد أجمع لفنون العلم منه، من كتبه آداب المعلمين، والجامع في فنون العلم والفقه، والحجر على القدرية وغيرها، توفي بالساحل سنة 265هـ. للاستزادة انظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء ج13،ص60؛ وابن العماد، شذرات الذهب، ج3،ص283.

(50) سعد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي (القاهرة: عالم الكتب، ط5، 1983م)، ص266، حيث أورد فيه رسالة القابسي كاملة.

والقابسي هو: علي بن محمد بن خلف القابسي، أبو الحسن، عالم المالكية بأفريقية في عصره، ولد سنة (324هـ)، كان حافظاً للحديث وعلله ورجاله، فقيهاً أصولياً من أهل القيروان، له تصانيف منها" :الممهد "كبير جداً في الفقه، والرسالة المفصلة لأحوال المعلمين، والمتعلمين والمناسك، توفي سنة 403هـ. للاستزادة انظر: كتاب وفيات الأعيان ج3،ص320؛ وابن العماد، شذرات الذهب ج5،ص20.

(51) عبدالهادي التازي، المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه" جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان، (بيروت: المكتب الإسلامي بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط1، 1407هـ = 1986م)، ص81 .

والمغراوي هو: أحمد بن أبي جمعة وقيل: شقرون بن أحمد، وقيل: محمد شقرون بن أحمد، تضاربت آراء الذين ترجموا له حول اسمه الحقيقي، المغراوي أبو عبدالله، فقيه، حافظ، ضابط، له تآليف منها: جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان توفي سنة 929هـ. للاستزادة انظر: أحمد بن محمد ابن العافية الشهير بـ(ابن القاضي)، جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس، (فاس: ط حجرية) ص204؛ وعمر رضا كحالة، معجم المؤلفين ج1،ص184.

(52) سعد مرسي أحمد، تطور الفكر التربوي ، حيث أورد فيه رسالة ابن سحنون كاملة. ص247.

(53) أحمد غنيم النفراوي، الفواكه الدواني، ج2،ص165.

(54) محمد عليش، منح الجليل، ج9،ص357-358.

(55) الونشريسي، المعيار المعرب، ج8،ص257.

وقد سئل الإمام أحمد رحمه الله عن ضرب المعلم الصبيان، قال" على قدر ذنوبهم، ويتوقى بجهده الضرب، وإذا كان صغيراً لا يعقل فلا يضربه"[56].

وإذا جاز للأب ضرب ولده لحق نفسه أو حق غيره[57]، فكذلك يجوز للمعلم أن يضرب تلميذه لحق نفسه أو غيره؛" لأنه نائب عن الأب، والأب له ضربه لحق نفسه وحق الله[58].

سئل ابن أبي زيد[59] عن صبي قذف صبياً أو كبيراً ورفع إلى المعلم ما يلزمه؟ فأجاب: يجب عليه زجره، فإن عاد أدبه بقدر اجتهاده"[60].

ومما سبق يظهر لنا بوضوح مدى إقرار مبدأ التأديب عند المسلمين، وحرصهم على ترسيخه ، والعمل به في تعليم أولادهم، ومعاقبة من يستحق العقاب البدني لما اقترفت يداه أو لسانه، وعليه فلا خلاف على أهمية الثواب في حياة الناس عامة، (ودوره في التوجيه وتعديل السلوك، وللمكافآت دور إيجابي في تعزيز التعليم الهادف، واستثارة المعلم لبذل مزيد من الجهد، وقد لوحظ أن التغرير يبلغ أقصى فاعليته كلما كانت الإثابة قريبة زمنا من الاستجابة التي يراد تعلمها.

ولهذا يتضح للمتأمل أنه كان جزء كبير من التربية في العصور القديمة كان يعتمد على العقاب البدني اعتمادا كلياً، بحيث يضرب الأبناء بالعصا والسوط ويحبس في الفصل لأقل تقصير فيها يوكل إليهم من مهارات أو مهمات وكان يعامل الطفل كالبالغين ولا يراعي أي قدرات جسمية وعقلية ونفسية وإدراكية لهؤلاء الأطفال وكانت التربية تختلف من ناحية تطبيقها من جهة لأخرى ومن عصر لآخر.

وقد رأوا الفلاسفة والمفكرين أن يبحثوا عن مخرج لهذه التربية وطالب قسم منهم بمنع تطبيق العقاب البدني في عملية التعليم لاعتبار ذلك يؤدي إلى سلبيات تعود بالأثر السيئ على الأطفال .

في حين نادى فريق آخر ببقاء تطبيق العقاب في المدارس، وقد منعت دول العالم تطبيقه في مدارسها منذ أمد ومعاقبة المخالف أمام القانون في حالة الإيذاء، أو تقديم شكوى بحقه من قبل المتضرر أو ولي أمره"[61].

---

(56) ابن قدامه، المغني، ج8،ص116؛ وابن مفلح، الآداب الشرعية، ج1،ص477.

(57) المعيار المعرب ج8،ص257؛ وابن دقيق العيد، إحكام الإحكام، ج1،ص169؛ ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال ص79.

(58) ابن حجر الهيتمي، تحرير المقال، ص79، وابن الملقن، الإعلام بفوائد عمدة الأحكام، ج2،ص393؛ وسليمان الجمل، حاشية الجمل على شرح المنهج، ج5،ص165.

(59) هو: عبدالله بن أبي زيد عبدالرحمن النَّفْزِي القيرواني المالكي أبو محمد، ولد بالقيروان سنة 310هـ، كان إمام المالكية في وقته، وجامع مذهب مالك، وكان يسمى مالكاً الأصغر، له التصانيف الماتعة، منها: النوادر والزيادات على المدونة وكتاب (الرسالة) مشهور وغيرها، توفي سنة 386هـ، وقيل: 389هـ. للاستزادة انظر: كتاب الديباج المذهب ج1،ص429؛ والعبر ج2،ص177؛ وابن العماد، شذارت الذهب ج4، ص477.

(60) الونشريسي، المعيار المعرب، ج2،ص423؛ و أحمد النفراوي، الفواكه الدواني ج2،ص165.

(61) محمد عبدالكريم الدحام، تأديب الطلاب عند المسلمين، بحث من منشورات جامعة الملك سعود، كلية التربية،قسم الإدارة التربوية، ص13-14.

تطبيق تأديب المعلم في النظام السعودي

النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية

صدر بموجب المرسوم الملكي رقم أ/90 المؤرخ في 1412/8/27هـ (الموافق 3 يناير 1992م)

المادة 13

يهدف التعليم إلى غرس العقيدة الإسلامية في نفوس النشء، وإكسابهم المعارف والمهارات، وتهيئتهم ليكونوا أعضاء نافعين في بناء مجتمعهم محبين لوطنهم معتزين بتاريخه.

المادة 29

ترعى الدولة العلوم والآداب والثقافة، وتُعنى بتشجيع البحث العلمي وتصون التراث الإسلامي والعربي وتسهم في الحضارة العربية والإسلامية والإنسانية.

المادة 30

توفر الدولة التعليم العام، وتلتزم بمكافحة الأمية.

علاقة النظام السعودي بالشريعة الإسلامية من حيث معالجة المسائل التي تتعلق بموضوع البحث

لقد قامت الدولة السعودية منذ بواكيرها في قلب الجزيرة العربية، تحمل رسالة الإسلام، وتحكم بشريعته في سائر شؤون الحياة ونشاطاتها البشرية المختلفة، فقد تأسست الدولة السعودية الأولى بعد لقاء الأمير الفذ محمد بن سعود رحمه الله أمير الدرعية، بالشيخ الإمام محمد بن عبد الوهاب رحمه الله وتعاقدهما على القيام بنصرة دين الله ونشر عقيدة التوحيد الخالص لله رب العالمين، والجهاد في سبيل الله، وذلك في عام 1157هـ في بلدة الدرعية؛ بعد ورود الشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمة الله إليها قادماً من بلدة العيينة، فكان لقاءاً تاريخياً مباركاً عمت خيراته أرجاء الجزيرة العربية، حيث كانت الجزيرة تعيش حالة متردية في كافة جوانب الحياة العقدية والعلمية والسياسية والاقتصادية والاجتماعية، نجم عن ذلك انعدام الاستقرار وضعف الأمن وشيوع الفوضى، وقد تزامن مع هذه الأحوال ضيق في المعيشة وانشغال الناس باستحصال أقواتهم وما به قوام عيشهم مما أبعدهم عن تطلُّب العلم والتوجه إليه فعم الجهل وذاعت ظواهر الإشراك والبدعة، وانتشرت أسباب المنكرات، واستحكم في واقع فئات من الناس سيطرة نعرات الجاهلية وتقاليدها وأعرافها.

في مثل هذه الظروف والأحوال الصعبة نهض الإمامان الأمير محمد بن سعود والشيخ محمد بن عبد الوهاب رحمهما الله بالدعوة إلى التوحيد وتحكيم الشريعة الإسلامية، ونبذ أعراف الجاهلية، ومنابذة أهلها وحماتها حتى تحققت العزة والنصر والتمكين للحق وأهله، وقد تتابعت الجهود وتوالت من نسل الإمامين وأبنائهما وأتباعهما حتى سادت الدعوة وعمت أرجاء الجزيرة العربية، وانتشر نور التوحيد، وأقام حكّام الدولة السعودية أحكام الشريعة الإسلامية وتآلف الناس تحت ظلال هذا الحكم الوارف، واستقوا من منهل الشريعة كافة أمور حياتهم.

ومما سبق يتضح لنا بجلاء كيف تم تأسيس صرح معلم أقام الدين والشريعة بين جنباته وأنار مؤسساته بصبغة الإسلام، ومولد كل صغير ودقيق فيها هو تحت نظر الشريعة الإسلامية.

ومن مواليد أساسيات هذه البلاد نشوء النظام على أساس الشريعة الإسلامية وأي نظام وجد مخالفاً لما جاءت به الشريعة الإسلامية فإنه يعد لاغياً ولا أثر له.

ومن ذلك ما قاله المؤسس الملك عبد العزيز آل سعود طيب الله ثراه في خطابه أمام مجلس الشورى: (إنكم لتعلمون أن أساس نظامنا وأحكامنا هو الشرع الإسلامي، وأنتم في تلك الدائرة أحرار في سن كل نظام وإقرار العمل الذي ترونه موافقاً لصالح البلاد على شرط ألا يكون مخالفاً للشريعة الإسلامية؛ لأن العمل الذي يخالف الشرع لن يكون مفيداً لأحد، والضرر كل الضرر هو السير على غير الأساس الذي جاء به نبينا محمد صلى الله عليه وسلم[62].

فعلى نهج القرآن الكريم، و سنة النبي الكريم صلى الله عليه وسلم، قامت المملكة العربية السعودية بإنشاء نظامها الذي يدير كافة مرافق الدولة وجميع جوانبها، وكافة أنظمتها.

ومن هنا كان وجه العلاقة بين الأنظمة السعودية والشريعة الإسلامية، حيث تعتبر الشريعة الإسلامية الأساس الأول في سن الأنظمة داخل المملكة العربية السعودية، وهو ما يتجلى واضحاً في المادة الأولى من النظام الأساسي للحكم في المملكة العربية السعودية حيث نصت على أن: المملكة العربية السعودية دولة عربية إسلامية، ذات سيادة تامة، دينها الإسلام، ودستورها كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم.

وفي المادة السابعة: يستمد الحكم في المملكة العربية السعودية سلطته من كتاب الله تعالى وسنة رسوله، وهما الحاكمان على هذا النظام، وجميع أنظمة الدولة.

وفي المادة السادسة والأربعين: القضاء سلطة مستقلة، ولا سلطان على القضاة في قضائهم لغير سلطان الشريعة.

(62) عبد الحميد الخطيب، الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود ،(القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1370هـ.)، ج2،ص199.

وفي المادة الثامنة والأربعين: تطبق المحاكم على القضايا المعروضة أمامها أحكام الشريعة الإسلامية، وفقاً لما دل عليه الكتاب والسنة وما يصدره ولي الأمر من أنظمة لا تتعارض مع الكتاب والسنة.

وفي المادة الخامسة والخمسين: يقوم الملك بسياسة الأمة سياسة شرعية طبقاً لأحكام الإسلام، ويشرف على تطبيق الشريعة الإسلامية.

وفي المادة السابعة والستين: تختص السلطة التنظيمية بوضع الأنظمة واللوائح فيما يحقق المصلحة أو يرفع المفسدة في شؤون الدولة وفقاً لقواعد الشريعة الإسلامية.

*** موقف النظام السعودي من تطبيق العقوبات الجنائية في إطار التقنيات الحديثة:**

لقد أتجه المنظم السعودي، استناداً إلى قواعد الشريعة الإسلامية، وامتثالاً لأمر الله تعالى بإنفاذ العقوبة على الجاني في ضوء الشريعة الإسلامية.

وجدير بنا في ثنايا هذا المطلب أن نعرج على المسائل المستجدة، وما يعرف بالنوازل، ونطل بإطلالة على ما حواه النظام من معالجة لم يحل بالساحة من نوازل وما تقذفه التقنية الحديثة من مستجدات(63)، حري بأهل العلماء أن يتصدوا لها بالوحيين الشريفين، وأن يتعمقوا في بحثها، وأن يجلون وقائعها، وينزلون مبانيها على نور الشرع الحكيم، وقد صدق الله" الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا"(64)، فما ترك الشارع من شاردة و لا واردة إلا وقد ضمنها هذا الوحي الكريم وهذا الشرع الجليل.

إن التأديب في المدارس اليوم يأخذ أشكالاً وصوراً، قد تكون مخالفة للمنهج النبوي الكريم، والذي سار على خطاه المربون المسلمون، فتارة قد يكون هناك تجاهلاً له من المعلمين وذلك برفضه تماماً، أو الإسراف فيه أحيانا أخرى بالإيذاء النفسي والبدني، مما يترتب عليه آثاراً نفسية يعانيها الطالب، وهذا يخالف مفاهيم التربية الصحيحة السائدة في المدارس عند المسلمين.

(63) من الأمثلة على الوقائع المستحدثة، ما سنه المنظم من إباحة استخدام البنج عند قطع اليد أو الرجل في الحدود دون القصاص، وكذلك ماقرره مجلس هيئة كبار العلماء من عدم جواز إعادة اليد المقطوعة في حد إلى صاحبها، استناداً لمبدأ الزجر والردع، وكذلك عزوا مسألة تعين آلة الاستيفاء في آلة القتل إلى ولي الأمر، وجواز استخدام الرصاص كآلة لتنفيذ القصاص في النفس متى ما رأى ولي الأمر ذلك.

(64) سورة المائدة آية 3

ومن هنا يظهر لنا جلياً ما يجب على المعلم بأن يقوم أسلوب تربيته على تدعيم السلوك الإيجابي بالثناء على المحسن، والتنويه بالجيد كأن يثني المعلم على إجابة صحيحة، أو على دفتر منظم ، أو على طالب أمين، أو على آخر متفوق، وهلم جرا ..

وهذا الثناء بلا شك يعده الطالب شهادة ممهورة بتفوقه، ويعتز به أيما اعتزاز، وينبغي الدقة في الإثابة المادية حتى لا تتحول الإثابة في حد ذاتها غرضاً للطالب دون ما يقترن بها من مواقف تعليمية وسلوكية فمن غير المحتمل على أية حال أن تحفز المكافأة المادية على الدوام، ولاستمرار الأفراد، وتحثهم على بذل مجهود متزايد إذا لم يصل الفرد إلى الهدف.

أما العقاب فمع تعدد صوره وأساليبه إلا أن الاتفاق على الحذر منه، والاقتصاد فيه والتقليل من استعماله لما له من آثار على نفسية المتعلم. وفي الحديث" لم يكن رسول الله صلى الله عليه وسلم سباباً، ولا فحاشاً، ولا لعاناً"(65). وكان ﷺ يقول لأحدهم عند المعتبة" ماله ؟ تربت جبينه"(66).

وينصرف العقاب في الأذهان أكثر ما ينصرف إلى العقاب البدني، وتذهب التربية عند علماء المسلمين إلى جواز معاقبة التلميذ إذا استحق ذلك.

والمتأمل في الممارسات التربوية للتأديب اليوم يجد أن العقاب في المدرسة يأخذ أشكالاً متعددة والقصد منه تقويم سلوك الطالب الشاذ كوسيلة أخيرة تطبق هذا من أخذ الطالب لصوابه وتعديل مسيرته وعدم انحرافه، بحيث يكون العقاب غير مؤذ ولا يعطي سلبيات مردودها الأثر السيئ في تنشأة الأطفال.

ولقد أجازت أغلب القوانين والأنظمة للمعلم على سبيل الرخصة مباشرة التأديب لمن هم تحت ولايته وسلطته، وقد وضعت وزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية قواعد لتنظيم السلوك والمواظبة لطلاب مراحل التعليم العام، وهي إجراءات تأديبية ركزت بشكل أساسي على الوسائل المعنوية للتعامل مع المخالفات السلوكية وفق تصنيفات متفاوتة تشتمل على ستة أنواع من المخالفات قامت بتحديدها وتقنينها ووضعت الإجراءات النظامية المتظمنة لكل قسم من هذه الأقسام وسأختم هذا المبحث بنماذج من قرارات التأديب بحسب نوع المخالفة .

ويحسن هنا أن نمهد ببيان أهمية تنشأة الابن على أن يلتزم أحسن الأخلاق في محاقل التعليم والتربية إذ هو يعكس صورة عن أسرته وهذا مايجلعنا نثمن لوزارة التربية والتعليم بالمملكة العربية السعودية ما تقوم به من دور فعال ومثمر في خدمة المجتمع والنهوض به.

(65) سبق تخريجه، ص...

(66) سبق تخريجه، ص...

إذ أن مما لايعتريه الشك أن موضوع تنظيم سلوك الطلاب ومواظبتهم في المدارس يحتل مكانة مهمة في العملية التعليمية، فهو جزء من التربية الخلقية الشاملة التي حثت عليها سياسة التعليم في المملكة العربية السعودية، وقد احتوت وثيقة سياسة التعليم عدداً من المواد التي تناولت التربية الخلقية وربطها بشكل مباشر بالعملية التعليمية.

والأخلاق الكريمة هي أساس السلوك الإنساني في جميع معطياته العبادية والمعاملاتية والتعليمية الجماعية والفردية، ولهذا وصف الله عز وجل نبينا وسيدنا محمد ﷺ بأنه على خلق عظيم. وقد تناولت الشريعة الإسلامية الجوانب الخلقية وأولتها اهتماماً كبيراً لما لها من أثر عظيم في تنظيم حياة الناس وتقييدها وضبطها، ولكي يتحلى أبناء الإسلام بسمات خلقية عالية ذات نبل وشرف ويترسموا خطى الهداة المهتدين من الأنبياء والرسل ويتمثلوا ما جاءت به شريعتنا الغراء، فقد تم إعداد هذه القواعد لتنظيم سلوك الطلاب ومواظبتهم في مدارس التعليم العام، لتحقيق الأهداف الآتية:

1- الارتقاء بالسلوكات الحسنة وتعزيزها، وتعهدها بالتشجيع والرعاية والحد من المشكلات السلوكية لدى الناشئة بكل الوسائل التربوية الممكنة.

2- توافر أساليب واضحة للعاملين في الميدان التربوي للتعامل مع سلوكات الطلاب وفق أسس تربوية مناسبة.

3- تفادي الأساليب المنفرة في التعامل مع سلوكات الطلاب الخاطئة.

4- تهيئة البيئة التربوية والتعليمية المناسبة للطلاب والمعلمين وإدارة المدرسة لتحقيق أهداف العملية التربوية.

5- تعريف الطلاب وأولياء أمورهم بالأنظمة والتعليمات الخاصة بالسلوك والمواظبة وأهمية الالتزام بها، بما يحقق الانضباط الذاتي لسلوك الطلاب.

وقد اشتملت القواعد على بعض السمات السلوكية التي ينبغي أن يتحلى بها الطالب داخل المدرسة وخارجها، كما صنفت القواعد مسؤوليات المدرسة، ومسؤوليات الطالب تبعاً للمخالفات السلوكية، وحوت أنماطاً من الإجراءات والوسائل التأديبية وفق ما تقتضيه المخالفة، وتنظيماً لدرجات السلوك والمواظبة؛ وهي كما يلي:

مخالفات الدرجة الأولى:

1. عدم التقييد باللباس السعودي أو الحضور بملابس لا تليق أو هيئة تنافي الخلق الإسلامي.
2. النوم داخل الفصل.
3. إعاقة الحصة بالحديث الجانبي.
4. تناول الأطعمة أو المشروبات أثناء الدرس.

5. العبث و قلة المشاركة (المقصودة) في أثناء الطابور الصباحي.
6. عدم أداء الواجبات المدرسية .
7. عدم إحضار الكتب أو الدفاتر أو الأدوات المدرسية أو الملابس الرياضية.
8. المقاطعة المستمرة غير الهادفة لشرح المعلم.
9. التأخر في الدخول إلى الفصل دون إذن مسبق.
10. رمي بقايا الطعام أو النفايات في أماكن غير مخصصه لها .
11. دخول الطالب فصله أو فصل آخر دون استئذان .

مخالفات الدرجة الثانية:

1. الغش في الواجبات أو الاختبارات غير الفصلية.
2. إثارة الفوضى داخل محيط المدرسة أو في وسائل النقل المدرسي (العبث بالماء، البخاخات، الصوت العالي..الخ).
3. امتهان الكتب الدراسية.
4. العبث بممتلكات المدرسة أو الكتابة على الجدران.
5. الشجار مع الزملاء أو تهديهم او التلفظ عليهم بألفاظ غير لائقة.
6. الاشتراك في مضاربه (عراك).
7. الهروب من الدرس أو عدم حضور الحصة الدراسية.
8. إحضار أجهزة الاتصال الشخصي أياً كان نوعها إلى كان نوعها إلى المدرسة .
9. الخروج من الفصل دون استئذان.
10. العبث بأي من أدوات الأمن والسلامة المدرسية.

مخالفات الدرجة الثالثة:

1. التهاون في أداء الصلاة داخل المدرسة أو العبث أثناء الصلاة.
2. التلفظ بكلمات نابيه تجاه المعلم أو في حكمهم من منسوبي المدرسة.

3. الاستهانة بمعلمي المدرسة أو إداريها أو من في حكمهم بتصرفات غير لائقة مثل الرمي بالطباشير،الرش بمشروبات غازية، تقليد تصرف المعلم على سبيل السخرية. .
4. الإشارة بحركات مخلة بالآداب تجاه زملائه مثل الحركة بالأصبع أو اليد أو الجسم.
5. تعمد إتلاف أو تخريب شيء من تجهيزات المدرسة أو مبانيها مثل(أجهزة الحاسب الآلي،آلات التشغيل،المعامل،حافلة المدرسة
6. إحضار المواد أو الألعاب الخطيرة مثل (الألعاب النارية، البخاخات الغازية، مواد كيميائية، أدوات لإشعال النار...الخ) إلى المدرسة دون استخدامها.
7. حيازة أو عرض المواد الإعلامية الممنوعة المقروءة أو المسموعة أو المرئية.
8. سرقة شيئ من ممتلكات الزملاء أو المدرسة.
9. إلحاق الضرر المتعمد بممتلكات الزملاء
10. مهاجمة احد زملائه بالضرب.
11. حيازة السجائر
12. التوقيع عن ولي الأمر من غير علمه على المكاتبات المتبادلة بين المدرسة وولي الأمر.
13. إثارة الرعب بين الطلاب وتخويفهم.

مخالفات الدرجة الرابعة:

1. الإصرار على ترك أداء الصلاة مع الطلاب والمعلمين دون عذر شرعي.
2. تهديد معلمي المدرسة وإداريها أومن فيحكمهم وإلحاق الضرر بممتلكاتهم وسرقتهم .
3. الإشارة بحركات مخلة بالأدب تجاه المعلمين والإداريين أومن في حكمهم من منسوبي المدرسة .
4. العبث بالمواد والألعاب الخطرة داخل المدرسة (المفرقعات – الآلات الحادة– المواد الحارقة– الألعاب الحارقة).
5. توزيع المواد الإعلامية الممنوعة المقروءة والمسموعة والمرئية.
6. تعمد إصابة أحد الطلاب عن طريق الضرب باليد أو باستخدام أدوات غير حادة أحدثت إصابة (جرحاً أونزيفاً أو كسراً).
7. التوقيع عن أحد مسئولي المدرسة على المكاتبات المتبادلة بين المدرسة وولي الأمر.

8. التدخين داخل المدرسة

9. تصوير المعلمين أو الطلاب أو الموظفين من خلال الأجهزة الالكترونية أو الرسم المسيء لهم وابتزازهم بها ونشر مقاطع فيديو على الإنترنت.

10. الهروب من المدرسة.

11. حيازة الأسلحة النارية أو ما في حكمها (مثل السكاكين، الأدوات الحادة).

12. تزوير الوثائق وتقليد الأختام الرسمية.

13. السلوك الخاطئ والغريب بمثل (الإيمو والبويات).

14. إحضار شخص آخر لتأدية الاختبارات نيابة عنه.

15. التنمر.

16. العبث بالكهرباء.

مخالفات الدرجة الخامسة:

1. الاعتداء بالضرب على أحد منسوبي المدرسة من معلمين أو إداريين أو من في حكمهم .

2. التهديد أو استخدام الأسلحة النارية أو ما في حكمها، أو الطعن بآلة حادة.

3. الاستخدام والاستفادة من الوثائق والأختام الرسمية المزورة .

4. التحرشات الجنسية.

5. إشعال النار داخل المدرسة.

مخالفات الدرجة السادسة:

1. الاستهزاء بشيء من شعائر الإسلام .

2. اعتناق الأفكار أو المعتقدات الهدامة أو نشرها.

3. حيازة المخدرات أو تعاطيها أو ترويجها.

4. جميع الممارسات الجنسية المحرمة.

5. القيادة إلى أفعال الرذيلة.

6. الخروج من المدرسة للذهاب مع الجنس الآخر.

وكما أن الوزارة قد وضعت إجراءات لكل درجة من المخالفات كانت على النحو التالي:

إجراءات مخالفات الدرجة الأولى:

الإجراء الأول:

التنبيه الشفهي الانفرادي من المعلم أو إدارة المدرسة عند مباشرة الموقف وبأسلوب تربوي حكيم وتعزيز السلوك الإيجابي.

الإجراء الثاني:

التنبيه الشفهي الانفرادي للمرة الثانية من المعلم أو إدارة المدرسة عند مباشرة الموقف وبأسلوب تربوي حكيم وتعزيز.

الإجراء الثالث:

تدوين المخالفة السلوكية من المعلم الذي باشر الموقف وتوقيع الطالب عليها .

الإجراء الرابع:

. تقوم الإدارة بإشعار ولي أمر الطالب كتابياً وهاتفياً بمخالفة الطالب السلوكية والتنسيق معه لتعديل السلوك المخالف, بعد التنفيذ يحال الطالب إلى المرشد الطلابي لدراسة حالته

الإجراء الخامس:

1. تقوم إدارة المدرسة بتنبيه الطالب المخالف سلوكياً وأخذ تعهد خطي عليه بعدم تكرار المخالفة .

2. حسم درجة واحدة من درجات سلوك الطالب مع التمكين من فرص التعويض لتعديل سلوكه ولتعويض الدرجات المحسومة وإشعار ولي أمره بذلك .

في حال تكرار المخالفة تحال الحالة للجنة التوجيه والإرشاد للمساعدة في علاج وضع الطالب لمخالف وفقاً لتقرير دراسة الحالة من المرشد الطلابي في المدرسة ويطبق عليهما ما وردفي الإجراء الخامس.

إجراءات مخالفات الدرجة الثانية:

الإجراء الأول:

يحال الطالب المخالف سلوكياً إلى الإدارة ويتخذ معه مايلي :

1. أخذ تعهد خطي من الطالب بعدم تكرار المخالفة .
2. إشعار ولي الأمر خطياً بالمخالفة والإجراءات المتخذة .
3. مصادرة ما بحوزة الطالب من مواد ممنوعة وإتلافها نظاماً وإعداد محضر بذلك .
4. ضبط الجهاز الذي بحوزة الطالب وإعادته لولي الأمر إذا لم يكن الجهاز مرتبط بقضية ويعد محضر بذلك .
5. ضبط الجهاز المرتبط بقضية والتحفظ عليه واستكمال إجراءاته نظاماً .
6. الاعتذار إلى من أساء إليه من الزملاء .
7. إلزام الطالب بإصلاح ما أتلفه أو إحضار بديل عنه .
8. بعد استكمال الإجراءات السابقة إذا لزم الأمر يتم إحالة الطالب إلى المرشد الطلابي لدراسة حالته .

الإجراء الثاني:

يحال الطالب المخالف سلوكياً إلى الإدارة ويتخذ معه مايلي:

1. دعوة ولي أمر الطالب وأخذ تعهد خطي على الطالب المخالف بعدم تكرار المخالفة وتوقيع ولي أمره بالعلم والتنسيق معه بتعديل السلوك المخالف .
2. نقل الطالب إلى فصل آخر .
3. بعد تنفيذ الإجراء يحال الطالب المخالف للمرشد الطلابي لدراسة حالته .
4. حسم درجتين من درجات سلوك الطالب المخالف مع تمكينه من فرص التعويض لتعديل سلوكه ولتعويض الدرجات المحسومة وإشعار ولي الأمر بذلك .

الإجراء الثالث:

يحال الطالب المخالف سلوكياً إلى الإدارة ويتخذ معه مايلي:

1. جميع ما ذكر في الإجراء الأول .
2. حسم درجتين من درجات سلوك الطالب المخالف مع تمكينه من فرص التعويض لتعديل سلوكه ولتعويض الدرجات المحسومة وإشعار ولي الأمر بذلك .

الإجراء الرابع:

يحال الطالب المخالف سلوكياً إلى الإدارة ويتخذ معه مايلي:

1. جميع ما ذكر في الإجراء الأول.
2. حسم درجتين من درجات سلوك الطالب المخالف مع تمكينه من فرص التعويض لتعديل سلوكه والدرجات المحسومة.
3. بعد تنفيذ الإجراء يحال الطالب المخالف إلى وحدة الخدمات الإرشادية للمساعدة في العلاج ووفقاً تقرير دراسة الحالة من المرشد الطلابي في المدرسة مع استمراره في الدراسة، على أن يحضر تقريراً منه يفيد باستمراره في المتابعة معه في دراسة حالته يوضح ما تم اتخاذه من إجراءات، وتتم متابعة مرشد الطلاب لحالته لتقديم الخدمات التربوية والإرشادية. في حال تكرار المخالفة تحال الحالة للجنة التوجيه والإرشاد للمساعدة في علاج وضعا لطالب المخالف وفقاً لتقرير دراسة الحالة من المرشد الطلابي في المدرسة ويطبق عليه ما ورد في الإجراء الرابع .

إجراءات مخالفات الدرجة الثالثة:

الإجراء الأول:

يحال الطالب المخالف سلوكياً إلى الإدارة ويتخذ معه مايلي:

1. إشعار ولي الأمر الطالب خطياً بالمخالفة والإجراءات المتخذة .
2. أخذ تعهد خطي من الطالب بعدم تكرار المخالفة .
3. الاعتذار إلى من أساء إليهم .
4. إصلاح ما أتلفه الطالب أو إحضار بديل عنه وإشعار ولي الأمر بذلك .
5. مصادرة ما بحوزة الطالب من مواد ممنوعة وإتلافها نظاماً وإعداد محضر بذلك .

6. ضبط الجهاز الذي بحوزة الطالب وإعادته لولي الأمر إذا لم يكن الجهاز مرتبط بقضية ويعد محضر بذلك .
7. ضبط الجهاز المرتبط بقضية والتحفظ عليه واستكمال إجراءاته نظاماً .
8. نقل الطالب المصاب إلى أقرب مركز صحي .
9. بعد استكمال الإجراءات السابقة يتم إحالة الطالب إلى المرشد الطلابي لدراسة حالته.

الإجراء الثاني:

يحال الطالب المخالف سلوكياً إلى الإدارة ويتخذ معه مايلي :

1. جميع ما ذكر في الإجراء الأول.
2. دعوة ولي أمر الطالب وأخذ تعهد خطي على الطالب المخالف بعدم تكرار المخالفة وتوقيع ولي أمره بالعلم.
3. نقل الطالب المخالف سلوكياً إلى فصل آخر وفقا لتقرير المرشد الطلابي .
4. حسم ثلاث درجات من درجات سلوك الطالب مع تمكينه من فرص التعويض لتعديل سلوكه ولتعويض الدرجات المحسومة وإشعار ولي أمره بذلك.
5. تحويل حالة الطالب المخالف سلوكياً إلى لجنة التوجيه والإرشاد فيا لمدرسة لوضعا لحلول المناسبة لمخالفات الطالب ووفقاً لتقرير دراسة الحالة من المرشد الطلابي في المدرسة .

الإجراء الثالث:

يحال الطالب المخالف سلوكياً إلى الإدارة ويتخذ معه ما يلي:

1. جميع ما ذكر في الإجراء الأول .
2. حسم ثلاث درجات من درجات سلوك الطالب مع تمكينه من فرص التعويض لتعويض الدرجات المحسومة وإشعار ولي أمره بذلك.
3. بعد تنفيذ الإجراء يحال الطالب المخالف إلى وحدة الخدمات الإرشادية للمساعدة في العلاج ووفقاً لتقرير دراسة الحالة من المرشد الطلابي في المدرسة مع استمراره في الدراسة ، على أن يحضر تقرير منها يفيد باستمراره بالمتابعة معه في دراسة حالته يوضح فيه ما اتخاذه من إجراءات، وتتم متابعة الحالة من المرشد الطلابي لتقديم الخدمات التربوية والإرشادية.

الإجراء الرابع:

تقوم إدارة المدرسة بالتنسيق مع إدارة التربية والتعليم بنقل الطالب إلى مدرسة أخرى وإشعار ولي الأمر بما تم اتخاذه من قرارات ويؤخذ رأي ولي أمر الطالب المخالف في المدرسة التي سينقل إليها الطالب.

إجراءات مخالفات الدرجة الرابعة:

الإجراء الأول:

تقوم إدارة المدرسة بإحالة وضع الطالب إلى لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة لدراسة مخالفته السلوكية بعد حدوثها مباشرة و يتخذ معه ما يلي:

1. إشعار ولي الأمر الطالب خطياً بالمخالفة والإجراءات المتخذة.
2. أخذ تعهد خطي على الطالب بعدم تكرار المخالفة .
3. الاعتذار إلى من أساء إليهم.
4. إصلاح ما أتلفه الطالب أو إحضار بديل عنه وإشعار ولي الأمر بذلك .
5. مصادرة ما بحوزة الطالب من مواد ممنوعة وإتلافها نظاماً وإعداد محضر بذلك.
6. ضبط الجهاز الذي بحوزة الطالب المخالف وإعادته لولي الأمر إذا لم يكن الجهاز مرتبط بالقضية ويعد محضر بذلك.
7. ضبط الجهاز المرتبط بالقضية والتحفظ عليه وإعداد محضر بذلك.
8. نقل الطالب المصاب إلى أقرب مركز صحي.
9. حسم عشر درجات من درجات سلوك الطالب المخالف مع تمكينه من فرص التعويض لتعديل سلوكه ولتعويض الدرجات المحسومة وإشعار ولي الأمر بذلك .

الإجراء الثاني:

تقوم إدارة المدرسة بإحالة وضع الطالب إلى لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة لدراسة مخالفته السلوكية بعد حدوثها مباشرة ويتخذ معه ما يلي:

1. جميع ما ذكر في الإجراء الأول عدا رقم (2).
2. نقل الطالب إلى فصل آخر وفقاً لتقرير المرشد الطلابي.

3. حرمان الطالب من الدراسة لمدة أسبوع دراسي.

بعد تنفيذ الإجراء يتم إحالة الطالب الوحدة الخدمات الإرشادية للمساعدة في علاج وضع الطالب ووفق التقرير دراسة الحالة من مرشد الطلاب في المدرسة مع استمراره في الدراسة على أن يحضر تقريراً منها يفيد باستمراره بالمتابعة معه في دراسة حالته ويوضح ما تم اتخاذه من إجراءات إرشادية وتربوية وتتم رعايته في المدرسة بإشراف وحدة الخدمات الإرشادية ومتابعته من المرشد الطلابي في المدرسة وتقديم الخدمات الإرشادية والتربوية المناسبة لحالته .

الإجراء الثالث:

تقوم إدارة المدرسة بإحالة وضع الطالب إلى لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة لدراسة مخالفته السلوكية بعد حدوثها مباشرة ويتخذ معه ما يلي :

1. جميع ما ذكر في الإجراء الأول عدا رقم (2) وما ورد بالإجراء الثاني رقم (4) .
2. إخطار ولي أمر الطالب المخالف بالحضور للمدرسة وإنذاره كتابياً بالنقل إلى مدرسة أخرى في حالة تكرار المخالفة.
3. حرمان الطالب من الدراسة لمدة شهر بعد الرفع بعد أخذ موافقة إدارة التربية والتعليم.

الإجراء الرابع:

تقوم الإدارة بالتنسيق مع إدارة التربية والتعليم بنقل الطالب إلى مدرسة أخرى وإشعار ولي أمره بما تم اتخاذه من قرارات ويؤخذ موافقة ولي الطالب المخالف بالمدرسة التي سينقل الطالب إليها.

إجراءات مخالفات الدرجة الخامسة:

الإجراء الأول:

1. تقوم إدارة المدرسة بتدوين محضر لإثبات الواقعة .
2. استدعاء الجهات الأمنية المختصة إلى المدرسة فور وقوع القضية خاصة في المخالفات السلوكية ذات الأثر الخطر مثل (الضرب الذي الحق إصابة بالغة – الطعن – إطلاق النار – إشعال النار ..ألخ).
3. تجتمع لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة بعد وقوع القضية مباشرة لدراسة ظروفها وملابساتها .

4. ترفع إدارة المدرسة رسمياً وبصفة عاجلة لإدارة التربية والتعليم محضر اجتماع لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة بخصوص القضية .

5. يكلف مدير التربية والتعليم حال ورود خطاب المدرسة مباشرة(لجنة قضايا الطلاب– لجنة قضايا الطالبات) بمباشرة القضية في المدرسة وأخذ إفادة الطالب المخالف ومن له صلة بالقضية ورصد ملابساتها ويعد تقرير بذلك .

6. بعد زيارة المدرسة تجتمع مباشرة (لجنة قضايا الطلاب – لجنة قضايا الطالبات) في إدارة التربية والتعليم بخصوص القضية وتدرس حيثيات القضية من خلال تقرير الزيارة ورأي المدرسة ويصدر قرار بذلك من مدير التربية والتعليم يعالجه تربويا يتضمن الآتي :

- يمكن إحالة القضية إلى الجهات الأمنية إذا لزم الأمر .
- حرمان الطالب من الدراسة لمدة شهرين .
- نقل الطالب إلى مدرسة أخرى (وتسمى المدرسة في القرار ويرسل للمدرسة صورة منه لتنفيذه) ويمكن من الدراسة بعد تنفيذ فترة الحرمان مباشرة، مع إشعار ولي أمره هاتفياً وكتابياً بما اتخذ من قرارات.
- الحسم من درجات سلوك الطالب المخالف خمس عشرة درجة ويُمكن من فرص التعويض لتعديل سلوكه ولتعويض الدرجات المحسومة في المدرسة التي سينقل إليها وإشعار ولي الأمر بذلك .

7. بعد إصدار القرار يتم دراسة حالة الطالب المخالف من وحدة الخدمات الإرشادية في إدارة التربية والتعليم ويعد له برنامج تربويا أثناء فترة الحرمان يتضمن:

- حضور الطالب إلى وحدة الخدمات الإرشادية أثناء فترة الحرمان وفقاً لجدول زمني يتناسب مع حالته يُضمن برنامج سلوكي يمارسه الطالب يشتمل على جلسات في تعديل السلوك من فريق العمل الإرشاد بوحدة الخدمات الإرشادية، ودروس في المهارات الحياتية لإكسابه مهارات سلوكية ايجابية من خلال ممارسين متمكنين.
- يكلف الطالب المخالف سلوكياً بمهام في مجال الخدمة الاجتماعية وخدمات تطوعية للمجتمع (تعد من الجهة المختصة في الوزارة) تحت إشراف إدارة لتربية والتعليم وفق جدول زمني موافق عليه من ولي أمر الطالب.
- إتاحة الفرصة للطالب بالدراسة خلال فترة الحرمان عن طريق مراكز الخدمات التربوية .

8. يؤخذ تعهد خطي على الطالب عند عودته بعد فترة تنفيذ فترة الحرمان بالالتزام بالانضباط والسلوك الحسن ويؤخذ توقيع ولي أمر الطالب المخالف على ذلك ويخطر كتابي أنه في حال تكرار الطالب للمخالفة سيتم تحويله إلى طالب منازل .

الإجراء الثاني:

1. تقوم إدارة المدرسة بتدوين محضر لإثبات الواقعة .
2. استدعاء الجهات الأمنية المختصة إلى المدرسة فور وقوع القضية خاصة في المخالفات السلوكية ذات الاثر الخطر مثل(الضرب الذي الحق إصابة بالغه – الطعن– إطلاق النار– إشعال النار)
3. تجتمع لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة بعد وقوع القضية مباشرة لدراسة ظروفها وملابساتها.
4. ترفع إدارة المدرسة رسمياً وبصفة عاجلة لإدارة التربية والتعليم محضر اجتماع لجنة التوجيه والإرشاد بالمدرسة بخصوص القضية.
5. يكلف مدير التربية والتعليم حال ورود خطاب المدرسة مباشرة (لجنة قضايا الطلاب – لجنة قضايا الطالبات) مباشرة القضية في المدرسة وأخذ إفادة الطالب المخالف ومن له صلة بالقضية ورصد ملابساتها ويعد تقرير بذلك.
6. بعد زيارة المدرسة تجتمع مباشرة (لجنة قضايا الطلاب – لجنة قضايا الطالبات) في إدارة التربية والتعليم بخصوص القضية وتدرس حيثيات القضية من خلال تقرير الزيارة ورأي المدرسة ويصدر قرار بذلك من مدير التربية والتعليم يعالجها تربويا يتضمن الآتي :

- يمكن إحالة القضية إلى الجهات الأمنية إذا لزم الأمر .
- بعد أخذ الموافقة من وكيل الوزارة للتعليم وحسب الصلاحيات المخولة له يحرم الطالب المخالف من الدراسة للعام الدراسي الذي حدثت فيه المخالفة ويمكن من الدراسة عن طريق الانتساب في مدرسة أخرى غير المدرسة الحالية .

7. بعد تنفيذ الإجراء يتم دراسة حالة الطالب المخالف سلوكياً وحدة الخدمات الإرشادية في إدارة التربية والتعليم ويعدله برنامج تربويا أثناء فترة الحرمان يتضمن :

- حضور الطالب إلى وحدة الخدمات الإرشادية أثناء فترة الحرمان وفقا لجدول زمني يتناسب مع حالته يُضمن برنامج سلوكي يمارسه الطالب يشتمل على جلسات في تعديل السلوك من فريق العمل الإرشادي بوحدة الخدمات الإرشادية، ودروس في المهارات الحياتية لإكسابه مهارات سلوكية ايجابية من خلال ممارسين متمكنين .
- يكلف الطالب المخالف سلوكياً بمهام في مجال الخدمة الاجتماعية وخدمات تطوعية للمجتمع (تعدمن الجهة المختصة في الوزارة) تحت إشراف إدارة التربية والتعليم وفق جدول زمني موافق عليه من ولي أمر الطالب .
- إتاحة الفرصة للطالب بالدراسة خلال فترة الحرمان من خلال مراكز الخدمات التربوية .

8. يؤخذ تعهد خطي على الطالب المخالف سلوكياً عند عودته بعد فترة تنفيذ فترة الحرمان بالالتزام بالانضباط والسلوك الحسن .

9. يمكن الطالب الذي نفذ عليه الإجراء من الدراسة منتظماً للعام الدراسي الذي يليه في مدرسة أخرى إذا كان في سن مرحلته الدراسية بقرار من مدير التربية والتعليم على أن يتابع من خلال وحدة الخدمات الإرشادية والمدرسة المنقول إليها مع الرفع شهرياً من المدرسة لإدارة التربية والتعليم(التوجيه والإرشاد) بخطاب سري يبين حالته.

10. الطالب الأكبر من سن مرحلته الدراسية وبعد تطبيق الإجراء المشار إليه في فقرة (7)، يُمكَن من الدراسة بقرار من مدير التربية والتعليم وفق الضوابط المنظمة لقبول الطلاب كبار السن على أن يراعى في ذلك مصلحة الطالب التربوية والسلوكية .

الإجراء الثالث:

1. تقوم إدارة المدرسة بتدوين محضر إثبات الواقعة.
2. استدعاء الجهات الأمنية المختصة إلى المدرسة فور وقوع القضية خاصة في المخالفات السلوكية ذات الاثر الخطر مثل(الضرب الذي الحق إصابة بالغة- الطعن- إطلاق النار- إشعال النار).
3. تجتمع لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة بعد وقوع القضية مباشرة لدراسة ظروفها وملابساتها.
4. ترفع إدارة المدرسة رسميا بصفة عاجلة لإدارة التربية والتعليم محضر اجتماع لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة بخصوص القضية.
5. يكلف مدير التربية والتعليم حال ورود خطاب المدرسة مباشرة(لجنة قضايا الطلاب- لجنة قضايا الطالبات) بمباشرة القضية في المدرسة وأخذ إفادة الطالب المخالف ومن له صلة بالقضية ورصد ملابساتها ويعد تقرير بذلك.
6. بعد زيارة المدرسة تجتمع مباشرة (لجنة قضايا الطلاب- لجنة قضايا الطالبات) في إدارة التربية والتعليم بخصوص القضية، وتدرس حيثيات القضية من خلال تقرير الزيارة ورأي المدرسة ويصدر قرار بذلك من مدير التربية والتعليم يعالجها تربويا يتضمن الآتي:
   - إحالة القضية إلى الجهات الأمنية إذا لزم الأمر.
   - بعد اخذ الموافقة من وكيل الوزارة للتعليم وحسب الصلاحيات المخولة له يحرم الطالب المخالف من الدراسة للعام الدراسي الذي حدثت فيه المخالفة في جميع المدارس في إدارات التربية والتعليم وتبلغ جميع إدارات التربية والتعليم

بالقرار (ويدون على القرار والخطاب كلمة سري) مع مراعاة حجب اسم الطالب من وقعت عليه المخالفة والاكتفاء بذكر اسم الطالب مرتكب المخالفة ودرجتها ونوعها دون إشهار اسم الطالب للطلبة في المدارس وعلى إدارة التربية والتعليم تخيير ولي أمر الطالب في تمكين ابنه من الدراسة بإحالته من إدارة التربية والتعليم إلى المدرسة الملحقة بدار التوجيه الاجتماعي التابعة لوازة الشؤون الاجتماعية لاستكمال دراسته للعام الذي حرم منه في مدارس التعليم العام وفقا لأنظمتها أو بقائه إلى العام الدراسي القادم.

7. بعد تنفيذ الإجراء يتم دراسة حالة الطالب المخالف سلوكياً من وحدة الخدمات الإرشادية في إدارة التربية والتعليم ويعد له برنامج تربوي أثناء فترة الحرمان ويتضمن :

- حضور الطالب إلى وحدة الخدمات الإرشادية أثناء فترة الحرمان وفقاً لجدول زمني يتناسب مع حالته يُضمن برنامج سلوكي يمارسه الطالب يشتمل على جلسات في تعديل السلوك من فريق العمل الإرشادي في وحدة الخدمات الإرشادية ودروس في المهارات الحياتية لإكسابه مهارات سلوكية ايجابية من خلال ممارسين متمكنين.
- يكلف الطالب المخالف سلوكيا بمهام في مجال الخدمة الاجتماعية وخدمات تطوعية للمجتمع (تعد من الجهة المختصة في الوزارة) تحت إشراف إدارة التربية والتعليم وفق جدول زمني موافق عليه ولي أمر الطالب.
- إتاحة الفرصة للطالب بالتعليم خلال فترة الحرمان من خلال مراكز الخدمات التربوية.

8. يؤخذ تعهد خطي على الطالب عند عودته بعد فترة تنفيذ الحرمان بالالتزام بالسلوك الحسن.

9. يمكن الطالب الذي نفذ عليه الإجراء من الدراسة منتظما للعام الدراسي الذي يليه في مدرسة أخرى إذا كان في سن مرحلته الدراسية بقرار من مدير التربية والتعليم على أن يتابع من وحدة الخدمات الإرشادية والمدرسة المنقول إليها مع الرفع شهريًا من المدرسة لإدارة التربية والتعليم (التوجيه والإرشاد) بخطاب سري يبين حالته.

10. الطالب الأكبر من سن مرحلته الدراسية وبعد تطبيق الإجراء المشار إليه في فقرة (7) يمكن من الدراسة بقرار من مدير التربية والتعليم وفق الضوابط المنظمة لقبول الطلاب كبار السن على أن يراعى في ذلك مصلحة الطالب التربوية والسلوكية.

إجراءات مخالفات الدرجة السادسة:

الإجراء الأول:

1. تقوم إدارة المدرسة بتدوين محضر لإثبات الواقعة .

2. استدعاء الجهات الأمنية المختصة إلى المدرسة فور وقوع القضية خاصة في المخالفات السلوكية ذات الأثر الخطرمثل (الضرب الذي الحق إصابة بالغة – الطعن – إطلاق النار – إشعال النار ..) .

3. تجتمع لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة بعد وقوع القضية مباشرة لدراسة ظروفها وملابساتها .

4. ترفع إدارة المدرسة رسمياً وبصفة عاجلة لإدارة التربية والتعليم محضر اجتماع لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة بخصوص القضية .

5. يكلف مدير التربية والتعليم حال ورود خطاب المدرسة مباشرة(لجنة قضايا الطلاب– لجنة قضايا الطالبات) بمباشرة القضية في المدرسة وأخذ إفادة الطالب المخالف ومن له صلة بالقضية ورصد ملابساتها ويعد تقرير بذلك.

6. بعد زيارة المدرسة تجتمع مباشرة (لجنة قضايا الطلاب – لجنة قضايا الطالبات) في إدارة التربية والتعليم بخصوص القضية وتدرس حيثيات القضية من خلال تقرير الزيارة ورأي المدرسة ويصدر قرار بذلك من مدير التربية والتعليم يعالجه تربويا يتضمن الآتي :

- يمكن إحالة القضية إلى الجهات الأمنية إذا لزم الأمر .
- بعد أخذ الموافقة من وكيل الوزارة للتعليم وحسب الصلاحيات المخولة له يحرم الطالب المخالف من الدراسة للعام الدراسي الذي حدثت فيه المخالفة ويمكن من الدراسة عن طريق الانتساب في مدرسة أخرى غير المدرسة الحالية .

7. بعد تنفيذ الإجراء يتم دراسة حالة الطالب المخالف سلوكياً وحدة الخدمات الإرشادية في إدارة التربية والتعليم ويعدله برنامج تربويا أثناء فترة الحرمان يتضمن :

- حضور الطالب إلى وحدة الخدمات الإرشادية أثناء فترة الحرمان وفقا لجدول زمني يتناسب مع حالته يضمن برنامج سلوكي يمارسه الطالب يشتمل على جلسات في تعديل السلوك من فريق العمل الإرشادي بوحدة الخدمات الإرشادية، ودروس في المهارات الحياتية لإكسابه مهارات سلوكية ايجابية من خلال ممارسين متمكنين .
- يكلف الطالب المخالف سلوكياً بمهام في مجال الخدمة الاجتماعية وخدمات تطوعية للمجتمع (تعد من الجهة المختصة في الوزارة تحت إشراف إدارة التربية والتعليم وفق جدول زمني موافق عليه من ولي أمر الطالب.
- إتاحة الفرصة للطالب بالدراسة خلال فترة الحرمان من خلال مراكز الخدمات التربوية .

8. يؤخذ تعهد خطي على الطالب المخالف سلوكياً عند عودته بعد فترة تنفيذ فترة الحرمان بالالتزام بالانضباط والسلوك الحسن .

9. يمكن الطالب الذي نفذ عليه الإجراء من الدراسة منتظماً للعام الدراسي الذي ي يليه في مدرسة أخرى إذا كان في سن مرحلته الدراسية بقرار من مدير التربية والتعليم على أن يتابع من خلال وحدة الخدمات الإرشادية والمدرسة المنقول إليها مع الرفع شهرياً من المدرسة لإدارة التربية والتعليم (التوجيه والإرشاد) بخطاب سري يبين حالته .

10. الطالب الأكبر من سن مرحلته الدراسية وبعد تطبيق الإجراء المشار إليه في فقرة (7)، يُمكَن من الدراسة بقرار من مدير التربية والتعليم وفق الضوابط المنظمة لقبول الطلاب كبار السن على أن يراعى في ذلك مصلحة الطالب التربوية والسلوكية .

الإجراء الثاني:

1. تقوم إدارة المدرسة بتدوين محضر لإثبات الواقعة .
2. استدعاء الجهات الأمنية المختصة إلى المدرسة فور وقوع القضية خاصة في المخالفات السلوكية ذات الاثر الخطر مثل(الضرب الذي الحق إصابة بالغة- الطعن- إطلاق النار- إشعال النار)
3. تجتمع لجنة التوجيه والإرشاد في المدرسة بعد وقوع القضية مباشرة لدراسة ظروفها وملابساتها
4. ترفع إدارة المدرسة رسمياً وبصفة عاجلة لإدارة التربية والتعليم محضر اجتماع لجنة التوجيه والإرشاد بالمدرسة بخصوص القضية .
5. يكلف مدير التربية والتعليم حال ورود خطاب المدرسة مباشرة (لجنة قضايا الطلاب – لجنة قضايا الطالبات) مباشرة القضية في المدرسة وأخذ إفادة الطالب المخالف ومن له صلة بالقضية ورصد ملابساتها ويعد تقرير بذلك .
6. بعد زيارة المدرسة تجتمع مباشرة (لجنة قضايا الطلاب – لجنة قضايا الطالبات) في إدارة التربية والتعليم بخصوص القضية وتدرس حيثيات القضية من خلال تقرير الزيارة ورأي المدرسة ويصدر قرار بذلك من مدير التربية والتعليم يعالجها تربويا يتضمن الآتي:

- يمكن إحالة القضية إلى الجهات الأمنية إذا لزم الأمر .
- بعد اخذ الموافقة من وكيل الوزارة للتعليم وحسب الصلاحيات المخولة له يحرم الطالب المخالف من الدراسة للعام الدراسي الذي حدثت فيه المخالفة في جميع المدارس في إدارات التربية والتعليم وتبلغ جميع إدارات التربية والتعليم

- بالقرار(ويدون على القرار والخطاب كلمة سري) مع مراعاة حجب اسم الطالب من وقعت عليه المخالفة والاكتفاء بذكر اسم الطالب مرتكب المخالفة ودرجتها ونوعها دون إشهار اسم الطالب للطلبة في المدارس وعلى إدارة التربية والتعليم تخيير ولي أمر الطالب في تمكين ابنه من الدراسة بإحالته من إدارة التربية والتعليم إلى المدرسة الملحقة بدار التوجيه الاجتماعي التابعة لوازة الشؤون الاجتماعية لاستكمال دراسته للعام الذي حرم منه في مدارس التعليم العام وفقا لأنظمتها أو بقائه إلى العام الدراسي القادم.

7. بعد تنفيذ الإجراء يتم دراسة حالة الطالب المخالف سلوكيا من وحدة الخدمات الإرشادية في إدارة التربية والتعليم ويعد له برنامج تربوي أثناء فترة الحرمان ويتضمن :

- حضور الطالب إلى وحدة الخدمات الإرشادية أثناء فترة الحرمان وفقاً لجدول زمني يتناسب مع حالته يضمن برنامج سلوكي يمارسه الطالب يشتمل على جلسات في تعديل السلوك من فريق العمل الإرشادي في وحدة الخدمات الإرشادية ودروس في المهارات الحياتية لإكسابه مهارات سلوكية ايجابية من خلال ممارسين متمكنين.
- يكلف الطالب المخالف سلوكيا بمهام في مجال الخدمة الاجتماعية وخدمات تطوعية للمجتمع(تعد من الجهة المختصة في الوزارة) تحت إشراف إدارة التربية والتعليم وفق جدول زمني موافق عليه ولي أمره.
- إتاحة الفرصة للطالب بالتعليم خلال فترة الحرمان من خلال مراكز الخدمات التربوية.

8. يؤخذ تعهد خطي على الطالب عند عودته بعد فترة تنفيذ الحرمان بالالتزام بالسلوك الحسن.

9. يمكن الطالب الذي نفذ عليه الإجراء من الدراسة منتظما للعام الدراسي الذي يليه في مدرسة أخرى إذا كان في سن مرحلته الدراسية بقرار من مدير التربية والتعليم على ان يتابع من وحدة الخدمات الإرشادية والمدرسة المنقول إليها مع الرفع شهريا من المدرسة لإدارة التربية والتعليم (التوجيه والإرشاد) بخطاب سري يبين حالته.

الطالب الأكبر من سن مرحلته الدراسية وبعد تطبيق الإجراء المشار اليه في فقرة(7) يمكن من الدراسة بقرار من مدير التربية والتعليم وفق الضوابط المنظمة لقبول الطلاب كبار السن على أن يراعى في ذلك مصلحة الطالب التربوية والسلوكية.

- **أما يتعلق بالمواظبة فتختلف بحسب المخالفة:**

فإذا كان غياب بدون عذر عن اليوم الواحد فيكون الحسم نصف درجة.

وإذا كان الأسبوع الأول بعد العودة من الإجازة فيكون الحسم درجة عن كل يوم.

وإذا كان غياب في الأسبوع الذي يسبق الإجازة فيكون الحسم درجة عن كل يوم.

وإذا غياب في الأسبوع الذي يسبق الاختبارات فيكون الحسم درجة عن كل يوم.

وفي ختام هذا المبحث يحسن أن نشير الى ماذكره الدكتور محمد الدهام حيث قال" إن من يمعن النظر اليوم، يجد واقعاً غير مألوفاً في المدارس، فالتوجيه والتأديب الإسلامي بمفهومه الأصيل، لا أثر البتة له إلا ما رحم ربي، ولهذا سببين رأسيين هما:

الأول: خلو التربية من مفهوم التأديب الواسع، للطلاب مهما كانت الواقعة، وإيعاز ذلك للجهات الأمنية.

الثاني: لا يوجد الشخص الكفء، وبدرجة كافية توكل له مهمة التأديب بشروطها التي كانت عند المسلمين الأوائل.

وعلى أثر ذلك كم من المشاكل والقضايا، بل والجرائم وقعت في مدارسنا، وكان بالإمكان ألا تحدث، ولكن غياب الإرشادات الإسلامية في التأديب، وفقدان هيبة المعلم، بل والإدارة المدرسية في ضوء اللوائح والتعميمات التي تمنع العقاب إجمالا، أفرز ظاهرة سلبية مضمونها: لا يعنيني الأمر.

وكذلك عدم معرفة أغلب المعلمين بالأساليب الإسلامية في الثواب والعقاب، وتبع هذا موقفين متضادين هما: الإسراف في العقوبة البدنية مما يترتب عليه إصابات وألام يعانيها من يعاقب من الطلاب، أو ترك الأمور على عواهنها ، الأمر الذي ترتب عليه فقدان ذلك المعلم والمربي الفاضل الذي يأخذ بيد أبنائه ، ويحسن تربيتهم وتأديبهم.

ولهذا صار لزاماً إعادة النظر في جميع اللوائح والتعميمات التي تمنع العقاب، خاصة البدني منه، لأن هناك من الأخطاء ما يتطلب ذلك، وعوضا عن ذلك يتم تشكيل لجنة في كل مدرسة أعضائها من المعلمين الثقات، تقرر مقدار العقوبة ومن يقوم بتنفيذها، حتى تعود للتعليم قيمته وهيبته"[(67)].

المراجع والمصادر

الكاساني، علاء الدين، أبو بكر بن مسعود بن أحمد الكاساني الحنفي، **بدائع الصنائع**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، 1406هـ - 1986م)

محمد بن أحمد بن محمد عليش ، **منح الجليل**، (بيروت: دار الفكر، د:ط، 1989م)

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحي بن شرف النووي، **روضة الطالبين**، (بيروت: المكتب الإسلامي، 1412هـ / 1991م)

ابن قدامه، أبو محمد موفق الدين عبد الله بن أحمد بن محمد، **المغني**، (القاهرة: مكتبة القاهرة، دط، 1388هـ - 1968م)

(67) محمد عبدالكريم الدحام، تأديب الطلاب عند المسلمين، ، ص13-14.

النووي، أبو زكريا محيي الدين يحي، **المجموع**، (بيروت: دار الفكر، دط، دت)

الأصبهاني، أبو القاسم الحسين بن محمد، **المفردات في غريب القرآن**، (بيروت: دار القلم، ط1، 1412 ه)

الزبيدي، محمد بن محمد بن الحسيني، **إتحاف السادة المتقين**، (بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، ط1، 1414ه، 1994م)

السرخسي، محمد بن أحمد بن أبي سهل، **المبسوط**، (بيروت: دار المعرفة، دط، 1414ه - 1993م)

ابن عابدين، محمد أمين بن عمر بن عبد العزيز عابدين، **حاشية رد المحتار**، (بيروت: دار الفكر، ط2، 1412ه - 1992م)

الشربيني، محمد بن محمد الخطيب الشربيني، **مغني المحتاج**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1415ه - 1994م)

القاضي أبو يعلى، محمد بن الحسين بن محمد بن خلف ابن الفراء، **الأحكام السلطانية**، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط2، ه - 2000 م)

البهوتي، منصور بن يونس بن صلاح الدين ابن حسن بن إدريس، **كشاف القناع**، (بيروت: دار الكتب العلمية، دط، دت)

ابن نجم شاس، بو محمد جلال الدين عبد الله بن نجم، **عقد الجواهر الثمينة في مذهب عالم المدينة**، تحقيق: حميد بن محمد لحمر، (بيروت: دار الغرب الإسلامي، ط1، 2003م)

محمد علي الرهوني، **حاشية الرهوني على شرح الزرقاني**،

ابن مفلح، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، **الفروع**، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي، (الرياض: مؤسسة الرسالة، ط1، 2003م)

ابن مفلح، **المبدع**، محمد بن مفلح بن محمد بن مفرج، (بيروت: دار الكتب العلمية، ط1، 1997م).

الجمل، سليمان عمر، **حاشية الجمل على شرح المنهج**، (بيروت: دار الفكر، دط، دت)

ابن مفلح، **الآداب الشرعية والمنح المرعية**، (بيروت: عالم الكتب، دط، دت)

الأنصاري، **زكريا بن محمد بن زكريا الأنصاري، أسنى المطالب في شرح روض الطالب**، (بيروت: دار الكتاب الإسلامي، دط، دت)

بدر الدين أبي محمد محمود بن أحمد العيني، **عمدة القاري شرح صحيح البخاري**، (مصر: مطبعة البابي الحلبي، ط1، 1392ه = 1972م).

الرحيباني، مصطفى بن سعد بن عبده السيوطي، **مطالب أولي النهى في شرح غاية المنتهى**، (بيروت: المكتب الإسلامي، ط2، 1994م).

الدسوقي، محمد بن أحمد بن عرفة، **الشرح الكبير مع حاشية الدسوقي**، (بيروت: دار الفكر، دط، دت)

بن تيمية، تقي الدين أبو العباس أحمد بن عبد الحليم، تحقيق: عبدالرحمن بن قاسم، **مجموع الفتاوى**، (السعودية: 1416هـ/1995م)

محمد بن أبي بكر بن أيوب بن سعد شمس، ابن القيم، **إعلام الموقعين**، (بيروت: دار الكتب العلمية، 12، 1411هـ - 1991م)

سعد مرسي أحمد، **تطور الفكر التربوي** (القاهرة: عالم الكتب، ط5، 1983م)،

عبدالهادي التازي، **المغراوي وفكره التربوي من خلال كتابه" جامع جوامع الاختصار والتبيان فيما يعرض بين المعلمين وآباء الصبيان**، (بيروت: المكتب الإسلامي بتكليف من مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط1، 1407هـ = 1986م)،

أحمد بن محمد ابن العافية الشهير بـ(ابن القاضي)، **جذوة الاقتباس فيمن حل من الأعلام مدينة فاس**، (فاس: ط حجرية)

النفراوي، أحمد بن غانم بن سالم ابن مهنا، شهاب الدين النفراوي، **الفواكه الدواني**، ((بيروت: دار الفكر، دط، 1415هـ - 1995م)

ابن دقيق العيد، **إحكام الإحكام شرح عمدة الأحكام**، (مطبعة السنة المحمدية، دط، دت)

ابن الملقن، سراج

الدين أبو حفص عمر بن علي بن أحمد، **الإعلام بفوائد عمدة الأحكام**، (السعودية: دار العاصمة للنشر والتوزيع، ط1، 1417 هـ - 1997 م)

محمد عبدالكريم الدحام، **تأديب الطلاب عند المسلمين**، بحث من منشورات جامعة الملك سعود، كلية التربية،قسم الإدارة التربوية.

عبد الحميد الخطيب، **الإمام العادل صاحب الجلالة الملك عبد العزيز عبد الرحمن الفيصل آل سعود** ،(القاهرة، مطبعة مصطفى البابي الحلبي، ط1370هـ.)

دليل النشر

بسم الله الرحمن الرحيم

تعتمد مجموعة مجلات **المعهد العلمي للتدريب المتقدم والدراسات (معتمد)** أعلى المعايير الدولية التي من شأنها رفع مستوى الأبحاث إلى مستوى العالمية، وتضيف للبحث في حال التزام الباحث بها ترقية حقيقة لمستوى بحثه، وكذلك تعزز من خبرته في مجال **النشر العلمي**؛ إن جملة المواصفات الواردة في هذا الدليل التوجيهي؛ تضفي على أبحاثنا شكلاً علمياً يعزز من مضمونها ويخرجه إلى القارئ بصيغة تتناسب مع تطور **ضوابط النشر العلمي** ومعارفه، مما يحقق مواكبة فاعلة لمستجدات النشر المعرفي.

تعليمات للباحثين:

1- ترسل نسختين من البحث **لقسم النشر على الإيميل:** (publisher@siats.co.uk) تحت برنامج Microsoft Word واحدة بصيغة (Word) ، وأخرى بصيغة (PDF).

2- يُكتب البحث بواسطة الحاسوب (الكمبيوتر) بمسافات (**واحد ونصف**) بين الأسطر شريطة ألا يقل عدد الكلمات عن **4000** و لايزيد **عن5000** كلمة، حجم الخط 16 ,للغة العربية **(Traditional Arabic)** و **12** للغة الإنجليزية **(Time New Roman)**، بما في ذلك الجداول والصور والرسومات , ويستثنى من هذا العدد الملاحق والاستبانات.

3- واجهة البحث: يُكتب عنوان البحث باللغتين العربية والإنجليزية، وأسفل منه تكتب أسماء الباحثين كاملة باللغتين العربية والإنجليزية، كما تذكر عناوين وظائفهم الحالية ورتبهم العلمية، وسنة النشر بالهجري والميلادي.

4- العناوين الرئيسية والفرعية: تستخدم داخل البحث لتقسيم أجزاء البحث حسب أهميتها، وبتسلسل منطقي، وتشمل العناوين الرئيسية: ملخص البحث وتحته الكلمات المفتاحية، **(ABSTRAC** وتحته **KEYWORDS)** المقدمة، البحث وإجراءاته، النتائج، المصادر والمراجع.

5- يرفق مع البحث ملخص باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية، على ألا تزيد كلمات الملخص على **(150)** كلمة، وتكتب بعد الملخص الكلمات المفتاحية **KEYWORDS** على ألا تزيد على **(5) كلمات**، مع ملاحظة اشتمال الملخص على أركانه الأربعة: المشكلة والأهداف والمنهج والنتائج.

6- يقسم البحث إلى مباحث ومطالب تُكتب وسط الصفحة بخط سميك.

7- تطبع الجداول والأشكال داخل المتن و ترقم حسب ورودها في البحث، ويكون لكل منها عنوان خاص، ويشار إلى كل منها بالتسلسل، وتستخدم الأرقام العربية (1, 2,3...) في كل أجزاء البحث.

8- كل بحث يجب أن يشمل على ما نسبته 20 % من المراجع الأجنبية ويستثنى من ذلك أبحاث الشريعة واللغة العربية.

9- مدة تعديل البحوث: يعطى الباحث مدة أقصاها **3 أشهر** لإجراء التعديلات على بحثه إن وجدت، وللمجلة الحق بعد ذلك في رفض البحث رفضا نهائيا حال تجاوز الباحث المدة المحددة للتعديل.

10- يلتزم الباحث بدفع النفقات المالية المترتبة على إجراءات التقويم في حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم متابعة إجراءات النشر.

11- لا تجيز المجلة سحب الأبحاث بعد قبولها للنشر بأي حال من الأحوال ومهما كانت الأسباب.

12- (التوثيق) قائمة المراجع:

- تهمش المراجع في المتن باستخدام الأرقام المتسلسلة، وتبين بإيجاز في قائمة بآخر البحث بحسب تسلسلها في المتن؛ على أن توضع قبل قائمة المصادر والمراجع.
- وكيفية هذا الإجراء: أن يقوم الباحث بوضع حاشية سفلية بطريقة إلكترونية لكل صفحة كما هو معهود، ثم بعد أن ينتهي الباحث من بحثه كاملا يقوم بنقل هذه الحواشي مرة واحدة إلى نهاية البحث عن طريق اتباع طريقة ذلك من خلال هذا الفيديو التوضيحي (*تعلم وورد: نقل الحواشي السفلية الى آخر صفحة دفعة واحدة*)

t=87s&v=al_g_hAweCU?https://www.youtube.com/watch

https://youtu.be/al_g_hAweCU

للإشارة إلى المرجع في الموضع الأول، هكذا:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2. ج: 2، ص: 145.

وفي المواضع الأخرى له يشار إليه، هكذا:

ابن عطية، المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. مرجع سابق، ج: 3، ص: 150.

- توثق **المصادر والمراجع** في قائمة واحدة في نهاية البحث، وترتب هجائياً حسب الاسم الأخير للمؤلف، وذلك باتباع الطريقة التالية:

الكتاب لمؤلف واحد:

ابن عطية، عبد الحق بن غالب. (2007). المحرر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز. تحقيق: عبد السلام محمد. بيروت: دار الكتب العلمية. ط: 2.

للمؤلف أكثر من كتاب

ابن خالويه، الحسين بن أحمد الهمذاني. (1979). الحجة في القراءات السبع. بيروت: دار الشروق.

ـــــــــ. (1992). إعراب القراءات السبع وعللها. تحقيق: عبد الرحمن بن سليمان العثيمين. القاهرة: مكتبة الخانجي.

الكتاب لمؤلفَين اثنين:

البغا، مصطفى ديب. مستوى، محي الدين. (1996). الواضح في علوم القرآن. دمشق: دار العلوم الإنسانية.

الكتاب لثلاث مؤلفين أو أكثر:

محمد كامل حسن وآخرون. (2005). التجديد. كوالالمبور: الجامعة الإسلامية العالمية الماليزية.

المقالة في مجلة علمية:

راضي، فوقية محمد. (2002). "أثر سوء المعاملة وإهمال الوالدين على الذكاء". المجلة المصرية للدراسات النفسية. المجلد: 12. العدد: 36. ص 27-36.

المقالة في مؤتمر:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2018). "أثر المرأة في الدعوة والتربية في ضوء القرآن الكريم". المؤتمر الدولي للقرآن الكريم في المجتمع المعاصر. ماليزيا: جامعة السلطان زين العابدين.

الرسالة العلمية:

عبد الجليل، محمد فتحي محمد. (2016). "منهج ابن زنجلة في توجيه القراءات في كتابه حجة القراءات". رسالة دكتوراه، جامعة السلطان زين العابدين.

المؤلفات المترجمة:

القاضي، عبد الفتاح. (د. ت). تاريخ المصحف. (تر: إسماعيل محمد حسن). ترنجانو: المؤسسة الدينية.

13- عند قبول البحث للنشر يوقع الباحث على انتقال حقوق ملكية البحث الى إدارة معتمد

14- لهيئة التحرير الحق بإجراء أي تعديلات من حيث نوع الحروف ونمط الكتابة، وبناء الجملة لغوياً بما يتناسب مع نموذج المجلة المعتمد لدينا.

15- قرار هيئة التحرير بالقبول أو الرفض قرار نهائي مع الاحتفاظ بحقها في عدم إبداء الأسباب.

16- يمكن للباحث الحصول على بحثه المنشور والعدد الذي نشر فيه بحثه من موقع المجلة إلكترونياً

ملاحظة: عزيزي الباحث إن هذه المواصفات مأخوذة عن لوائح دولية مُعتمدة، وهي تعزز من مستوى بحثك من حيث الشكل الذي لا يقل أهمية عن المضمون، وإن أية مخالفة لها ستكلفك تأخيراً إضافياً يمكن تجنبه في حال الالتزام بها.

آليات النشر والإحالة:

بعد تسلم إدارة المجلة نسخة البحث من الباحث، تقوم بإحالتها إلى المحكمين، وتلتزم بمدة لا تزيد عن **30** يوماً لتزويد الباحث بتقرير عن بحثه يتضمن الملاحظات، بعدها يمهل البحث مدة لا تزيد عن **90 يوماً (3 أشهر)** للأخذ بالملاحظات .

ينشر البحث بعد أول أو ثاني عدد يعقب تاريخ إصدار خطاب قبوله للنشر على الأكثر، حسب أولوية الدور وزخم الأبحاث المُحالة للنشر.

http://www.siats.co.uk/author-guidelines-for-journal-article/?lang=ar

Content

1. طرق التعامل مع الديون المتعثرة للمرابحة الإسلامية في البنوك الليبية في ضوء الفقه الإسلامي
2. دور السنة في صناعة الإبداع والتميز
3. مشكالت الضرائر وسبل عالجها
4. مَدرسةُ القرَاءاتِ في المدينةِ المنوَّرة مِنَ العهدِ النبويّ حتى القَرن السابعِ الهِجريّ
5. الاستدلال بالقواعد الأصولية والفقهية على المستحدثات العصرية
6. التأديب في مجال التعليم في الفقه الإسلامي وتطبيقاته في المملكة العربية السعودية